



حسن الجندي

مخطوطة ابن إسحاق

العابد

الطبعة
11

مخطوطة ابن إسحاق

العائد

رواية لـ

حسن الجندي



إهداء

إلى الصوت الذي كان يُحدّثني أثناء كتابة هذه التلاميذ اشكركم لأنني
توفقت عند انتهائها

أ. م. م.

مقدمة

داحل غرفة التشريح بمشرحة ربهم يقف (خالد) والمأمور أمام جثة موسوعة على المنضدة. وكلاهما برندي كمامة. على غير عادة الأول أثناء التشريح امامهما على المنضدة تلك الجثة المنحولة على هيئة فرد. و(خالد) يمسك بد الجثة العارية المشعرة ويشير بمشروط حراحي الى شيء ما قائلاً للمأمور:

"لم ار كاننا من تلك المفصلة فقط. كأن يمتلك في يده ثلاثة أصابع تشبه المغالب".

رد المأمور بقرف:

"ولن نرى. لولا علاقات قريبي الضابط بأمن الدولة لما استطعنا أن ننقل تلك الجثة هنا لتسريحها سرا".

أعاد (خالد) اليد لموضعها وأمسك الرأس الذي كان يختلف عن البشري في كثافة الشعر ووجود أنف أقى جعله أقرب للقروود. أمسك بالرأس وأزاح بعض الشعر الكثيف وهو يقول:

"هناك فرنان صغيران لهذا الكائن الغريب لم أزمثلها من قبل".

وضع الرأس ثم أشار للقدمين قائلاً:

"وقدمان تكوينا يقترب من تكوين أقدام الجدي بحواهر واضحة".

- "كيف ستبدأ تشريح هذا الكائن؟"

- "سأبدأ بالرأس. وبالتحديد الفم."

أمسك بالفم وفتحه بصعوبة فأنفج على اتساعه بشكل غريب. وظهرت منه أسنان كثيرة طويلة. أما هيابتا الفم فكانتا ثقرتان من الأذن التي تشبه أذن الحصان. قال (خالد):

- "الفم تزيد عدد أسنانه عن الأسنان العادية ب..."

أخذ يعدّ الأسنان.. وبينما يعدّها. إذ فجأة...

فتح الكائن عينيه. فتراجع المأمور رعبًا وهو يشق. نظر له (خالد) بهدوء وقال:

- "لا تخف. هذا ردة فعل للجثة. فهي تتحول من وقت لآخر من حالة التصلب إلى حالة الانخاء والعكس."

بدأ المأمور قليلاً بينما نظر (خالد) إلى الجثة مرة أخرى وهو يتفحص الأسنان. فجأة تحركت يد الكائن ولطم وجه (خالد) بمخالبه فانفجرت الدماء من خذه الأيمن وسقطت كمامته. تراجع المأمور للوراء خطوة وهو يخلع كمامته بحركة تلقائية و(خالد) يتراجع ممسكاً جرحه والصدمة تسيطر عليه. نهض الكائن بسرعة من على ملتصدة التشريح ووقف على الأرض بفامته القصيرة. نظر حوله يتأمل العرفة ثم رمق (خالد) والمأمور. أغمض عينيه وملامح وجهه تخنفي ببطء ليعبر محلها ملامح وجه المأمور. ظل محتفظاً بلون جلد وجهه وهو يتغير. حتى اختفت الأذنان والقرنان وأصبح وجهه كوجه المأمور.

تلون الجلد ليصبح قرينا من لون جلد المأسور. خرج من جسده صوت كقطعقة العظام وتكسرها بينما قدماه تستطيل ببطء. فجأة انفتح باب غرفة المشرحة بقوة ودخل (حامد) وعلى وجهه علامات الوفاق وهو يشول بصوت جهوري مقرنا من الكائن:

”دخول الحمام ليس كخروجه أيها الفول. كنت تريد قتل سدبى (حامد). وأنت لا تعرف من هو (حامد)“

فجأة تعثر (حامد) ووقع على وجهه مطلقا صرخة ألم. نظره الكائن بدهشة لثوانٍ فرفع (حامد) وجهه وهو مازال على الأرض وقال:

”واللهي لا تهاجم يا كابتن حتى أنهض“.

لم يفهم الكائن هل (حامد) يمزح أم يتكلم بجذبة. صرخ (حامد) وهو ينظر باتجاه الباب:

”هيا يا (رحيم) لنقض عليه!“

نظر الكائن للباب ثم لحامد مندهشا فصرخ (حامد) مرة أخرى:

”هيا يا (رحيم) لنقض عليه قبل أن يفتصني“.

دخل (عماد) وجواره (بصفيدش) بهينة بشرية لرجل في الأربعين. نظر الكائن ل(بصفيدش) برعب بينما أشار الأخير بيده اليمنى ناحية الكائن وقال كأنه يحدث أحدا بجانبه:

”كبلوه وانقلوه معنا“.

تساعد دخان حول الكائن وغطاه. فصرخ حتى تلاشى صوته بينما
الدخان يغطيه ثم يتزاح ليترك موضعه خاليًا.

نظر (بصقيدش) للمأمور المذهول وقال بنفسه:

"ألم أقل لك لا تتدخل في تلك القضية؟"

قال المأمور بصوت منقطع:

"من أنت؟"

"أنا رجل من الجان ولي عندك حاجة.. هل تنذركني؟"

اتسعت عينا المأمور فزعًا. هنا سمع (حامد) وهو مازال على الأرض صوت
(رحيم) في أذنه وهو يقول ساخرًا:

"ما ذلك العرض الذي قمت به عند دخولك. لم يبق إلا أن تنادي علي
قائلًا: افتح يا مازنجرا!"

"هل كنت ستأتي لو قلت لك افتح يا مازنجرا؟"

قالها (حامد) فنظر له الجميع. فابنسم لهم. وغادر (بصقيدش) الغرفة
وهو يقول:

"سأزورك مرة أخرى أيها المأمور. وأنت يا (عماد) اجلب (حامد) الأهلل
هذا معك وهيا بنا. لا وقت لدينا لتضييعه."

في اليوم السابق:

عندما وضع (محمود) المحقن للمرة الثانية في ذراع (إسلام) فجأة انفجر الحائط المجاور له من جراء اقنحامه من كائن ما. بذعر رمق (محمود) و(إسلام) و(رقية) الحائط وهم يشاهدونه وقد تناثرت قوالب الطوب منه لداخل الحجرة صابغة فتحة في منتصف الجدار. عبرها كائن ما مغطى بالأتربة المتساقطة من الفتحة. يمدّ قدميه العاريتين ويعبر بجسده العاري للحجرة وسط دهشة الجميع.. هنا صرخت (رقية) من الفرع وأغشي عليها بعدما تدبرت ما ترى. وترك (محمود) المحقن في ذراع (إسلام) مفزوعاً وهو يستدير مواجهًا ذلك الكائن. بينما (إسلام) نفسه لم يكن يُصدق نفسه مما يرى.

كان الواقف شابًا عارياً تماماً، الفرق أنه لم يكن يمتلك عضواً ذكورياً. بل موضع ذلك المكان مسح تماماً!! جسد ضخم متناسق كلاعبي كمال الأجسام. أما الوجه فكان غريباً. إنه وجه (إسلام) الأبيض الوسيم. لكن عينيه كانتا مشقوقة بالطول كالقطط وعسلية اللون كعين (إسلام). ومن وسط شعره يخرج قرنان ينشس لون جلده بطول 5 سنتيمترات. إنه قرين (إسلام). تقدّم من (محمود) الذي حاول أن يوجه له لكمة. لكن لكمته اصطدمت بوجه القرين ولم تؤثر فيه. فجأة أمسك القرين بـ(محمود) وحمله بيديه عالياً ثم جرى به لأقرب حائط وأخذ يضرب رأسه به. و(محمود) يصرخ والدماء تنفجر من رأسه حتى خبثت حركته بعد عدة ضربات في الرأس تركه القرين

يسفط جثة هامدة، وتقدم من فراش (إسلام) الذي كان يجلس
مرعوباً وهو يشاهد ما يحدث. توقف القرنين أمام (إسلام) ونظري
عينيه وقال بنفس صوت هذا الأخير:

"تحت أمرك".

فجأة انفتح الباب بقوة وظهير من خلفه رجل أمن المستشفى وهو يرفع
مسدسه ويهتز من الخوف... زاد خوفه بعدما رأى القرنين وقال بصوت
مرتعش:

"ارفع يدك لأعلى".

نظر القرنين لرجل الأمن بلا تعبير على وجهه ثم تقدم منه ببطء، فأغمض
رجل الأمن عينيه وأطلق رصاصتين عليه ثم فتحتهما فوجد أنه لم
يتأثر. أطلق رصاصة ثالثة اصطدمت بصدر القرنين بالضبط لكها
ارتدت عنه بقوة، صرخ رجل الأمن فرغاً والشرين مازال يتقدم منه.
فجأة اختفى. فدار رجل الأمن بنظرة في الغرفة بحثاً عنه ولكن عينيه
اصطدمت بـ(رقبة) المغشي عليها. وبخنة (محمود). وقع المسدس من
بين يديه وهو يرى ملامح (محمود) تتبدل وتتغير وجسده يسبح كأنه
مغطى بالدهن. بينما يظهر ببطء جسد لا يتعدى مترًا ونصف. عجزير
الشعر يشبه الفرد ويرتدي نفس ملابس (محمود) ومعطفه!!

دخلت بعض الممرضات الغرفة بعدما سمعن صوت طلقات الرصاص.
وبمجرد دخولهن صرخن بصرع. حرك (إسلام) الرافد على الفراش بده
بصعوبة وأشار لـ(رقبة) المغشي عليها. ارتبك رجل الأمن والنقط
مسدسه من الأرض موجها إياه ناحية (إسلام) وهو يتراجع خطوة

للوراء فاصطدم بالمرضات. اللاني صرخ بعضهم عندما وجه
ناحيتن ممدسه خانقا.

جاء صوت رجل من خارج الغرفة يقول:

”ماذا يحدث هنا؟“

ابتعدت المرضات ليفسحن مكانا للدكتور (منصور) المشرف على قسم
الجلدية. دخل فوجد رجل الأمن بنظر حوله بخوف وسلاحه في يده
موجه للأرض. صرخ فيه:

”اترك سلاحك يا بني. ماذا حدث؟“

نظر له رجل الأمن بخوف ثم ترك السلاح يسقط منه على الأرض مرة
ثانية. كانت صدماته متتالية منذ أن أطلق الرصاص من ممدسه
لأول مرة في حياته ومرورا بدويان دكتور (محمود) وتحوله. ونهاية
ب(إسلام) الراقد على الفراش. والذي يشبه من كان يهاجمه منذ قليل.

اتسعت عينا دكتور (منصور) دهشة من الجثة الذائنة. مرر عينييه في
الغرفة حتى وقعت على (رقية). فأسرع يعضو بجانبها يحاول إنعاشها
وهو يناديها. صرخ في المرضات ليساعده في نقلها. بينما أراح
(إسلام) رأسه على الوسادة وهو ينظر للسقف ثم يغمض عينييه.

...

فتحت (رقية) عينها فوجدت نفسها على مقعد بغرفة رئيس قسم الجلدية. والمرضات حولها والابتسامة ترسم على وجوههن سعادة باستيفاظها. تذكرت ما حدث وقالت بصوت متحشرج:

- "أين (إسلام)؟ ماذا حدث له؟"

- "(إسلام)!!"

قالتا إحدى المرضات بتساؤل. فردت أخرى:

- "إنه المريض الذي نقله دكتور (منصور) لغرفة أخرى منذ قليل."

- "هل حدث له مكروه؟"

سألت (رقية) بلهفة بعدما تنحنحت لتتمكن من الحديث بعد طول فترة صمتها في الغيبوبة.

- "حالته جيدة وهو الآن نائم في غرفة جديدة بدل التي ذُمرت."

قالتا إحدى المرضات فردت أخرى عليها باشمزاز:

- "أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. تلك الغرفة مسكونة. هل رأيتم العفريت المقتول فيها؟"

نهضت (رقية) فشعرت بدوار خفيف لكنه ذهب في ثوان. وقالت لإحدى المرضات:

- "خذيني لغرفة (إسلام) يا (عفاف)."

- "ارتاحي قليلاً واحك لنا عن...."

قاطعتها (رقية) بخشونة:

"(عفاف).. قلت لك خذيني الآن!"

شعر (إسلام) بيد تمسح على شعره. لم يكن نانفاً. بل حاول إيهاام الجميع بذلك بإعماض عينيه ليفكر في كل ما مر به. عن القرين الذي زاوه. وعن الطبيب الذي حاول اغتباله ثم تحول لحنى.

مسحت اليد على شعره ثلاث مرات بعنان وبسط.. شعر أنها بد فناة بسبب رقتها وصغرهما. فتح عينيه فوجد (رقية) تنظر له بلهفة. بمجرد ان راته فتح عينيه ارتبكت وأبعدت يدها بسرعة. فابتسم بطرف فمه الذي يستطيع تحريكه. قالت وهي تُعيد حصلة من شعرها لخلف أذنها:

"حمدًا لله على سلامتك".

تأملها (إسلام) بعينيه. بعض الأتربة على وجهها الأبيض من حواء ما حدث في الغرفة ولكنها لم تتأثر. ظلت فسمات وجهها حميلة وخداها يبرزان في وجهها كعلامة مميزة على تقاسيمه المحددة. برنم الخدش الأحمر على خدّها الأبيض بعد ان لطمها (محمود). حتى شعرها الأصفر المعقوص خلف رأسها تحركت حصلاته لتتداخل سويًا ولكنه ظل حميلًا. توقفت عيناها عند عينيها الواسعة المجهدة. شعرت بالحرج فقالت وهي تتبعد للوراء برأسها قليلاً:

- من هذا الذي يريد قتلك؟ ولماذا رأيت هلوسة بعد ذلك؟ وكيف تهدم الجدار بينك وبين الغرفة المجاورة؟

نظر للسقف وقال:

- هل يمكن أن أناذيك (رقية)؟

فوجئت بالسؤال ولكنها لم تجد مانعاً في ظل تلك الظروف:

- تفضل..

- ما شاهدته منذ قليل لم يكن هلوسة يا (رقية) فقد رأيتك معك..

وضعت يدها على فمها وتقلص وجهها.

- المهم.. أطلب منك أن تتصلي برقم هاتف محمول سريفاً لصديق لي

يُدعى (عماد) وتخبره بما حدث، وقولي...

توقف عن الحديث عندما سمع طرقات على باب الغرفة فتحفظ في

رقدته. فُتِح الباب ودخل (عماد) و(حامد) ومعهما (بصفيش) في

هيئة رجل لا يعرفه (إسلام).

- هل يمكن أن تركبنا مع (إسلام) وخذنا؟

قالت (عماد) ل(رقية) فردت بعفوية:

- مع الأسف لن أتركه..

قال لها (إسلام) هامساً:

”لا تخافي فانا اعرفهم“.

نظرت له فالتفت اعينهما كأنهما يعرفان بعضهما منذ سنين. أشاحت
بوجهها عنه ولما درت الغرفة، فقال (إسلام) بإنهاك مشيراً
(بصفيديش):

”من هذا؟“

”أنا (بصفيديش بن ذاعات)“.

لم يبذ على وجه (إسلام) أي نوع من التعبير وقال:

”من؟! ما معنى هذا الاسم؟“

تقدم (عماد) خطوات من الفراش وهو يقول:

”حراستك التي وضعها عليك (حازم) أخيرتنا بكل ما حدث“.

”حراستي!! واضح طبعا أنهم حرسوني!“

قالها (إسلام) مستهزئاً.

”هم يحرسوك من الجان. لكن إذا تشكّل الجان بهينة بشر فيجب عليهم
أن يتشكّلوا أيضاً. وهم غير مأمورين بذلك“.

قالها (عماد) لكن (بصفيديش) أضاف:

”وبالتأكيد ارتبكوا بعدما ظهر فرنك ليقتل القول. كيف حدث هذا؟!“

”لا اعرف.. لكن كيف عرفت عما نتكلم؟“

جلس (يصفيدش) على طرف الفراش وقال:

"نحرج لا نعرف كيف يتحرر قرينك وأنت في عالم البشر بدون أن تموت، وكيف يكون في خدمتك ويتحدث معك".

"المشكلة ليست في كيف تحرر القرين ولم يمضت. المشكلة أنه..."

قاطع (يصفيدش) (عماد) قبل أن يكمل عبارته. وقال بصوت خشن وحاسم:

"إنها المشكلة الوحيدة الآن. ألم تفهم بعد؟!"

رفع (عماد) حاجبيه مندهشاً بينما فتح (حامد) فمه غباءً. نظر (يصفيدش) لـ (إسلام) وقال:

"هل سمعت باسم (يصفيدش) بين ذاعات قبل الآن؟"

"لا".

"هل تعرف اسم من قتل صديقك (يوسف)؟"

"لم أعرفه بعد ولكني أبحث".

"في أي كلية تدرس؟"

كاد (إسلام) بحجب ولكنه توقف وهو ينتظر لـ (يصفيدش) بلا تعبير. ثم قال:

"كانت على بالي للحظة، لكني لا أذكرها الآن".

نظرو (يصفيدش) ل(عماد) وقال:

”صاحبكم يفقد ذاكرته بالتدريج“.

قال (عماد) ل(حازم):

”قبل أن يأتي (إسلام) وجدت نقطة شبيهة بتلك النقطة تتحرك بسرعة غريبة داخل سوانل الغرفة. في البداية لم أفهم ما هي. ولكن بعد زيارة (إسلام) وجدت تحركاً غريباً لأعداد ضخمة من القرناء يدخلون عالمنا. قرناء لرجال ماتوا. الغريب أن تلك النقطة التي تتحرك في السوانل كانت بالقرب من منحلقة ظهور القرناء. ويوم اختفاء.....“

توقف (عماد) عن الكلام ونظر حوله لسوانل الغرفة:

”- (حازم). ألا ترى أن هناك حركة غريبة بين سوانل الغرفة؟!“

نظرو (حازم) وراءه ليرى. وفجأة انفجرت الغرفة من الداخل وطار (حازم) و(عماد) ليصطلما بالحوائط. واندلعت النيران في الغرفة من العدم مع أبخرة سوداء. لم يستغرق الأمر ثوانٍ إلا وقد انتهى الانفجار ذو الصوت المرعب وخلف وراءه الغبار والأبخرة السوداء. على الأرض زحف (حازم) وقد تمزقت ملابسه وملأت الجروح وجهه وجسده محاولاً لجثة (عماد) الذي لم امتلاً وجهه بالدماء. كان شاخص العينين. فأخذ (حازم) يهزه بكل ما أوتي من قوة حتى شاهده من

وسط الغبار يحرك شفتيه ببطء. فاقرب بأذنه من شفتيه ليرسمه بصعوبة وهو يقول بصوت هامس متعك:

”يجب أن يكون للغرفة سيد. أنت من الآن سيد الغرفة“.

بمجرد أن قال (عباد) عبارته أغمض عينيّه ومال رأسه. غاب (حازم) عن الوعي لدقائق. ثم شعر باللم في مؤخرة رأسه. فتح عينيه بتناقض ورائحة غبار تتخلل أنفه. عادت له الرؤيا فوجد الغبار يعلاّ الهواء. رفع رأسه قليلاً فوجد (عباد) كما هو شاخص البصر والدماء تُغرق وجهه وجروح مختلفة منتشرة بأجزاء جسده تتخلل ملابسه الممزقة من جراء الشظايا.

فكر أن هناك احتمالاً أن يكون الإسعاف في الطريق إليه الآن. نظر حوله بصعوبة وبدأ يشك أن أحداً من سكان العمارة قد شعر بشيء من الأساس!! نهض بصعوبة فأحس بوخز بسيط في قدمه اليمنى. نظر لها ودقق.. فغذه الأيمن تسيل منه الدماء وقطعة زجاج مسدسة الشكل مستقرة في لحمه. أحس هنا بالألم يزيد. ربما لأنه شاهد موضع الجرح بنفسه. لو لم يلاحظه لما زاد الألم هكذا.

بعدها وقف على قدميه نظر مرة أخرى لجثة (عباد) ثم سار بصعوبة باتجاه الباب وعندما وصل عنده فقد وعبه ساقطاً على الأرض مرة أخرى

مرت عليه ثلاث ساعات فافذا الوعي، حتى أفاق مرة أخرى. أحس بالعطش كأنه ينام على رمال الصحراء. نهض ف شعر بأن العرقه تدور به. نظر لقدمه فوجد الدماء مازالت تسيل. قمض على مقبض الباب ولتحة بصعوبة فسمع الأصوات المبهمة لإزاحته. خرج وعقله يدور. سعد السلم وهو يتعبط ويسقط ويبهض ثانية. ودوران الأشياء من حوله يريد. وصل الى المدخل الصغير الذي يقضي الى عرقه مكنت (عماد). فتح الباب ودخل المكنت بسرعة فاصطدم بمقعد صغير ووقع معه أرضاً. صرخ وهو ينظر حوله:

" اذهبوا لعماد) بسرعة. اجعلوه يحضر. أنا أموت!"

جلس الشيخ (محمد) على مقعد في صالة شقته يرتدي جلبابه المتزلي وهو يذكر الله مستخدماً عقل اصابعه للعد ناطراً للفراغ بعقل شارد. حتى وجد نفسه في لحظات كثيرة قد توقف عن الذكر تلقائياً وعقله يسرح في مسالة (يوسف) ومونه.

سمع صوتاً يشبه الحفيف في غرفة تومه فانتبهت حواسه بسرعة. فهو يعيش تلك الأيام في أحداث عربية لم يكذب بتخيل أن يرى رعبها في حياته.

اعتدل في جلسته وأنصت. هل كان يتخيل؟

يهض من مقعده واقتراب من باب الغرفة وهو يُتتمتم بالذكر، خرج من
الغرفة طفل صغير يسير بلا صوت.. تراجع الشبخ للوراء وعلا صوت
الذكر من فمه رغماً عنه.

في اللحظة التالية أدرك أن الدماء تُغطي وجه الطفل وقرنين صغيرين
يخرجان من رأسه، لولا الدماء والقرنان لحسبه طفلاً عادياً بجلبائه
الصغير الذي يرتديه وملامحه البرينة الهادئة.

علا صوت ذكره أكثر، ومن الغرفة خرج رجل يرتدي جلباباً ودماء على
شفتيه ونفس القرنين الصغيرين أعلى رأسه.. فجأة خرج الكثير من
الرجال والنساء بلا صوت، يقتربون منه وهو يتراجع أكثر حتى عاد إلى
مقعده مرة أخرى وسقط علي. وانعقد لسانه عن الذكر.

اقتراب الجميع منه وهم لا يكفون عن الخروج من غرفة النوم، أغمض
عينيه في استسلام لكنه سمع صوتاً مألوفاً.. صوت (يوسف) يقول:
- "هذه آخر زيارة لي يا صديقي.. جنت ومعى هديتي".

الفصل الأول فيما مضى

عام 1762 لم يكن مميزًا عن بقية الأعوام في فارس. وبالتحديد في محافظة (إسفرابين) بخراسان الشمالية. ربما لم يكن مميزًا لدولة فارس ككل. ولكنه بالتأكيد كان مميزًا لـ (مهران بن حسين) الفتي ذي السبعة عشر عامًا. بعينه البنية وشعره الأسود ولحيته النامية الصغيرة التي يحاول أن يرببها كي تعطي لوجهه الهيئة التي يعتقدونها بين أقرانه. ساعد موت أبوه على تقليل قيمته بين أبناء جلدته. ربما حصل على تعاطف كبار السن. لكنه كان مهانًا بين أبناء الحي الذي يقطن فيه مع خالته العجوز. فمعها تلقى من إهانات لن يظهر له والد قوي ليرد على من أهانه. وخاصة أنه لم يعرف له أعمامًا.

في ذلك اليوم المشمس استيقظ في غرفته وهو يسمع المؤذن يعلن حلول موعد صلاة الظهر. نهض من فراشه التي يفرشها على الأرض بنثاقيل. بدل ملابسه وارتدى جلبابًا كحلي اللون ووضع على رأسه طاقية من القطن كانت هدية له من الشيخ (جعفر) الذي رباه روحياً. وضع قدميه في النعل وغادر المنزل ذا الطابق الواحد ليسير نحو المسجد. مر على منازل حبه التي لم يكن يعرف أنها تشبه منازل الفقراء في القاهرة في ذلك الوقت. لكنه سيعرف لاحقًا. الحركة بطيئة في ذلك الحي. وتكاد تكون منعدمة برغم انصاف شمس النهار. ولكن أمام أحد الدكاكين التي تباع الحلوى وقف ثلاثة شباب في نفس عمر (مهران) يتحدثون. نظر له أحدهم بعد أن انتبه لوجوده ونه البقية أيضًا. حاول (مهران) أن يسرع في خطواته. ولكن الثلاثة أحاطوا به في نوان. وقال أحدهم:

“هل تذهب للصلاة يا (مهران)؟”

أجابه بقلق:

"نعم يا (يرقدار)".

"لماذا لا تدعونا أن يدينا الله؟"

"حاضر سأدعو. ابتعد عن طرفي الآن لألحق بالصلاة".

رد أحد الشباب بعنف:

"هل تأمره بالابتعاد؟! انجروا على أن تأمره يا كلب!"

"لا والله لا أقصد. لكن..."

قاطعه أحدهم وهو يلكمه بقنضته قائلاً:

"ونرد علينا ايضاً!"

وقع (مهران) أرضاً وهو يصرخ ببأس

"ارجوكم لا اريد عراقاً".

ضحك الثلاثة وابتعدوا عنه ليقفوا في موضعهم السابق. نهض وهو ينفض ملابسه من الأتربة وينظر لهم بحرقه. سار في طريقه إلى أن وصل إلى بوابة المسجد. شعر بأن عينيه تحرقه. وضع إصبعه على عينيه فوجد الدموع تخرج منها على استحياء. نظر لباب المسجد الذي يدخل منه المصلين ولكنه لم يستطع الدخول. سار حتى ابتعد قليلاً عن المسجد وجلس على الأرض مرتكناً إلى أحد حوائط المنازل. نظر أمامه وانفجر بالبكاء. كان معتاداً على البكاء بسبب إهانة الجميع

له. وبمجرد أن يبدأ في البكاء يتذكر فقره وعجز حالته ومستقبله غير
المحدد الملامح. وعمله ليلاً في محل العطارة الذي لا تكاد النشود
القليلة التي يتحصل عليها من صاحبه تكفي لإطعامه هو وخالته.
يتذكر جوعه الدائم الذي لم يستطع أن يسده. وهو يبدي إطعام
خالته العجوز على سد جوعه. يتذكر كل هذا بالإضافة إلى إهانتة
الدائنة من قبل كل من بالحي من الشباب فيزداد بكاءه.

شعر بمن يجلس بجانبه على الأرض فانتفض ناظراً إليه فوفقت عيناه
على رجل عجوز في السنين برتدي عمامة بيضاء مهلهلة. وحبائنا
أبيض متسخاً وعباءة سوداء منقوبة في أكثر من موضع. له لحية
بيضاء تُضيف الطبقة على ملامحه الوسيمة المرهقة. في يده اليمنى
كيس من القماش وفي يده اليسرى عصا ضخمة. قال الرجل بصوت
رخبم:

"أحبك على شجاعتك. بكاء الرجل في حد ذاته ليس ضعفاً كما يشاع.
بل شجاعة على التعبير عن نفسه".

ثم نظر العجوز أمامه وقال:

"لكم تمنيت أن أبكي.. ولكي لست شجاعاً مثلك".

مسح (مهران) دموعه بخجل وقال:

"لم أرك هنا من قبل؟"

"كنت أسير في طريق الطويل. حتى غلبني التعب والجوع. فجلت أجلس
بجانبك".

- "واين هي وجبتك؟"

ابتسم العجوز وقال:

- "الموت يا (مهران)".

- "هل تعرف اسمي؟"

- "لايهم، هل تعرف ما الذي أتمناه الآن؟"

- "لا"

- "أتمنى أن أكل ثم أنام".

- "هيا لداري لأطعمك".

قالها (مهران) ثم نهض. فقال العجوز مبتهماً:

- "ولكنك فقير".

- "وأنت مثلي.. ولكنك تحتاج الطعام أكثر مني. هيا بنا".

للحظة سأل نفسه هذا السؤال. لم يساعده؟ فوجد الاجابة تقفز لعقله.

لأنه يشعر بالفة مع من هو اقل منه حالاً. فلو استطاع مساعدته

لشعر بالسيطرة بقوة زانفة يحتاجها ليتقبل فقره. ساعد (مهران)

العجوز على الوقوف ثم سار وهو يتكى على عصاه بجانبه عاندين

لطريق المنزل. في طريق العودة مرا على الشباب الثلاثة. فقال

أحدهم:

- "من هذا يا (مهران)؟ هل نبت لك أب من جديد؟"

لم يتوقف (مهران) ولكن خطواته صارت مرتبكة وسريعة حتى كاد أن يتعثر. لكن الرجل العجوز توقف ناظرًا للشباب مبتسماً.

”بدو أن قريبك مجنون يا (مهران). واضح فعلاً أنه من عائلتك“.

ظل العجوز ينظر للشباب مبتسماً لحظات فنظر الثلاثة لبعضهم البعض بدهشة. زادت ابتسامة العجوز وفجأة ضحك ضحك منقطع بصوت عالٍ. كان صدره يتحرك أثناء الضحك كأنه يبذل مجهوداً. والسعال يتخلل الضحكات حتى انتهى منها.

توقف (مهران) والخوف يظهر على ملامحه. بينما العجوز يعتدل أكثر مستنداً على عصاه وهو ينظر إلى أحد الشباب ويقول:

”كيف حال أمك يا (عباس). يبدو أنك تركتها لترتاح مع عشيقها (أحمد) العلاف أثناء سفر أبيك هذا الشهر للتجارة في بلاد العجم.. العجبة أنك تعرف وتصمت. بل وتسكع هنا لتتركها بلا إزعاج“.

اتسعت عينا (عباس) ونظر الاثنان الآخران إليه. ولكن العجوز أكمل:

”الأعجب يا (عباس) أنك تسكع مع (بيرقدار) الذي سرقت سوار أمه الذهبي أول أمس عند زيارتك له. ألا تخجل؟“

رمق (بيرقدار) (عباس) بصرع يختلط بالشك. فنظر العجوز بنفس الابتسامة إلى الثالث وقال:

"وانت يا (منصور) الم تخبر صاحبك بعد بانك تغتصب أطفال هذا
الحي ليلاً بعدما ترتدي اللثام. وبسببك عاش أهالي الحي في فزع طوال
العام المنصرم؟"

هنا صرح (بيرقدار) في (منصور) قائلاً:

"هل أنت من الغتصب ابن أختي؟"

"إنه يكذب. هل سنصدقك؟"

نظر (بيرقدار) للعجوز وتقدم منه بغضب وهو يقول:

"من أنت يا هذا وكيف عرفت ما تقول؟"

"لا يهم كيف عرفت المهم أنه صحيح."

"لا دليل عندك."

"أنت الدليل."

توقف (بيرقدار) والعجوز يكمل:

"أنا أعرف أنك تشرب النبيذ كل ليلة في غرفتك قبل أن تنام. ولا يعرف
أحد هذا السر غيري."

لم يظهر أي تعبير على وجه (بيرقدار).. نظر العجوز إلى (مهران) وأكمل
سيره بينما (مهران) يرمقه بخوف.

فحاة رفع (حامد) يده اليمنى كأنه يمسك عصا وأخذ يرفص على اللعيط
الصعدي على نغمات الأغنية.

((ضيعت مالي وأنا مالي.. ضيعت مالي وأنا أعمل إيه.. البت بيضا بيضا
بيضا. البت بيضا وأنا أعمل إيه))

فحاة نظر (حامد) لغرفة المكتب وهو يحدث نفسه بأنه تخيل سماع
صوت من داخلها. فتح بابها بعرض لينظر داخلها..

((اه يا ولدي يا ولدي أنا حبيت.. وبنار الهوى انكوبت))

دخل الغرفة وهو يخفض صوت الأغنية قليلاً لكن صداها مازال يتردد.
ركز سمعه ففهم أن الصوت يأتي من وراء الباب المؤدي للغرفة
النحاسية. فتح الباب ونزل الدرجات وصوت يشبه الاحتكاك المعدني
لمعدات ميكانيكية يتصاعد كلما نزل درجات السلم. حتى وصل لباب
الغرفة النحاسية المفتوح..

((يا حلو داري داري جمالك.. داري جمالك وأنا أعمل إيه))

دخلها بحذر فشعر بضغط على أذنه كأنها ستنفجر. لكنه لم ينتبه
للضغط بقدر انتباهه للغرفة النحاسية وأجزائها المبعثرة. كانت
الغرفة مظلمة إلا من ضوء بسيط لا يعرف مصدره بنبر جزءاً صغيراً
منها.

أجزاء وشظايا منتشرة على الأرض ترتفع في الهواء من تلقاء نفسها
وتلتصق بأجزاء أخرى في الحوائط. قطع زجاجية تتجمع وتلتصق
بالعائط وسائل يسير داخلها. الأصوات تزداد كأنها تروس تدور داخل

التي عملاقة، وبعض القطع الزجاجية المحتوية على سائل نضار.
بصوتها السابق.

((التي بيضا بيضا بيضا.. التي بيضا وأنا أعلم إبه))

كل الشظايا التي تناثرت على الأرض عادت لهبتها الأولى ملتصقة
بالحوائط. وعادت بعض الحوائط تدور في حين رأى (حامد) جثة
(عباد) الملقاة في ركن الغرفة فاقشع ربه. وقيل أن يدفق سمع
صوتًا يتكلم من داخل الغرفة. كأنه صوت معدني يقول عبارة غريبة
على أذنه.

جاء صوت (رحيم) في أذنه خانفًا يقول:

“الغرفة نتكلم”.

لم يكن (حامد) أقل منه خوفًا وهو يسأل هامسًا:

“ماذا تقول؟”

“نقول بالسريانية (تمت إعادة الغرفة)”.

فجأة نحشج صوت الأثلجية والغلق الهاتف من تلقاء نفسه. وانطلق باب
الغرفة في نفس الوقت.. نظر (حامد) برعب إلى الباب. نفس الصوت
الميكانيكي قال عبارة طويلة ولكنه مَيَّز فيها نطق اسمه جيدًا.

“ما الذي قيل يا (رحيم)؟”

لم ينطق (رحيم) إلا بعد فترة وجاء صوته مذهولًا:

- (تم قبول السيد الجديد للقرفة (حامد). وجساسة) -

- "أحبه!"

هرش (طه) في ذقنه الكثيفة وهو يقف خارج سبكشن مادة (protection) في قسم الكهرباء بهندسة شبرا، ومن يمر عليه برفع يده محييا إياه بود وهو يرد لهم التحية بهز يديه بحركة عصبية.

أخرج علبة سجانره المكرمشة من جيب بنطاله الجيتر الضيق وأخرج منها سيجارة أشعلها بولاعته وأخذ ينفث دخانها بغضب. مر عليه أحد المعيدين بالقسم فوقف بجانبه قائلا:

- "التدخين ممنوع في الكلية."

- "أخرس!"

ابتسم المعيد الذي كان صديقه وزميله في نفس القسم منذ سنوات. وقال:

- "لا تقل لي إن دكتور (سهماوي) طردك من جديد."

نفث (طه) دخان السيجارة كأنه يبصقه وقال بعصبية:

- "لن أخرج من تلك الكلية المشؤومة إلا بموت (سهماوي) هذا!"

- "أخفض صوتك كي لا نسمعنا!"

- "طظ!"

فألها بصوت عالٍ رن في أروقة المبنى ولكن لم يجره أحد اهتمامًا، فكل من في المبنى يعرف (طه) وطباعه ويتحاشى إغضابه. الجميع يعرف حكايته منذ أن كان طالبًا عبقرنا عند دخوله قسم الكهرباء بكلية الهندسة، وحصوله على المركز الأول على دفعته في السنة الأولى والثانية، والجميع يعرف أن دكتور (سعيد سلماوي) تعارك معه كلاميًا، وأن (طه) قدم محضرًا في القسم بتهمة فيه بالسب والقذف، صحيح أن المحضر حفظ لأن الشهود تراجعوا عن أقوالهم، ولكن (سلماوي) حكم حكمًا نهائيًا لا استئناف فيه على (طه) بأن يظل حبيسًا في السنة الثالثة من دراسته حتى يفصل دراسيًا.

وما هو عامه الثامن في نفس السنة الدراسية بقضيه بعد أن أوصى (سلماوي) بعضًا من أساتذة القسم عليه، اعترض البعض الآخر لكن اعتراضاتهم ظلت بلا طائل، كل من دخل هذا القسم كان يعرف حكاية (طه) وتذكر تصديقها في البداية، لكن سرعان ما يتأكد له الأمر.

كم من أصدقائه وزملاء دراسته أصبحوا معيدين في نفس القسم وبعضهم حصل على الدكتوراه، وكم منهم تعاطف معه لكن قوة (سلماوي) وسيطرته على القسم منعت الجميع من التدخل اتقاء لشره.

والقريب أن الجميع كان يستعين بـ(طه) في مشاريع التخرج وفي شرح المواد المختلفة لكافة السنوات الدراسية حتى السنة الرابعة، بل ظهرت عبقرته في مساعدة أصدقائه المعيدين في رسائل الدكتوراه.

لم ينس الجميع دخوله مباحث أمن الدولة لأيام بسبب جهاز صممه يرسل موجات إذاعية حتى 30 كيلومترا. استخدمه في التحدث مع طلاب المبنى بشكل ساخر في برنامج كوميدى لمدة ساعة يوميا. كان يتحدث فيه بحريته عما يحدث في أقسام الكلية، واشتهر لأسبوع بين الطلاب الذين استقبلوا موجته الإذاعية على راديوها صغيرة أحضروها معهم يوميا للاستماع إليه. وخاصة أنه كان يبث برنامجه من مقهى بجانب الكلية يجلس عليه وهو يعمل جهازه ويتحدث إليهم. حتى قيل إن مباحث أمن الدولة تركته لإعجابها بعبقريته. والبعض قال لخفة دمه.

صار أسطورة بين جميع الطلاب الذين اندهشوا في بداية تعرفهم به من لحيته وحاجبيه الكثين وشعره المتطاير. الذي لا تعرف إن كان يمشطه والهواء يبعثره أم لا يهتم به من الأساس.

لكن بمجرد اقترابهم منه تنهار الحواجز ويشعر الكل أنه يعرفه منذ مولده.

انتهت المحاضرة وبدأ الطلاب في الخروج. فجذب المعيد السجارة من فم (طه) ورماها بسرعة وهو يجذبه ليباعد عن قاعة المحاضرات كي لا يشنك مع (سماوي) كعادته.

طاووعه (طه) حتى ابتعدا قليلا.

"اتركني الآن يا (سامح)!"

فألها (طه) بعصبية وهو يثقت ذراعه من بين يدي صديقه

”ارجوك لا تعد لدكتور (سماوي)“.

”لا تغف... سأعود لمنزلي“.

”كما نحب، المهم أن تتعد عنه“.

اشاح (طه) بيده بحركة لبس لها معنى وهو يهز رأسه بالإيجاب. غادر المبنى سريعاً وهو يزد التحية لكل من يلقيها عليه، حتى وصل إلى سيارته المصفوفة بجوار الكلية. استقلها وهو يفكر فيما سيشغل في يومه الذي أنهاه مبكراً، لم يكن ذا مزاج رائق ليكمل أبعائه التي بدأها منذ ست سنوات في الغرفة التي يعتبرها كورشته في منزله. قرر أن يفكر في خطته اليومية عند وصوله للمنزل.

لم تكن الشقة التي يقطنها بعيدة، فهي على بعد عدة شوارع من الكلية. هي في الأصل شقة والده التي تركها له ليعيش فيها منذ ثلاثة عشر عاماً، فهو بحسب السنوات جيداً منذ تركه والده بعد وفاة أمه بالكيد.

قبل وفاة والدته كان يعيش معهما، يعود متأخراً كل يوم لكن حضوره يكفيه. لكنه فجأة بعد العزاء قرر الابتعاد والأطمئنان عليه تليفونياً.

كانت صدمة تفوق صدمة وفاة أمه مع هذا البعد المخاض غير الممرر. حاول استيعاب الصدمة ففضل، تركه يعيش وحيداً وهو في المرحلة الثانوية وأخبره بأنه سيسافر بعيداً في عمل مجبر عليه، وترك له ودعة بنكية بقيمة مليون جنيه تدر عليه شهرياً ما يقارب التسعة

الاف جنبه، علمه كيف بصرف نفودها وكيف يدفع فواتير الكهرباء،
والغاز وغيرها، ثم اختفى.

بكل بساطة.. حتى الآن لم يفق من صدمة ابتعاده، فلم يشعر بقيمة
النفود وحيداً، نحمل مسؤولية نفسه في وقت لم يُعد له عدته.

كان والده يُحدثه هاتفيًا كل فترة وبزوره في بعض الأحيان. حتى الأحاديث
والزيارة لم يمنعوا الكره الذي نمت يوماً بعد يوم. لدرجة أن آخر أربع
سنوات تجاهل تمامًا كل اتصالاته. والغريب أن والده لم يزوره أيضاً.
ولأنه لا يعرف شيئاً عن أقارب والده سوى أنهم من الصعيد: فقد
حاول التقرب من أقارب أمه في البداية، لكنهم لفظوه لسبب لم
يعرفه وإن شك أن والده السبب، فعاش وحيداً يائساً لم يجد ملاذاً
له سوى حبه لهندسة الكهرباء.

جاء موعد تجديد وديعته فجدّدها لعشر سنوات أخرى بعدما استلمها
وأصبح رصيده البنكي بجانب وديعته ذا رقم لا يحلم به أي شاب في
عمره.

قاد سيارته لمطعم (مؤمن) ليُحضر غدائه المكوّن من بعض الشطائر.
وأوقف سيارته أسفل العمارة التي يقطن بها.

صعد السلم بسرعة إلى شقته التي دلف إليها لكنه شعر بشيء غاظر.

بمجرد دخوله وإشعاله الأنوار أحس بوجود كيان داخل الشقة. تحرك
بخطى ثابتة كي يكتسب ثقة حتى سمع لهاًناً يأتي من طرف الصلاة.

نظر باتجاه الصوت فقوحي بجسد يشبه القرد يجلس مستنداً على
العائط. رفع هذا القرد يده المخلبية وقال بصوت رفيع:

"لا تؤذني فقد جنت من طرف (عباد).. أنا الجساس القديم.. خادم
والدك.. رحمة الله".

"فشلت خطة قتل (اسلام) سيدي. هل تريد التفاصيل؟"

قالها الجني (للمخلي) الجالس أمام (قصعان). فهز الأول رأسه بهدوء
وأشار بيده له ليرحل. نظر لـ (قصعان) المبتسم قائلاً:

"لا تفرح هكذا".

"أعتقد أن سطوتك لا تشمل عالم البشر".

ابنسم (المخلي) بسخرية واقترب برأسه من (قصعان) وقال:

"هل تعرف يا صديقي أنني توقعت هذا الفشل؟"

"حيد أن تعرف أنك فاشل".

"لا.. هناك فرق. توقعت هذا الفشل وانتظرته ولا يهمني كيف حدث.
الأهم أنني أشغل أصدقاءنا في عالم البشر وأشغل (بصفيديش)
بصراعات جانبية كي لا ينتهوا لتعضيراتنا لخروج الملوك من
أسرهم".

"أرى أنك نستبين مرة أخرى بقوة البشر كما استهنت بها قديماً".

- "البشر أغبياء، يمتلكون القوة ويخافون استخدامها".

- "على حسب كلام رجالك فإن أحد البشر هو من تسبب بسجنك".

اختفت ابتسامة (المخلي) وقال:

- "بدو أنك كونت صداقات مع رجال!"

اعتدل في جلسته مكملاً كلامه:

- "لو كنت تقصد (اسماعيل الحلاج) فأنا لم أنسه. وعاقبت حفيده بما يستعفه".

- "عاقبت حفيده وتركته (اسماعيل) نفسه في حماة (بصفيديش)".

- "سبعين دوره هو الآخر. لا تشغل بالك بهذه التفاهات وحضر نفسك للأيام المنتظر. فكل شيء سيتغير للأفضل. حتى بالنسبة لك. فأنا لا أنسى فضل من ساعدني".

- "سرى".

دخل فجأة أحد خدام (المخلي) مهرولاً وهو يقول:

- "هناك مصيبة تحدث".

- "تكلم".

قالها (المخلي) يعصبية فرذ الخادم:

- "الغرفة النحاسية تخلفني تدريجياً عنا مرة أخرى بعدما كانت ظاهرة".

صدم (المخلي)، ولكنه تمالك نفسه بسرعة وقال:

”حاول إرسال أحد أتباعنا ليخترق المنفذ ويدخل إليها، أريد أن أعرف ما يحدث الآن“.

”المنفذ القديم أغلق، ولا منافذ نراها حتى الآن“.

”أعجز عن الشكريا دكتورة (رقية)“.

قالها (عماد) وهو يقف خارج غرفة (حازم) في المستشفى. فنظرت له (رقية) قائلة بنبرة قلقية:

”لا داعٍ للشكر، الطبيب الذي يضمّد جراح صديقك بالداخل صديقي منذ زمن وسيلتزم الصمت حول جروحه، ما يقلقني هو ما سيحدث عندما يتابعه أحد الأطباء هنا، سيندهش من عدم إبلاغ الشرطة عن طبيعة جروح صديقك“.

”هل يمكنه الخروج من المستشفى بعد تضميد جراحه ومتابعته في المنزل؟“

”بعد دفع فاتورة المستشفى يمكنه أن يخرج بعد أيام، جسده لن يتحمل الحركة بهذه السرعة“.

نظرت حولها ثم قالت بصوت خافت:

”هل سنخبرني الآن بما يحدث مع (إسلام) وصديقك؟“

مرر (عماد) أصابعه بين شعره وزفر متبهدًا وقال:

- "اعتقد أن الموضوع يطول شرحه. حتى إن شرحه لن تصدق به بسهولة."

- "بعد ما رأيته يحدث لـ (إسلام) سأصدقك أي شيء."

- "هل يمكن أن أوجل الشرح الآن وأعدك أن تعرفني كل شيء غداً على الأكثر؟"

لم تعجبها إجابته ولكنها هزت رأسها منفضمة. في نفس اللحظة خرج الطيب من غرفة (حازم) ترافقه ممرضة تحمل طبقًا. نظر لـ (عماد) بمرود ثم طلب من (رقية) أن ترافقه. ابتعد بها عن (عماد) أمثارا قليلة وقال لها همسا:

- "أرجو أنك تعرفين هذا المريض جيدًا. فقد أخرجت من جسده الكثير من الشظايا. كأنه تعرض لانتجار قبيلة."

- "افتح الباب."

قال (بصفيدش) العبارة وهو يشف أمام بوابة ضخمة نقش عليها نقش لرمح طويل مقدمته على شكل عقرب. مخاطبًا رجلًا من الجان يقف أمام الباب يجعل سيفًا في نطقه.

فتح الرجل الباب وهو ينحني لـ(بصفيديش) احتراماً، ودخل معه لغرفة ضخمة لا تحتوي إلا على طاولة في منتصفها مسجى عليها جسدان وعليهما محفة سوداء.

دخل في تلك اللحظة رجل آخر للغرفة، فأشار (بصفيديش) للحارس كي يسمح له بالعبور، وقف الرجل بجانبه وهو يتأمل الطاولة.

- "قل لي رأبك في خطوتنا القادمة".

فأجاب (بصفيديش) فقال الواقف بجانبه:

- "لا أعرف يا سيدي لكن الوقت يمر سريعاً و(المخلي) يقترب من هدفه".

- "هل وافق المجلس بعد على طلبي لتنشيط رجالنا؟"

- "أعتقد سيرفضون، نقاشاتهم تنبئ بذلك، يرون أنها مخاطرة ستكشفهم للمخلي".

- "ورأبك أنت؟"

- "(المخلي) حلم منذ زمن بمعرفتهم ليستخدمهم في تجهيزه لفتح البوابات، وأعتقد أن المجلس صادقاً الصادق في خوفه من تلك النقطة".

- "أخي تعود دائماً على أن يُنفذ المهمات الهامة بنفسه، هل نتذكر كيف أتى بـ(قصعان) من سجنه البحري بنفسه؟"

- "أتذكر".

تقدم (بصفيدش) حتى وقف أمام الطاولة وقام بنزع المحفة من عليها
ليظهر جسد (يوسف) و(إسماعيل العالج) النائمين.

-أصدر امرًا بتنشيط رجالنا في مصر."

قَالهَا (بصفيدش) وهو يتأمل الجسدين

-ورأي المجلس - هل -"

قاطعه (بصفيدش):

-قلت لك نشط رجالنا. لا نتظر رأي أحد. الوقت له ثمنه الآن. ويجب
أن نستعمل كل ما نعرف."

-وبعد التنشيط. هل ستطلب شيئًا محددًا منهم؟"

-لا شيء أكثر من أن يصبحوا جاهزين.. قل لي. هل وجدنا حلًا بعد
لإيقاظ (يوسف) و(إسماعيل)؟"

نظر الرجل لهما برهة وقال:

-التعام القرين بالجسد يفشل باستمرار."

أعاد (بصفيدش) المحفة على الجسدين ونظر للرجل وقال بجديّة:

-إحدى آمالنا في عودة (إسماعيل) وحفيده."

سمع الاثنان صوت عراك خارج الغرفة ليكنشفوا أنه أحد رجال
(بصفيدش) يتعارك مع الحارس. صرخ (بصفيدش) كي يدخل رجله
فدخل هذا الأخير وهو يصرخ:

الغرفة النحاسية طردتنا وأغلقت منافذها لتخفي عن عالمنا والسيد
(حامد) و(رحيم) اختفوا معها عما.

...

"قل لي إني أحلم".

فألبا (حامد) ل(رحيم).

"أنت نعلم".

"الحمد لله. كنت وانقأ".

ضرب (حامد) بيده اليمنى على رأسه فرحاً وهو يقفز في موضعه داخل
الغرفة النحاسية. فعاه صوت (رحيم).

"لكنك لا نعلم".

"ألم تقل لي إني أحلم؟"

"أنت طلبت مني ذلك".

"لحي".

"أرجوك لا تتحدث عن الغناء. فلم أكن أنا من نزلت للغرفة النحاسية
في هذا الوقت".

لجأة توجهت دائرة خلف منضدة الغرفة. توجهت باللون الأزرق
الشفاف.

-تقدم وقف في الدائرة-".

قالها (رحيم) فرد (حامد):

"يا سلام.. ولماذا لا تقف أنت؟"

"لأنك سيد الغرفة النحاسية. ويبدو أن الدائرة تناديك".

-وما أدراك بهذا!! ربما كانت الدائرة للاحتفال ليس أكثر. من قال لك

إنني يجب أن أقف بداخلها؟ اليس هناك كتالوج لهذه الغرفة؟"

صرخ (رحيم) في أذنه:

-كفكاف ثرثرة وقف في الدائرة-".

اشتعلت دائرة أخرى أمام المنضدة بنفس اللون فأشار (حامد) إليها قائلاً

بفرح:

-هذه دائرتك يا (رحيم) هيا قف أنت بها أولاً".

ظهر جسد (رحيم) بشكل مموه داخل الدائرة. بينما وقف (حامد) في
دائرته.

-لم يحدث شيء-".

قالها (حامد) بدهشة وهو ينظر يميناً ويساراً.

- (رحيم).. هل حدث لك شيء؟"

لم يتلق من (رحيم) إجابة فكرر السؤال. فجأة اختفت معالم الغرفة من حوله

ووجد نفسه في نفس الغرفة لكن بلا أثاث أو رخارف على الحائط. وفي ركن الغرفة رجال يرتدون الجلابيب والعمائم ماعدا واحد فقط لا يرتدي عمامة. يتبدل شعره الناعم ويُعطي أذنيه.

كان يشير لهم بيده كأنه يرشدهم وهم يتحدثون فيما بينهم. وهو يشير بإصبعه إلى نقطة ما في الحائط. أحدهم يحمل معه لوحة مزخرفة ويقوم بتثبيتها على الحائط الذي أشار إليه.

الجميع يتحدث بلهجة تشبه المصرية إلى حد مدهش. أما هو فكان يتحدث العربية الفصحى بركاكة كأنه تعلمها لتوه.

-نقش الرجل ذو العشرة أحنحة هو رمز سيد قبيلة العفاريت (الجناح) الذي قال لسيدنا (سليمان) (أنا أتيتك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين). ولن يتحرك النقش على الأرجح لأن (الجناح) وقبيلته اختفوا بعد موت (سليمان) ولم يتدخلوا في عالم البشر من وقتها".

فألها مرشدهم فسأله أحدهم:

-هل يمكننا استدعاه لإحدى غرفنا النحاسية؟

-أسمعني يا معلم (جرجس). طائفة العفاريت لا تُسخر ولا تُقرن ولا تُستدعى. الجن يتعاشونهم والبشر لا يعرفون لهم طريقًا. لو تحرك هذا النقش ودخل عفرت لعالم البشر أو تعارك مع أي قبيلة من

فبائل الجان سيهني هذا أن العالم بهار. ونصيحتي لكم ألا تحاولوا
استدعاءهم. فهم قادرون على تدمير الغرف النحاسية في طرفة عين.
سأقرن لكم فطسمهم على هذا النقش لكنكم لن تحتاجوا لمناعبته."

تأكد (حامد) أنهم لا يلاحظون وجوده وخاصة عندما دخل رجل من فتحة
في الغرفة في موضع الباب حديثاً. يحمل بين يديه ألواحاً تعتان
بالنفوش. مازاً على (حامد) بدون أن يلاحظه وهو يقول لهم:

"أحضرت لكم أربعة نفوش انتهيت منها منذ قليل."

قالتا وهو يعطينها للمرشد الذي تأملها قليلاً. في تلك اللحظة قرر (حامد)
أن ينادي عليهم كنجارية:

"بست.. كابتن.. هل يسمعي أحدكم؟"

لم يعرفه أحدهم انتباهه. هنا تأكد مما تخيل. الغرفة النحاسية تعيد له
ذكرياتها القديمة منذ بناءها ليتعلم كل شيء عن طريقة عملها.

عليه أن يحفظ كل شيء يسمعه، فهذه فرصته الوحيدة.

وصل (مهران) والعجوز إلى المنزل. أخرج (مهران) مفتاحاً كبيراً من
ملايسه وأدخله في رتاج الباب وفتحه وهو ينظر للعجوز بوهبة.
والخيالات تدور في عقله تراحم الأسئلة التي تكوّنت منذ دقائق بعدما
قاله للشباب الثلاثة. كان يجب أن يشعر بالفرحة لأن العجوز
فصحهم لكن المشكلة الآن لا تتعلق بهم. بل تتعلق بالعجوز:

"لا تخف يا بني فأنت غيرهم".

فأبها العجوز بعدما دخل المنزل وأغلق (مهران) الباب. تسفر هذا الأخير في مكانه ودار بخلده أن العجوز قد استمع لأفكاره.

"قلت لك لا تخف... والآن أين كرم الضيافة؟"

تغلب (مهران) على خوفه من العجوز وقال:

"أسف. يمكنك الجلوس في أي مكان ريثما أحضر لك الطعام".

نظر العجوز لصالة المنزل فوجد مصطبة صغيرة من الطين اللين وبضعة وسائل قديمة على الأرض. جلس على المصطبة بينما دخل (مهران) إلى غرفة صغيرة كانت خالته تضع بها أواني الطبخ وبها الفرن الطيني القديم، فتح حلة صغيرة فوجد بها بعض الأرز القديم. كمية لا تكفي لسد رمق حانع. بحث عن أي شيء بين الأواني فوجد رغيفين كبيرين. نركه وخرج من الغرفة ومز على الصالة متجهًا إلى باب المنزل. وهو يقول للعجوز:

"لن أتأخر عليك".

ترك باب المنزل مفتوحًا وخرج جرتا حتى وصل لشارع مقابل للشارع الذي يسكن فيه. فوجد (الظاهر) الذي يبيع الجبن واللبن يجلس على جانب الطريق في موضعه الذي يعرفه منذ أن ولد. يجلس بين أواني فخارية تراصت بها قطع الجبن الأبيض ووعاء كبير يمتلئ باللبن يبيع فيه كوب فخاري صغير.

جرى عليه فقال له (الطاهر):

"ما بالك يا (مهران)؟ هل بحري أحدهم خلفك؟"

"لا يا عم (الطاهر)، لكن أريد قطعنين من الجبن بسرعة."

"ومل معك شيء لتأخذ فيه؟"

خبط (مهران) على رأسه وقال:

"تسبت، ولكن هناك مشكلة أصعب من هذه.. ليس معي نقود وكنت أظعم أن تصبر علي حتى الغد."

نظر (الطاهر) إلى الأرض بحزن وقال خجلاً:

"والله يا (مهران) كنت أريد ذلك لكنني لا أملك تلك البضاعة، فأنا أبيعها وأسدد ثمن ما أبيع لصاحبها كل ليلة."

نظر (مهران) لملابسه يفتحصها، ثم تذكر فخلع طاقيته التي بحياها وأعطاهما (للطاهر) قائلاً:

"خذ هذه وأعطني مقابلها الجبن."

مسح الطاهر يده في جلبابه وأمسك الطاقية بتأملها، فجاءه صوت (مهران) نافذ الصبر:

"لن تجد مثلها هذه الأيام، فهي هدية من شبحي."

"سأعطيك مقابلها خمس قطع من الجبن."

وضع (الطاهر) قطع الجبن في وعاء فخاري كبير. وأعطاهم لمهران
مبتسفاً وهو يقول:

”ووعاء صديء أيضاً“.

أخذ (مهران) الوعاء وقد أفلتت منه نظرة إلى طاقينته التي تُذكره بشيخه.
وشعر بالخجل وهو يسير باتجاه منزله يؤخر رجلاً وبقدم رجلاً. ولكنه
حاول أن يقنع نفسه بأن شيخه هو من كان يقول (أكرم الضيف ولو
بعت نعليك). قال ساخراً في نفسه (ها أنا أبيع طاقيني يا شيخي).

دخل (مهران) المنزل فوجد العجوز جالسا في موضعه بنظر إليه وبتنسم.
ابتسم له (مهران) وهو يدخل لغرفة الطبخ ويفتح حلة يضع بها
قطعتين من الجبن. ثم يأخذ الوعاء الفخاري بما بقي فيه من الجبن
الأبيض ويسحب الرغيفين ويخرج للعجوز.

جلس (مهران) بجانب العجوز ووضع الطعام بينهما. وقطع أول رغيف
وأعطاه للعجوز ليأكل. الغريب أن العجوز كان مبتسفاً طوال الوقت
بلا سبب. لم يمدّ (مهران) يده في الطعام إلا لقمة أو اثنتين كأنه يُمثل
الأكل. برغم جوعه منذ الليلة السابقة. بينما العجوز يأكل بشراهة
مبتسفاً.

”هل لي أن أسأل عن اسمك؟“

فألها (مهران) فابتسم الرجل أكثر وقال:

”اسمي القديم أم الجديد؟“

ـ "لا اعرف؟"

فجأة انفتح باب غرفة نوم خالته فنظر (مهران) لها وهي تحاول الوقوف لاهثة. كانت ترمق العجوز وتقول بدهشة امتزجت بالخوف:

ـ "(حسين).. كيف عدت؟"

نظر العجوز لها مبتسماً ثم نظر لـ (مهران) قائلاً:

ـ "هذا هو اسمي الحديث. أما اسمي القديم فهو (القصاب بن شادق).. والدك."

لم يندهش (عماد) الجالس في مقهى المستشفى في الطابق الأرضي يحتمي القهوة من كوب زجاجي أمامه عندما وجد (يصفيديش) يهينته البشرية يجلس فجأة أمامه. كأن جهازه العصبي تعود على تلك الصدمات وتقبلها.

ـ "كيف حال (حازم)؟"

ـ "جراحه لم تكن بالسوء الذي توقعناه. سيتعافى في خلال أيام. هل جد جديد عندك؟"

فألها (عماد) وهو يتلمظ القهوة بين شفثيه. فعاجله (يصفيديش) بجدية:

ـ "الغرفة النحاسية عادت للعمل."

"!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!!"

”و(حامد) اختفى داخلها“.

بهض (عماد) وهو يقول:

”هيا بنا لنعرف ما يحدث“.

ظل (بصفيدش) في موضعه وقال:

”طالما الغرفة النحاسية عادت للعمل فلا يمكنني الاقتراب منها. فلا أحد منا يأمن غدرها. اذهب أنت وحاول أن تعرف ما يحدث. وسانتظر أنا هنا لأطمئن على (إسلام) وأحاول مساعدة (حازم)“.

نادى (عماد) على النادل ليحاسبه فقال (بصفيدش):

”احذريا (عماد). فالأحداث تسير أسرع مما نتخيل“.

ثم أخرج من جيبه مفتاحاً أعطاه ل(عماد) وقال:

”هذه نسخة من مفتاح الشقة. حصلت عليها من مساعد (عباد)“.

ظل (طه) نائماً في موضعه يحمل كيس الطعام وصوت لهات الحساس يملأ فراغ الشقة. الغربية أن (طه) كان مصدوماً بعض الشيء، لكنها صدمة لا تتوافق مع رؤية جني لأول مرة. كأنه كان يتوقع هذا الحدث أو كأنه تعامل مع الجان من قبل. فجأة انتبه لعبارة موت والده.

”هل مات والدي؟“

رد الحساس بصوت متقطع:

"قتل.. وانا سألحق به في كل الأحوال".

"من قتله؟"

"مارد من الجان بدعى (المغربي).. سأشرح لك ما تريد، لكن أرجوك
أنقذني".

"لا أفهمك".

قالها (طه) وهو مازال محتفظًا بوجهه الجامد.

"أنا أعرف طبيعة تجارِك".

انسعت عينا (طه) فأكمل الجساس:

"أرجوك. لقد أصبت لحظة الانفجار الذي قتل والدك".

"لا أرى إصابات في جسدك".

"سيتلاشى جسدي الآن تدريجيًا وأعود لحالتي. والدك كان يتابعك يومًا
ببوم وأنا من تجسست عليك. هو من ترك لك الكتب التي بدأت منها
تجارِك. أنا أعلم أنك تفهمني جيدًا".

فجأة تصاعد ضباب غلّف جسد الجساس الذي قال بضعف شديد:

"افتح اليوم صور طقولتك الذي تحتفظ به في مكتبك. وأخرج صورتك
التي تجمع بينك وبين والدك. سنفهم كل شيء. لكن أسرع لأنني
أحتضر.. والدك كان سيفرض ما فعله لكنني مجبر ك..."

انفدلع صوتنه مع إحاطة الضباب بجسده. جرى (طه) لغرفة مكتب والده
التي حولها لغرفة مكتبه وفتح الدرج الأخير للمكتب وأخرج الألبوم.

قلب في صورته سريعًا حتى توقف عند الصورة الوحيدة التي نجّمعه
بوالده.. (عباد). سحبها من غلافها البلاستيكي فوجد خلفها ورقة
مطوية. أخرجها وفضها ليجد خطابًا من سطور قليلة:

(جزء مني يتمنى أن نعلم على هذا الخطاب. والجزء الآخر يرفض ذلك
احترامًا لرغبة والدتك التي ماتت منذ يومين. والدتك عرفت كل شيء
عني قبل موتها بأشهر. اعترفت لها بالسز الذي توارثته من أجدادي.
أني كنت علي كما كنت علي والدي وجدتي ومن سبقه بإدارة غرفة
تنحكم بعالم الجان وترصد حركتهم. الغرفة النحاسية. نعم يا بني
فأنا أنعامل مع عالم الجان منذ علمي والدي قبل موته وأورثني سره.
وكان لزامًا علي أن أوزنك السر من بعدي. لكن والدتك أوصتني قبل
موتها مباشرة بأصعب الأمور علي نفسي. أن أبعد عنك تمامًا كي لا
تطالك شرور تعاملي مع الجان. وحتى لا ترث ما ورثته أنا عن أبي. في
الأيام القادمة سأضع وديعة في البنك باسمك. وبعدها سأبتعد عنك.
لا أعرف من أين ستوانيني القدرة علي ذلك لكنني لن أخالف
الوصية. سامحتني يا بني علي ما هو قادم. والدك).

أخلق (طه) الخطاب وأخذ نفسًا عميقًا وهو يحاول أن يقاوم الدموع التي
تجمعت في مقلتيه.. جرى إلى صالة الشقة وصاح:

"يا من كنت خادم أبي. إن كنت مازلت حيًا ادخل لورثتي".

قال (طه) العبارة السابقة ودخل للورشة المليئة بالأجهزة الكهربائية والأوراق المبعثرة، وأخذ ورقة فارغة وقلماً وكتب (تردد الجسد الحالي) ثم صرخ بصوت عالٍ:

“إن كنت معي في الغرفة فف هنا”.

قالها وأشار بيده ناحية لوحين من الخشب العريض يواجهان بعضهما، تفصل بينهما مساحة فارغة تقارب المترين. وعلى كل لوح من الخشب خضرة دائرية يلتف داخلها سلك عريض بشكل حلزوني مكوناً عشرات الدوائر حول بعضها البعض.

وقف (طه) بجانب اللوحين الذي يتدل من أحدهما أسلاك تفصل بجهاز مربع الشكل لتشغيل التيار الكهربائي. أحضر جهاز (المالتيمتر) وأوصله كي يستطيع قياس شدة التيار. نادى على الجاساس قائلاً:

“إن كنت نغف. سأشغل الجهاز الآن. حاول أن تقاوم المجال المغناطيسي الذي سيحيط بك”.

ضغط أحد الأزرار فظهر بين اللوحين شرر كهربائي. أخذ مؤشر المالتيمتر في الارتفاع على الجهاز حتى استقر عند رقم دونه (طه) بسرعة وطرحه من حجم التيار الساري في الأسلاك وأخرج رقماً وضعه بجانب عبارة (تردد الجسد الحالي). أوقف الجهاز عن العمل وانفصل التيار الكهربائي عن الأسلاك.

جرى وهو يبحث بين الورق المعثر بسرعة حتى عثر على ورقة كتب عليها
بعض المعادلات منذ فترة. توقف عند رقم في إحدى المعادلات. وعاد
لجهازه وهو يقول:

"لا نحاول أن نقاوم هذه المرة".

كتب على الورقة أمامه (تردد الجسد الطبيعي) وقام بمعادلة بسيطة
وأخرج رقماً تأمله لثوانٍ. ثم ضغط على زر تشغيل الجهاز وأدار مؤشر
التيار لرقم محدد.

كانت هناك ساعة ملقاة باهمال بين الأوراق. تلك الساعة التي تُشبه
الساعات القديمة التي كانت تُعلّق بسلسلة. الفرق أنه هو من صنعها
من البورسلين الخالص كي لا تتأثر أثناء تجاربه بالمجال
الكهرومغناطيسي. استغرق شهرين في صنعها على طريقة الساعات
القديمة التي يدار زبركها كل اثنتي عشرة ساعة.

أدار الجهاز ليسرى التيار الكهربى داخل الأسلاك النحاسية و أخذ ينظر
لساعته منتظراً أن تمر دقيقة وعشرين ثانية. في تلك الأثناء توهج
جسد (الجسماس) داخل الحقل المغناطيسي عدة مرات قبل أن يطفئه
(طه) بعد مرور الوقت المحدد.

فجأة ظهر جسد (الجسماس) منتصباً وقال بصوت قوي:

"شكراً يا (طه). لقد عدت لسابق عهدي بفضلك".

"شكرك لي أن تُعرّفني بقاتل والدي".

الآن قويت إشارتي في عالمي وسيتبعني من بطشت بهم قديفا بأمر والدك. يجب أن أهرب. لاحقاً سأخبركم..."

انقطع حديثه فجأة عندما أدار (طه) الحقل المغناطيسي بمرود وقال بصوت عالٍ:

"بعد ثوانٍ جسدك لن يتحمل الطاقة المنبعثة به وستنهار ذراته. لن تتحرك من مكانك قبل أن أخبرني."

أغلق الحقل ونظر لجسد (الجماس) وهو يبتسم:

"هل تريدني أن أكمل أم سننكلم؟"

الفصل الثاني

قرين

تناهت التخيلات في عقل (عماد) عما يحدث داخل الغرفة النحاسية
(حامد). كل الاحتمالات تراصت تباعاً بعقله وهو يقف أمام الغرفة
بضرب بيده على نقوشها محاولاً بيأس زحزحة الباب الضخم.

صرخ منادياً باسم (حامد) لنصف ساعة بلا جدوى. توقف الزمن عنده
عند هذه اللحظة فلا هو يستطيع مغادرة المكان بدون (حامد) ولا هو
يقدر على عبور الباب.

صرخ باسم (حامد) للمرة الأخيرة بكل ما أوتي من قوة حتى يخ صوته.
فجأة سمع صوت (حامد) يأتيه من الداخل:

"من ينادي؟"

تسفر (عماد) في موضعه من الدهشة ثم قال بأعلى ما استطاع:

"أنا (عماد)".

"كيف حالك يا صديقي؟"

"افتح هذا الباب".

"ثانية واحدة".

لم يقدر مع (عماد) على تخيل سبب برود لهجة (حامد). كأن هذا الأخير
في الحمام و(عماد) يطلب منه الإسراع لا أكثر.

انفتح الباب فتحة صغيرة وظهر من خلفه رأس (حامد) المبتسم وهو
يقول:

”ربع ساعة وسأنتهي. انتظروني على القهوة التي على أول الشارع. قل
للفهوجي أنك جئت من طرف (حامد)، واطلب...”

لم يمضِ عليه (عماد) ليكمل جملة عندما ركل الباب بعنف بكل ما استطاع
تجميعه من قوته. لم يفتح الباب على مصراعيه بسبب ثقله. لكن
تلك الركلة كانت كافية ليصطدم الباب برأس (حامد) الذي تراجع
متألماً.

”ما هذه الغباوة يا أخي؟“

قالها (حامد) وهو يتراجع لداخل الغرفة و(عماد) يدخلها وهو يتأهب
للصراخ فيه. لكنه توقف مذهولاً وعيناه تنسع تدريجياً تتأمل الغرفة
التي عادت لما كانت عليه ما عدا بعض الأجزاء.

”ما... ما الذي حدث؟“

قالها (عماد) ساهماً وعيناه ماتزال تتحرك في الغرفة حتى توقفت عند
موضع ما في ركنها. ضيق عندها عينيه متألماً (رحيم) الذي ارتدى
علايس سوداء وتضخم جسده قليلاً وأمسك بيده اليمنى سوطاً يتدل
على الأرض يشع لوناً قرمزياً. وسأل (حامد):

”ما الذي حدث ل(رحيم)؟“

”نبو لوك“.

نظر (عماد) بعينين لا تريان إلى (حامد) الذي تنحى وذهب ليقف خلف
المنضدة وقال:

"حاول ان تتعالق أعصابك، أنا أصعبت سيد العرفه الحاسه
تعجب (رحيم) هو الحساس. ولو اني غير مرناح لاسمه. ما طلب
من العرفه ان تطلق عليه سونيا اسفا أوريجهال ما رأيت باسمه"
كيف حدث هذا؟

قال (عماد) تلك العبارة مفاظفا (حامد) التي رث بصرة:
"لا أعرف. كل ما أعرفه هو ان العرفه أحبرني أنها تعيد نفسها مرة
أخرى. نه قالت بأنني السيد تعجب لها"
فأها (حامد) ميتسفا.

"كيف!! أنت لا تفقه شيئا عن العرفه الحاسه"
"صلي على النبي. ما قائدة قطع العيش يا (عماد)؟"
صرح (عماد) بعصبية:
"توقف عن مزاحك!"

"(رحيم)، أمني الكلمات لخروج أحد أصدقائنا"
قالها (حامد) وهو يتناول زجاجة موضوعة على الرف خلفه من زجاجات
المختبرات الكيمائية مغلقة بسدادة من الفلين أعلاها. نوع السدادة
ووضعها على المنضدة أمامه.
رأى (عماد) (رحيم) وهو يقف بجانب (حامد) وبعذته فيقول هذا الأخير:
"لباخيهم كجكم أمويل سليمان".

في الدائرة المزخرفة الكائنة وسط الغرفة ظهر جني يجلس على ركبتيه وهو ينظر يمينا ويسارا ببطء مقدهشا.

"أنت قلت الآن اظهر بحق عهد (سليمان) بقسم سرباتي قديم!"

قالها (عماد) فابتسم (حامد) بفخر وسحب نفسا عميقا ليتكلم بعمق لكنه فجأة سعل بلا قصد.

"كيف عرفت هذه الطريقة؟"

أشار (حامد) له لينتظره حتى ينتهي من سعاله. مرت ثوانٍ طويلة إلى أن انتهى. فنظروا لـ(عماد) بعينين حمرابين وقال وهو يحاول إعادة ابتسامته:

"الغرفة أرثني كل شيء منذ بنائها. علمت بأن هذا الموضع كان دبرا لرهسان مسيحيين يدعى دير الراهب (شمعان السانج). رأيت شانا يتحدث بلغة عربية ولكنه عربية يساعد ثلاثة رجال على بناء هذه الغرفة".

"من هم؟"

"المعلم (جرجس) وراهب اسمه (ميثا) و(عبد الله). علمهم الشاب كل شيء يتعلق بالغرفة النحاسية ورأيت النفوس تُوضع لأول مرة وكيفية قراءة كل نقش وكيف يمكن لسيد الغرفة أن يتلاعب بعالم الجن قبل أن يهدم الدير سلم (ميثا) عهدة الغرفة لـ(عبد الله) الذي اشترى الأرض بعد فترة وبني عليها بيته وأصبح هو سيد الغرفة النحاسية. يتعاقب عليها أحفاده حتى وصلت لرؤية حفيده (عماد)".

وكان (عماد) قد تذكر شيئاً فقال بلهفة:

"أين جثة (عباد)؟ لا تقل لي عاد للحياة!"

"ما زال ميتاً. لكن الغرفة نقلت جثته لبعدها لئلا يحميها".

"(حامد) لن أنتظر لأراك جثته مثله. عليك بمغادرة الغرفة والابتعاد عنها. (المخلي) عرف كيف يُعبر الجساس على إدخاله لها. وسيعث لك مثل ما حدث لـ(عباد)".

ابتعد (حامد) عن المنضدة قائلاً:

"لا تخف. لقد ابتدعت الغرفة نظام حماية جديد لها. سدت ثغرات الدخول لها وسلحت (رحيم) بسلاح جديد يمكنه من السيطرة على اللجان بسهولة".

"تقصد السوط الذي بحمله بيده؟"

نظر (حامد) لـ(رحيم) بتأمل وقال:

"اعتقدته حبل غسيل ملون ليحقق به أعداءه. المهم عندما يأتي (رحيم) بجثتي لن يستطع الدخول للغرفة إلا بعد أن أفتح له أنا لمنفذ عندما أراه. وهو أيضاً أرتبه الغرفة كل جاسوس تعاقب عليها وطرق حركته وتتبعه للجان. أنا حفظت ما استطعت من أقسام يستخدمها سيد الغرفة. و(رحيم) سيذكرني بما نسيت".

أخذ (عماد) نفساً عميقاً تبعه:

"يمكنني أن أصدق أن (يوسف) لم يمض وأن حربًا بين الجان ستبدأ
قربنا وتنتقل لعالم البشر. يمكنني حتى أن أصدق أن الهرم الأكبر يناد
المقاولون العرب. لكن أن تكون أنت سيد الغرفة النحاسية!"

"الغرفة تُعيد نفسها بعد تدميرها ومن تجده يثقف في نطاقها تقبله
كسيد لها. كأنك تُعيد تهيئة كومبيوتر فقد كل بياناته وتحتله ببرنامج
تشغيل جديد فتكتب اسمك ك admin جديد له لأن بيانات ال
admin القديم انتهت بعد تهيئة الكومبيوتر."

"إذن فقد أصبحت أنت سيد الغرفة مصادفة؟"

"ريك!"

أفلتت من (عماد) ضحكة ساخرة واتجه إلى باب الغرفة قائلًا:

"سأذهب لأخبر (يصفيدش) بما حدث، هل ستأتي معي؟"

"سأبقى هنا قليلاً لأرتب بعض الأمور."

ابتسم له (عماد) وخرج من الغرفة غير مصدق لما عرفه. أما (حامد) فقد
نظر للأرض مفكرًا ثم رمق (رحيم) وقال:

"أتعرف بمن تذكركي وأنت تمسك السوط بيدك؟"

"الست محاسن الحلوى؟"

"انتظري، لقد لسينا الجني الذي حضرته."

نظر (حامد) بدهشة للجني الواقف في الدائرة ببدله النظر بدهشة
مماثلة. فجأة أخرج (حامد) لسانه يفيظ الجني الذي لم يفهم مغزى
الحركة، عندها قال (حامد) (أرحيم) بملل:

"يا (أرحيم).. اشحنه على قمطمه ثانية".

وقلت الخالة ناظرة (للحصاب) لشوان طويلة والدماء تهرب من وجهها
والشحوب يغطي فسماتها. بينما (مهبران) ينقل بصره بينهما لا يدري
ما يقول.

"لماذا عدت؟"

فألها بصوت ممتزج بالخوف. فهبط (الحصاب) بصعوبة وسار نحوها
وهو يقول:

"طريقة غريبة لأرحمني بزوج شقيقتك الغائب".

تراجعت الخالة بسرعة وكادت أن تسقط وهي ترفع يدها أمامها لتوقفه
من التقدم. وقالت بعصبية:

"ابتعد".

عزت وجه (الحصاب) ابتسامة ساحرة ونوقف.

"ما الذي رونه زوجي عنك ليرعبك هكذا؟"

"كل شيء، أيها الشيطان".

ضحك بصوت عالٍ وهم بقول شيء لولا أن قال (مهبران) بارتباك:
- "ماذا يحدث؟ أنا لا أفهم".

- "ابتعد عنه يا (مهبران)، ولا تقم".

- "اصبري يا امرأة".

قال (القصاب) العبارة الأخيرة بلهجة امرأة وصوت أجش قوي جعل
الخالة تبتلع بقية عبارتها وهي تشفق. في حين قال (القصاب) بنفس
الصوت:

- "دعيني أشرح له ما حدث".

أفلت منه سعال ولكنه تمالك نفسه ونظر لمهبران وهو يقول بصوت لين:
- "أعرف أن ما تمزبه في تلك اللحظة يحتاج مني محاولة تهدئك لأبام،
لكن لا وقت عندي. فالمرض ألم بي منذ زمن وأشعر بنهاية العصر
وأعتقد يا بني أنه حان الوقت لتعرف عن كل شيء وترث ما معي من
عدي".

قاطعت الخالة بغضب:

- "تتعتة الآن بابلك وبالأمس أنكرت نسبه؟"

نظر لها (القصاب) بغضب وهم أن يقول شيئاً. إلا أنه تراجع ولان وجهه
ثانية وقال بأسف:

”معك كل الحق في هذا. أنا أخطأت.. وتركت (مهران) مضغعة في بطن أمه وأنكرت نسبه لي. ولكنك لا تعرفين كل الحقيقة برغم ما قالته زوجتي لك“.

”بل أعرف.. أخبرتها بأنك عاجز عن الإنجاب. أي كلام يُعقل هذا! رجل يعجز عن الإنجاب برغم استطلاعته المعاشرة؟“

هنا نظرت الخالة ل(مهران) بحرج وقد أحست بأنها تكلمت بكلام لا يصح أمامه. بينما قال (القصاب) بصوت خافت:

”أنت لا تعرفين شيئاً“.

خيم الصمت للحظات قبل أن يقطعها (مهران) وهو ينظر للأرض قائلاً بصوت أجش:

”ما الذي عاد بك أيها العجوز؟“

لم يحب (القصاب) لثوان. إلا أنه هض بصعوبة وهو يتنحج واتكأ على عصاه وببده اليسرى كيسه القماشي. سار حتى باب المنزل وفتحته وهو ينظر لعارجه قائلاً:

”لا وقت عندي للمجادلة. الموت ينتظرنني بعد أيام أو شهر على الأكثر. يجب أن تتسلم ميراثك. لا أطلب منك العفو. بل أطلب مرافقتي حتى تتسلم كل حقوقك.. في حارة (قهيستان) ستجد منزلاً يقابل حانوت (مختار) تاجر الأعلاف. على باب المنزل ستجد نقشاً لأسد. أنتظرك هناك الليلة بعد صلاة العشاء“.

أخرج من الكيس الذي يحمله صرة من النقود وقذفها ناحية (مهران) الذي تلقفها.

"ستجد فيها ما يُغنيك أنت وخالتك. ولكنها ليست ميراثك. ميراثك أعظم من هذا. إن اكتفيت بما فيها ولم تأتني الليلة فلا حرج عليك".

غادر (القصاب) المنزل في نفس اللحظة التي فتح فيها (مهران) الصرة ليجدها تمتلئ بالجنّيات الذهبية.

انتهت صلاة العشاء في المسجد فتعالت أصوات المصلين وبعضهم يتحدث إلى الآخر والبعض ينهض ليُصلي صلاة السنة. وخدام المسجد ينهض ليزيد البخور في مبخرة المسجد لتعلو الرائحة الزكية في أنوف الحاضرين. نهض (مهران) بقناقل يجر قدميه والتفكير فيما حدث ظهرًا يكاد يُقجر رأسه. غادر المسجد وهو يمدن قدميه في نعليه وصوت خالته مازال يتردد في أذنه يُحذّره من الذهاب لأبيه وهي تستحلقه بأضحية الأئمة بالأذهب. رفضت أن تُخبره سبب خوفها منه ولكنها لم تمهدا قبل أن يحلف لها بما أرادت. لم يكن من الصعب عليه أن يوافقها فيما شاءت. فقلبه انقبض منذ معرفته بأن هذا العجوز الغريب والده. لقد كان يهرب من المشاكل منذ مولده فكيف يذهب إليها بقدمه هذه المرة.

ابتعد عن المسجد وهو يسير بين الحارات عائدًا للمنزل وهو يفكر في كيفية تعامله مع الجنّيات الذهبية التي صارت ملكه الآن. توقف فجأة ناظرًا خلفه وقد شعر بشيء غريب. كأن هناك عينًا تتبعه. نظر

في وجود السانرين خلفه فلم يجد ما يرر ذلك. عاد للمسير مرة ثانية ولكن الشعور راوده أكثر وخاصة وهو يمر في حارة ضيقة خالية من المارة. كاد أن يُقسم لنفسه أن شيئاً ما سيحدث. عليه أن ينظر خلفه مرة أخرى. ولكن هل النظر الآن سيُبدد مخاوفه أم ستزداد؟ نظر لخلفه بترقب.

فجأة وجد (بيرقدار) خلفه تماماً يمسك بملابسه ويدفعه حتى اصطدم ظهره بحائط منزل جاني. أخرج (بيرقدار) من ملابسه سكيناً صغيراً ووضع أمام رقبة (مهران) وهو يقول بعصبية:

"أين العجوز الذي سرت معه اليوم؟"

شعر (مهران) بنبضات قلبه كأنها تدق في أذنه تماماً وتسارعت أنفاسه. فعاجله (بيرقدار) بضربه من مقبض السكين على وجهه وهو يُعيد السؤال. فردّ (مهران) محاولاً تمالك نفسه:

"ذهب في طريقه. لا أعلم لأين."

عاجله (بيرقدار) بضربة أخرى بمقبض السكين وهو يقول بعصبية:

"من الأفضل لك أن تعلم طريقه لأنه إن غادر فأنت باق. وإن لم أصل له فمأصل لك.. هيا تكلم."

تسارعت أنفاس (مهران) ولكنه نظر فجأة خلف (بيرقدار) وقال متوسلاً:

"القدلي منه يا سيدي."

لنظر (بيرقدار) خلفه بسرعة فلم يجد أحدًا. دفعه (مهران) بكل ما استطاع من قوة وجرى بأسرع ما تخيله عقله مغادرًا الحارة بلا هدى. لم ينظر خلفه ولو لمرة واحدة حتى بعدما دخل حارات امتلأت بالمارة والحوانيت. وفي عقله تبلورت فكرة واحدة.. والده.

جلس (القصاب) داخل منزله مفترشًا الأرض مواجهًا الباب. لم يتحرك من ساعة على هذا الحال. إلا من بعض السعال الذي كان يأتيه من حين لآخر. حتى من قبل صلاة العشاء وهو ينتظر. أمله لم ينقطع في أن يسمع طرقات الباب. الأوراق الباقية من عمره في دنيا البشر قاربت على السقوط من شجرة الحياة. ابتسم بداخله لهذه الخاطرة. لو لم يختر هذه الحياة لعاش لمئات السنين. لكنه فضل خدمة عائلته على أن يعيش وسطهم في راحة.

طرقات الباب أتت فجأة فلم يجفل ولكنه تنفّس في راحة وهو ينهض بسرعة حتى كاد أن يتعثّر. لكنه تمالك نفسه وفتح الباب لبفاجأ بمهران يتصبّب عرقًا بملابس غير مهندمة تحتلها بقع العرق وصوت لهائه بعلو بشكل غير طبيعي.

"ادخل يا بني وأغلق الباب خلفك".

نعه (مهران) لداخل المنزل محاولًا السيطرة على لهائه كأنه يريد أن يقول شيئًا ما:

”دفعت إيجار هذا المكان شهرين مقدماً لصاحبه. برغم أنني لن أعيش للشهر القادم”.

قال (القصاب) عبارته واختار مقعداً ضيقاً في ركن المنزل جلس عليه وهو ينظر لـ(مهران) الواقف بارتباك قائلاً:

”خالفت توقعي وأتيت. ما الذي أجبرك على المحييء؟“

”ألم تطلب مني ذلك؟“

”طلبته وأردته بشده. لكنني أعرف في وجوه البشر. وجهك أكد لي أنك لن تأتي. فما الذي أجبرك على ذلك؟“

تراجع (مهران) خطوة وهو يقول:

”إذن سأرحل“.

”لن ترحل لأي مكان. اجلس وتعقل. وحدثني عما هربت منه؟“

نظر (مهران) يتأمل المنزل.. صالة واسعة مثل صالة منزله لكن سجاداً كثيف الشعيرات يغطي أرضها مع بعض الزخرفات البسيطة على الحوائط والنوافذ. أما السقف الخشبي فتدلّت منه القناديل الملونة التي أضفت إضاءة مريحة للمنزّل. بالإضافة إلى مقاعد الجلوس المبطنة وقعت عيناها على صندوق كبير من الذي يُستخدم لوضع الملابس من الخشب يمتلئ بالزخارف والنقوش.

”قلت لك اجلس وحدثني عن سبب مجيئك إلي“.

قالبها (القصاب) يحزم فجلس (مهران) على أحد المقاعد وقال بعد أن ابتلع ريقه:

- "يرقدار) الذي فضحته اليوم هددني بسكين ليعرف مكانك. وكاد أن يقتلني لولا هروبي".

- "ولم لم تخبره بمكاني برغم نيتك ألا تراني مرة أخرى؟"

صمت قليلاً ولكن (القصاب) عاجله قائلاً:

- "لا تعرف الإجابة.. (يرقدار) لن يمثل لك أي مشكلة في الأيام القادمة. فلا تخف وهيا لنبدأ".

- "نبدأ!!"

- "نعم.. وسنعرف كل شيء في حينه.. اذهب لهذا الصندوق وافتحه".

- "لم نركت أمي؟"

- "سأجيبك. لكن نفذا ما أقول. فالوقت هو أمن ما أمثلكه الآن".

فتح (مهران) الصندوق فوجده يمتلئ بالكتب والمحابر والفسائف من القماش مغلقة.

- "اسحب محبرة وريشة وقرطاساً نظيفاً".

نقد (مهران) ما قاله وجلس بالأشياء.

- "افتح المحبرة والغمس الريشة واكتب في القرطاس ما سأطلبه عليك".

تهض (القصاب) وتغلى عن عصاه. وسار حتى وقف أمام (مهران) وهو يقول بحدية:

"أسماء ملوكنا العلوية الموكلون بالعهد الذي أخذه (سليمان) منا على باب الهيكل، هم.."

نظر (مهران) له مصدوقاً وهو يقاطعه متسانلاً:

"ملوكنا!!"

"نعم.. فأنا لست من البشرية بني. أنا من الجان. وأنت أيضاً."

...

انتهى الجساس من رواية كل ما عرفه (عباد) عن (يوسف) وأصدقائه وعلاقاتهم بمخطوطة ابن إسحاق و(المغربي)، حتى توقف عند موت والده ونجاة (حازم).

"قل لي يا (جساس)، ما الذي أجبرك على عدم الهروب فجأة؟"

"قلت لك إنني أعلم بشأن أبحاثك. وأعلم أنك أخذت بصمة ترددية لجسدي عن طريق حقل الطاقة الذي صنعته."

"قل نعم عن الهندسة الكهربائية؟"

"لا. لكن كل أبحاثك من البداية وأنا أراها تتطور يوماً بعد يوم وأعرف أن هذا الحقل من الطاقة قد أخذ ما يشبه البصمة لجسدي. يمكنك منها أن تعزز مكاني وأن تستدعيني له. غرفة والدك النحاسية تُشبه كثيراً طريقة عمل هذا الحقل."

كان (طه) يجلس على الأرض و(الجساس) يقف أمامه داخل حقل الطماقة
الغامل

”لم ترك والذي هذه الكتب مخبأة وتمنى عثوري عليها؟“

”لا أعرف السبب لكنه حلم بدخولك لهذا العالم. برغم خوفه عليك
من ميراث الغرفة النحاسية، لكنه لم يكن ليتخيل أن تصل لما وصلت
أنت إليه.“

نظر (طه) للأرض مفكرًا يستعيد أحداثًا قديمة.

(منذ ست سنوات عندما زاره صديقه (هينم) الذي كان يُعد رسالة
الماجستير في هندسة الكهرباء بدأت الأحداث. (هينم) في الأصل زميل
دفعته لكنه تغطاه بسبب دكتور (سلمانوي) الذي أوصى على (طه)
بعض الأسانذة ليظل في غامه الثالث في الكلية. استعان (هينم)
ب(طه) كثيرًا في رسالته. وقد عرض عليه هذا الأخير المبيت معه في
الشقة لأسبوع كي لا يضطر لزيارته يوميًا.

في اليوم التالي أقنع (هينم) (طه) بعد الكثير من الإلحاح بأن يستخدمها
غرفة مكتب والده. (طه) يكره هذه الغرفة ولا يُفضل الاقتراب منها
حتى أنه طلب مؤخرًا من المرأة التي تأتي كل أسبوعين لتنظف الشقة
بالأقتراب منها تاركة الأتربة لتأكل محتوياتها إن أمكن.

هالة والده المتبقية في الغرفة ضايقته كثيرًا. حتى إنه تمنى أن تُحذف
هذه الغرفة من الشقة. في نفس الوقت لم يجروا على التخلص من

محتوياتها ولم يعلم السبب من قبل. فتح المكتب لزميله وأزال بعض الأثرية من على المقاعد والمكتب سريعاً.

مربوم واثان وهما يستخدمان المكتب في وضع الأوراق وبعض المراجع الأحذية التي أحضرها (هينم). في نهاية هذا اليوم طلب (هينم) أن يستخدم أحد أدراج المكتب ليمكنه وضع بعض أوراقه.

أشار (طه) بيده له أن يستخدم الأدراج كما يحب. فتح (هينم) أحد الأدراج فوجده يمتلئ بأوراق. أخرجها ليراها (طه) الذي قال:

”ضعها في أي مكان لألقيها في القمامة في وقت لاحق“

اندهش (هينم) من ردة فعل (طه) لكنه رفع حاجبيه ووضع الورق جانبا. وضع بالدرج خمسة كتب. ثم فتح الدرج الثاني ليجرح منه ثلاثة كتب ذات غلاف سميك. جذبته ملمس الأغلفة. لم يكن قد أمسك بجلد مدبوع من قبل ولم يعرف خامه غلاف هذه الكتب. لكن ملمسها حذره.

رفعها عالياً وهو يقرأ أسماءها بصوت عالٍ:

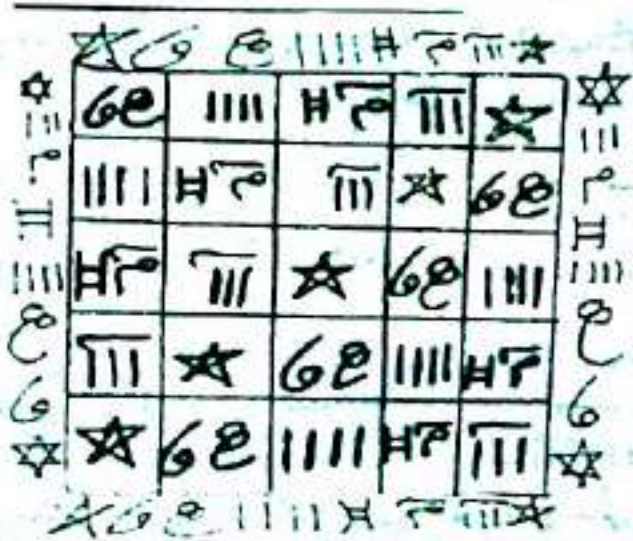
”رسائل ابن موسى الحاوي... السحر العظيم... رياضة ابن حيان في حديث الجان“

نهض (طه) من على مقعده وقد جذبته أسماء الكتب. أمسك هو بكتاب ”رياضة ابن حيان في حديث الجان“ وفتحه بتأمله. الكتاب من الداخل مكتوب بالحبر الأسود كتابة يدوية واضحة مع بعض العبارات

باللون الأحمر. ورق مقوى كُتِب عليه من وقت قريب لكن الغلاف من مادة سميقة جدًا شك أنها جلد مديبوغ.

فتح بعض صفحاته وقرأ من صفحة بشكل عشوائي بطالعتها سريعًا:

(واعلم أيها السالك إلى خلوة كشف الطاهر (إلياً بن ملكان) أنك تصوم عن كل روح وكل ثقل. فإن ثقل بدنك قلّت عزيمتك وضعف صبرك. فاصلب ظهرك باللبن والتمر ونواشف الخبز. وتحصين نفسك وخلوتك واذن شيخك لتنهل من مدده مدة رياضتك. وقل بعد كل صلاة بسم الله أنا الأسد سهمي نفذ منه المدد. لا أبالي بأحد ولا يقدر علي أحد إلا الواحد الأحد بحق قل هو الله أحد. داوم عليها فإنها مددك عند الفتح. واكتب خاتم (ألياً بن ملكان) على جدران خلوتك
 (كما تراه)



تأمل (طه) الرسومات لدقيقة محاولاً استنباط أي شيء يفهمه من الرموز. جاءه صوت صديقه متسانلاً:

- "كتب تحضير كما توقعت. أليس كذلك؟"

أشار (طه) برأسه علامة الإيجاب وهو يمد يده في ملابسه ليخرج علبة سجانه ويتناول إحداها ليثعلها مفكراً. أما صديقه فقد قلب في الكتب الباقية سريعاً وهو يقول:

- "أتق أن هذا الكلام هراء. لكنني أحمل له بعض الرهبة".

- "الجن المذكور في الأديان".

فألها (طه) بتلقائية وهو ينفث دخان سيجارته ويقلب في صفحات الكتاب الذي تكلمت كل فصوله عن الخلوة. لكن في كل فصل كانت الخلوة تؤدي لشيء جديد. وكل خلوة لها شروطها وأيامها وطلاسمها. جلس (طه) على مقعده مرة أخرى وهو يجري بين صفحات الكتاب بعد أن شعر بفضول مفاخر لهذا العالم برغم عدم اهتمامه سابقاً بمعرفته.

بينما جلس صديقه على مقعد المكتب وهو ينصفح الكتابين ويتنقل بينهما بسرعة. يقرأ بضعة أسطر من كل صفحة فإن لم تستهوه قلبها. وإن أعجبتك تعشق في المسطور ومزج عليها نظره أكثر من مرة ليستوعبها.

- "اسمع لهذه العبارات في أول صفحات كتاب (رسائل ابن موسى العاوي) يا (طه).. (وقال الإمام الرازي رحمه الله تعالى جن عليه الليل أي سنه. وبه سمي الجن لاستتارهم واختفائهم عن الأبصار. ومنه

سُمي الجنين لاسئاره في بطن أمه، أما في وصفهم ففي الجن قولان:
الأول أنها أحسام هوائية قادرة على التشكل بأشكال مختلفة، لها
عقول وأفهام وقدرة على أعمال شاقة وصعبة، والثاني في الأرواح
الفلكية المجردة، هي كما يزعم البعض أرواح عالية فاهرة قوية وهي
مختلفة بجواهرها وماهيتها، كما أن لكل روح من الأرواح البشرية
بدنًا معينًا، فكذلك لكل روح من الأرواح الفلكية بدن، وهو ذلك
الفلك المعين، وكما أن الروح البشرية تبدأ أولاً بالدماع، ثم بواسطة
يتعدى أثر ذلك الروح إلى كل البدن، فكذلك الروح الفلكي يتعلق أولاً
بالكوكب ثم بواسطة ذلك التعليق يتعدى أثر ذلك الروح إلى كلبة
ذلك الفلك وإلى كلبة العالم، وكذلك ينبعث من جرم الكواكب
خطوط شعاعية تتصل بجوانب العالم وتتأذى قوة تلك الكواكب
بواسطة تلك الخطوط الشعاعية إلى أجزاء هذا العالم، وكذلك
بواسطة الخطوط الشعاعية المنبعثة من الكواكب الواصلة إلى هذا
العالم".

انتهى صديقه من القراءة ونظر ل(طه) لبعده واقفاً ينظر إليه.

"ما بالك يا (طه)؟"

"ألا تجد شيئاً غريباً فيما قرأته؟"

"الحقيقة لم أفهمه كله".

نزك (طه) الكتاب الذي يحمله وجري إلى خارج غرفة المكتب ليأتي
بمطفاة السجائر وهو يقول:

"لم ننزه لكلام الرازي القريب من العلم الحديث؟"

قال (لم) العبارة الساذجة وهو يحلم على المفرد ويضع المضافة على
فحده وهو ينظر للأسفل بعينه وينحنيها على انساها. علم
صديقه لحظها أنه يجمع أفكاره بتركيز عال كما تعود على رؤيته كثيرا
من قبل على هذه الحال. تركه حتى ينكلم لكن (لم) ظل ثابتا وهو
يصعب أساسا المسيجارة بقوله حتى انتهى وأطفأها. لم يغير نظره
عينه وهو يشول يهدوء شديد كأنه يحاول أن يُسيطر على سبيل من
الأفكار بهاجه

تفسير الجن هو كل ما لم يشاهده الإنسان. أي إن إطلاق تلك الكلمة
بشكل عام فهو يعني كل ما خفي ولا يعني فقط طائفة الحان. أي إن
النبي (سليمان) عندما ذكر عنه أنه يُسيطر على الجن فلم يكن
المقصود الحان الذي نعرفهم فقط. بل كل ما خفي عن أعيننا.
كالطاقة مثلا.

"كلامك بدولي حبالنا".

"انتظر. كلمات الرازي القديمة عن الخطوط الشعاعية. الأندكوك بما
نعرفه عن الإشعاع. الطاقة المسبنة من مادة تسير عبر الفراغ في
خطوط مستقيمة. إنها الموجات الكهرومغناطيسية التي تتحرك في
الفضاء بسرعة الضوء".

"وضح نظرتك".

"الطاقة شحنات لا تترى ولكن يظهر أثرها إذا اتصلت بجسم مادي، كذلك الجان نحن لا نراهم لكن عند اتصالهم بجسم مادي نرى التأثير. مثل الطاقة تمامًا، عند حدوث التفريغ الكهربائي تنشأ الغازات التي تخرج منها الألوان التي تختلف من غاز لآخر، والموجات الضوئية الصادرة عن هذه الغازات مختلفة الترددات. فلكل لون تردد معين. ويغلب لون التردد الأكثر كثافة على لون الضوء. ولأن لكل غاز طيف خاص به يُعرف بأخذ خطوط هذا الطيف. فتنتج الألوان التي تظهر من الطيف الذري، والتي تتراوح بين اللون الأحمر والبنفسجي، الأحمر تردده أقل من تردد أي لون آخر. أما البنفسجي فتردده الأعلى."

"كل ما تقوله أعرفه.. ما الذي..."

قاطعته (طه) بعصبية:

"شششششششش. الموجات الكهرومغناطيسية ترددها أعلى من البنفسجي، وأقل من الأحمر. لذلك فهي غير مرئية. وتسمى الموجات القريبة من اللون الأحمر بالأشعة تحت الحمراء. والقريبة من البنفسجي بالأشعة فوق البنفسجية. فإذا ارتفع التردد أكثر من البنفسجي تصدر ما نسميه الأشعة السينية. وإذا أصبح التردد أقل من الأحمر تنتج الموجات المستخدمة في التلفزيون والراديو."

هذه المرة سكنت صديق (طه) كي لا يعرج نفسه مرة ثانية، بينما أكمل هذا الأخير:

"الم تفهم ما أقصد؟ كل هذه موجات كهرومغناطيسية. أنا أتحدث عن شكل من أشكال الطاقة. الموضوع يتعلق بهندسة الكهرباء. بمجالنا."

ما الذي سيحدث لو أمكننا دراسة فرضية وجود الجن كشكل من أشكال الطاقة!!

فزع (إسلام) عينيه لينظر حوله بدهشة يتأمل غرفته. نهض فشعر بثقل أطرافه، وضع يده على الضمادات التي لفت أجزاء وجهه بتحسسها وهو يحاول التذكر ما الذي أتى به هنا.

نزل من على فراشه والتنميل يغزو قدميه، لكنه تحامل على نفسه وسار حتى باب الغرفة وفتحه، إحدى الممرضات جرت عليه وهي تنهره على خروجه ونظرات الدهشة تملأ عينه.

"ما الذي حدث لي؟ وما هذه الضمادات؟"

توقفت الممرضة تنظر له تحاول أن تفهم ردة فعله الغريبة.

"أستاذ (إسلام)، هل نمت ما الذي حدث اليوم؟"

نظر للأرض مفكراً، ثم هز رأسه نفياً.

"هيا بنا لندخل غرفتك وسأفسر لك كل شيء."

دفعته الممرضة برفق ليدخل غرفته، ونظرت إلى المروهي تنادي على إحدى زميلاتها تسألها عن دكتورة (رقية) وتطلب منها أن ترسلها لغرفة (إسلام) حالاً.

مرت عشر دقائق حتى دخلت (رقية) الغرفة لتجد (إسلام) يتحدث
بعمسية مع الممرضة وهي تبرد عليه بنضاد صبر. عند رؤيتها توقف
(إسلام) عن الحديث وينظر لها بتأملها

- "دكتورة (رقية) أنا أحدهم!"

قالت الممرضة وهي تلوح يدها. تجاهلتها (رقية) وهي تركز عينها على
عيني (إسلام) المستغيثة. كأنه طفل مرتبك وجد نفسه في منزل يمتاز
بالغريب. وينظر لعينها طالبا منها طمأنته.

ابتسمت له فقال لها:

- "هل أعرفك؟"

كانت (رقية) قد قابلت من قبل مرضى تحت تأثير الصدمة يتخذون ردود
الفعال غريبة. لكنها لم تكن لتندهش من أي ردة فعل لـ (إسلام) بعد
كمية الغرائب المتعلقة به هو وأصدقائه.

- "تذكرتك!"

هلف بها (إسلام) وهو يشير إليها. فزادت انزعاجها وهي تطلب من
الممرضة مغادرة الغرفة. أحلست (إسلام) على فراشه وحلست على
المعد بحاله وهي تقول:

- "ما الذي تذكره؟"

نظر للسقف متفكرا لحظات وقال:

"أتذكرك.. رأيتك من قبل وتحذثت معك. لكن التفاصيل غير حاضرة في ذهني".

"الا تذكر كيف جنت للمستشفى؟"

"لا".

"ما الذي تتذكره عن نفسك؟"

"كل شيء. اسمي (إسلام...)"

توقف عن الكلام واتسعت عيناه وهو يُحرك شفطيه بلا صوت يحاول أن يتذكر اسمه بالكامل.. اختفت الابتسامة من وجهه (رقية) وهي تعتدل في جلسنها:

"ما هي آخر ذكرياتك؟"

"مخطوطة ابن إسحاق"

"ماذا؟"

نظر (إسلام) لعينها طويلاً وقال بصوت خائف:

"شيء لا أدري هل يجب أن تعرفه أم..."

فاظفته قائلة:

"يجب أن أعرف كل شيء. نتذكره الآن".

نهضت وساعدته على الاستلقاء على الفراش ليرتاح، وجلست مكانها مرة
أخرى قائلة:

"أحك كل شيء، ولا تحف. أنت في حالة صدمة بسيطة وتذكر المعلومات
العالقة بذهنك سيجز بقية ذكرياتك ويعيدها لعقلك".

نظرت لعينيها طويلاً والراحة تغزو عقله. وبدأ يحكي كل ما يتذكره عن
مخطوطة ابن إسحاق.

الفصل الثالث أصدقاء قدامى

استيقظ الأستاذ (عبد الكريم مصطفى) مدرس التاريخ في فراشه فتعلمت زوجته في نومها. ربت على رأسها بحنان كي لا تسقط فسكنت. نهض من فراشه يتناقل وهو يعدل منامنه كي ينقي أثر برودة هواء الصباح. ارتدى (الشيشب) الموضوع بجانب الفراش ونهض وهو يسير ليخرج لصالة الشفة ومبا إلى الحمام ليستعد لذهابه إلى المدرسة الثانوية التي يدرس فيها. وقف أمام مرآة الحمام يتأمل وجهه الممتلئ وشاربه الضخم الذي تعود على تسريحه كل يوم. بالطبع لم يستطع تأمل وجهه جيدًا لأن نظارته الطبية مازالت في غرفة النوم. وقف بجانبه أمام المرآة وهو يتحسس كرشه ويقول في نفسه (النظام الغذائي الذي تخضعي له زوجتي لأفقد وزني لا يعمل بل ربما زاد وزني أكثر). وقعت فرشاة الأسنان من على الحوض إلى الأرض معدنة صوتًا صغيرًا. فقفز (عبد الكريم) فرعًا من الخوف ولكنه تعال ك نفسه مرة أخرى وهو يضحك على أعضائه التي صارت منفلتة في رذات فعلها بعد وصوله الخمسين. ساهم في ذلك أمراض الضغط والقلب التي أصيب بها.

وصل (عبد الكريم) بسيارته (128) موديل السبعينات إلى سور المدرسة وصفها بعوار الرصيف. والطلاب يسرون بجانب السور إلى بوابة المدرسة وبعضهم يلوح له فرحًا والأخر يناديه محببًا بسخرية برغم أن الطلاب يعتبرون أن شخصيته ضعيفة في السيطرة عليهم إلا أنهم يحبون لطيفة قلبه معهم.. لوح لهم وهو يجاهد ليخرج من السيارة

العسيفة وبلغن الأنظمة الغذائية التي لا يستطيع السير عليها. وبلغن
سيارته القديمة بصعوبة خرج من السيارة وانطلق أبوابها حيناً لم
فتح عنها. السيارة وقفل عنها بطارية الكهراء لأنه يعرف أن عمرها
الاقتراسي انتهى منذ عام ولو تزكها موسولة لأكثر من ساعة لتفقدت
وسبعناح لشعبها مرة أخرى.

دخل المدرسة والطلاب يلماون للسير بجانبه وتحتيته. وبعضهم يلقي
تعيرات ضاحكة فيبنسم لها رغماً عنه وهو يحاول أن يرسم الوراق
على سلامحه. كان يحيم برغم استغفابهم به في بعض الأحيان.
ويشعر أنهم يعوضونه عن الأبناء بسبب فقده للفدرة على الإنجاب.
ون حرس طابور الصباح في نفس وقت دخوله فجرى الطلاب من
حوله ليلحفوا بالطابور. رأى من بعيد استاذة (زئلب) وكيلة المدرسة
وهي تحمل الجرائد اليومية كعادتها. فلوح لها ككل صباح بيده
فلوحد له بالجرائد. من أكثر من عشرة أعوام وهي تشتري الجرائد في
طريقها للمدرسة وتقرأها. وفي المسحة المدرسية يأخذها (عد
الكريم) ليكمل قراءتها.

بعد نهاية الطابور اتجه إلى حمام المدرسين وهو يفكر في أن يشتري اليوم
الكشري ويكسر النظام الغذائي بلا علم زوجته. مرة واحدة كل يومين
ولن يلاحظ أحد. ألقى تعباً الصباح على بعض المدرسين الساترين
من حوله حتى وصل لباب الحمام المفتوح. دخل قانغلاق باب الحمام
من تلقاء نفسه. توقف لشوان وهو ينظر له بدهشة. أشاح بيده بلا
اهتمام وهو يتجه إلى إحدى الدورات. سمع صوت أحدهم وهو يحاول
أن يفتح باب الحمام من الخارج ويفشل ثم يطلق صنة بصوت

منخفض. ولكنه سمعه ورحلًا جرى (عبد الكريم) وهو يحاول فتح
الباب من الداخل، ولكن المزلاج علق ولم يعد يدور، شعر بسخونة
تلفح ظهره فرفع رأسه للأعلى وفعه بمنصع لا إرادتها من الخوف
والدهشة، صوت كتفيع الأفعى يأتي من خلفه، ابتلع ريقه ونظر خلفه
ليرى دائرة من الدخان بلا رائحة.

"لا.. لا يمكن".

فألها برعب وهو يتراجع للخلف ويصطدم ظهره بالبواب، انقشع جزء من
الدخان ليظهر خلفه كائن متوسط الطول يحمل قرنين صغيرين أعلى
رأسه ووجه مثل وجه القرد، يقول:

"كيف حالك يا صديقي؟ لم أرك منذ - م ونصف تقري، وبعمر
سنتينكم هنا.. اثنان وعشرون عامًا".

تسارعت أنفاس (عبد الكريم) وهو يقول بيأس:

"لبس بعد كل هذه الأعوام!"

انقسم الكائن قاذلاً:

"اجهريا (سعيد) فلقد عدت للخدمة".

"تم تغرف يا والدي؟"

انقسم (القصاب) وقال:

في البداية لن تصدق. ثم سأريك بعض الأدلة فتصدم. وبعد زمر
سنتقبل هذا. والآن اكتب وتعلم ما سأمليه عليك وستعرف تفاصيل
كل شيء. أثناء التعلم. اعتبرني مغرّباً مؤقتاً حتى يظهر لك الحق. ولن
نحسر شيئاً. بل سأهيك أسرار عالم الجان. والآن اكتب"

شعر (مهران) أن عليه الاعتراض ولكنه تراجع لسبب. لم يعلمه ونظر في
القرطاس وكتب ما يمليه (القصاب):

"روقيانيل. جيرانيل. سمعانيل. ميكانيل. صرفيانيل. عفيانيل.
كسفيانيل."

جلس (القصاب) بجانبه وقال وهو يتأمل الفراغ أمامه:

"في حضرة (سليمان) يرافقه صاحب حكمة الدهر (أصف بن برخيا)
وبحضور كل عائلات الجان من كل مكان. حكى لي جدي عن هذا
اليوم. عندما أخذ ملوك الجان من كل بقعة العهد السليمانى بخدمة
أسمانه."

ابتسم (القصاب) وهو مازال ينظر للفراغ. لكنه نهض فجأة فرخا وهو
يقف في صحن الدار بصحة لا تناسب هيئته. وهو يشير لبشعة قائلاً
بحماس:

"كان (سليمان) يقف هنا بكل عظمة وفخر يرتدي أبهى ما رأى قومي من
ملابس وعلى رأسه تاج جواهره من الأبيض والأسود. وخلفه يقف
(أصف بن برخيا) يحمل قرطاس العهد ليختمه ملوك الجان. يقفان
وحدهما أمام باب الهيكل بلا جيش ولا حرس."

ثم جرى بنفس الحماسة ناحية طرف صحن الدار وقال مشيرًا:

”وهنا وقف ملوك الأيام بجانب الملوك العلوية والسفلية. وهنا وقف ملوك الغيلان الخمس. بجانبهم الرووس الأربعة من أسياد الجان (مازر. كطم. طيكل. قسورة). وأمامهم وقف سيد العفارت (لاقيس الإيليسي) الذي لم يخضع هو وعشيرته لكائن من كان من قبل (سليمان) وحتى من بعده. إن ظهر لبشر تصدع عقله من ثود. نبعث عنه وعن قبيلته (الجناح). جانا وبشرا. بلا فائدة“.

ثم أشار لبقعة أخرى والحنين بعزوه صوته:

”أما هنا فقد وقفت عائلتنا من الجان نشهد على هذا اليوم. يوم أن تبدلت حياة الجان بكل طوائفهم“.

”كيف تبدلت؟“

شعر (مهران) بسخافة سؤاله في هذا الوقت. ربما فضل أن يترك والده لعنونه بروي خيالاته. لكن حتى تلك الخيالات أصابته بالفضول لمعرفة بعض الأمور. وكان والده ينتظر أن يتفاعل معه (مهران) ولو من باب المجاملة: اعتدل في وقفته وقال:

”علمنا (سليمان) و(أصف) ما غيّر حياتنا. علمنا كيف نختلط بعالم البشر للاستفيد منه ونطور لنواكبه. الغيلان المشهورون بالحرب والحيل علمهم كيف يتخفون في شكل بشر لفترات طويلة وكيف يتلون مظهرهم بكلمات ينطقونها. واستخدمهم كجواسيس قبل بدء الحروب ليختلطوا بين الناس ويجمعوا المعلومات. وعلم الملوك

العلوية والسفلية كيف يزيدوا من قوتهم بكلمات ينطقها البشر
فنتغذى عليها لتطيل أعمارنا".

سار (القصاب) حتى وقف أمامه وهو يكمل بنفس الحماسة:

"تعلمنا وقف الحروب بيننا والاستقرار والبناء والسلام. كل شيء تعلمناه
كان مقابل خدمة خانته ومن يستخدمه من بعده".

فجأة انحنى ظهره وتهدل صوته وغزا الحزن ملامحه وهو يجلس بجانب
(مهران) ويقول بخيبة أمل:

"ومات (سليمان) ورحل (أصف) فعدنا لسابق عهدنا من البطش. لكن
الفرق.. أننا عدنا أقوى مما كنا".

سيطر الصمت لحظات طويلة عليهما و(القصاب) ينظر بحزن أمامه
و(مهران) لا يدري ماذا يقول في مثل هذا الموقف. ولكن (القصاب)
قال بصوت جاد فجأة:

"أكمل ما كنت تكتبه. أسماء ملوكنا العلويين هل دوتها؟"

"نعم".

"دون عندك. أسماء الملوك السفليين الموكين بخدمة العهد (الملك
مذهب. الملك مرة. الملك برقان. الملك شهورش. الملك بهوتر. الملك
زوبعة. الملك ميمون).. أعرف أن أسماءهم عربية عليك. ستعادها".

"ما الذي سأجنيه عند معرفة أسمائهم؟"

سؤال جيد في أولى دروسك. لكن قبل إجابته يجب أن نعرف مع من نتعامل. عالمنا ينقسم لمنطقتين. ملوك تحكم ملبارات الجان في مناطقنا. وهم من يجب أن نتعلم أسماءهم. وملوك تحكم منطقة أخرى لا صلة لها بنا. أشكال الجان بها أقرب للقوازيين النسر. أما الملوك الذين أخبرتك بأسمائهم فلا حكم لهم علينا فعلياً.

“ما معنى ملبارات؟ وكيف نقول ملوكاً بلا حكم؟”

قالها (مهران) والغباء يرسم صريعاً على قسماته. فابتسم (القصاب) قائلاً:

“سأعلمك فيما بعد كل شيء عن الأرقام، لكن أريدك أن تعرف أننا كجان في عالمنا من المستحيل أن نتصل أو نرى هؤلاء الملوك. لأنهم وهوا أنفسهم لخدمة البشر بعد العهد السلیماني. لكن في نفس الوقت لهم قوة في عالمنا من خلال خدامهم الذين لا تعرف طريقة عملهم حتى الآن.”

مز (مهران) كتفيه وقال:

“لا أفهم.”

اعتدل (القصاب) في جلسته وتنحنع وهو يقول:

“الملك برقان مثلاً هو الموكل عند البشر بالصرع والتلبس وغير ذلك. فإذا أراد رجل من البشر أن يصرع عدوه فما عليه سوى أن ينطق بدعوة خاصة بالملك برقان فيصرع العدو. أما الجني فمهما قال من

دعوات وتعاونيد فلن يستجيب رجال الملك بركان. يجب أن ينطق بها بشري".

"أعوذ بالله من الشيطان الرجيم. فهمت عما تنكلم. أنت تريد تعليمي السحر. أي الكفر!"

تنفس (القصاب) محاولاً السبطرة على أعصابه وبلغ ريقه وهو يقول:

"يا بني السحر المحرم هو المؤدي إلى الشز. كأن تستخدم البارود في الدفاع عن منزلك. أو تستخدمه في الهجوم على منزل رجل بريء. هل تحزم البارود؟ غير هذا وذاك أنا لا أعلمك السحر. أنا أعلمك ميرانا من الأسرار التي حفظتها لأعيش في هذا العالم وأخدم عائلتي".

"أنا لن أتحمل تلك التخاريف مرة أخرى. جئت إليك لتساعدني في حل مشكلتي وها أنت تنكلم منذ..."

كان (مهران) يقول العبارة السابقة وهو ينهض ويلقي بالقرطاس والريشة بجانبه. ولكن صوت (القصاب) الحاد أوقفه وهو يقول له أمرًا:

"اجلس!"

توقف (مهران) متحفظًا حتى اكمل (القصاب):

"اجلس قليلًا وسأريك حلًا لمشكلتك. وهذا آخر ما ستسمعه مني الليلة. وغدا إن لم تفلح طريفتي فلا تأتي مرة أخرى".

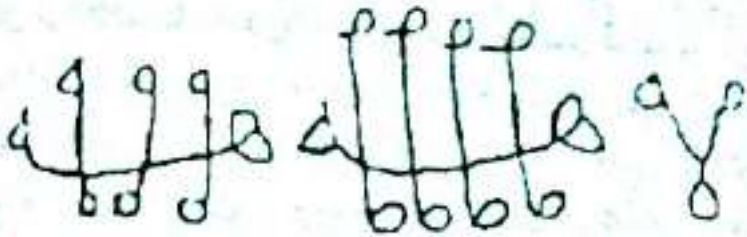
جلس (مهران) بشك فقال (القصاب):

”دُونَ مَا سَأَقُولُ فِي قِرطاسِ جَدِيدٍ وَاكتَبَ عَلَيْهِ مِنَ الْأَعْلَى، (توكيل الملك
برقان بالصرع)“

ناكد من أن حالته نائمة كي لا تسمعه. جلس بعدها في غرفته وأخرج من
حلبابه القِرطاس الذي أملاه عليه والده أمس وراجعهُ مرةً أخيرةً
بعدهما حفظ كل حرف به طوال الليل. نظر أمامه وهو يتذكر تحذير
والده بأن عليه أن يصرف عمار المكان قبل أن يتلو دعوة الملك
(برقان). أخذ نفسًا طويلًا ليكسبه ثقة يفتقدُها في تلك اللحظة
المتبورة. ثم قال فجأة:

”يا غموش. يا غموش. الغموش. مرغموش. إيلغموش. مرش. مريوش.
جل الجليل صاحب الاسم الكبير. الأرض بكم ترجف والرياح بكم
تقصف والأودية بكم تخفق والجبال بكم تنزل وأسماء الله نار
محرقه محبطه بكم يا عمار هذا المكان. وإلا فتزل ملانكة عاصم من
السماء بشهب من نار فتقطع منكم الأمعاء. ونترككم مضروبين
ملعونين مصروعين. الله الله الله. الكلام كلام الله والعبد عبد الله
والأمر أمر الله ولا إله إلا الله ولا حول ولا قوة إلا بالله. أيها الملك
طارش ليس لكم منه راحة حتى ترحلوا من هذا المكان. أعزم عليكم يا
معشر الأرواح والأعوان أن تنزلوا على عمار هذا المكان بالسلاسل
والأغلال في الأعناق بالهبة والوقار. اسمعوا وأطيعوا واطردوهم
وأبطلوا حركاتهم واذهبوا بعمار هذا المكان وحريمهم وعبالهم من
طريق الخدام. وسبروا في خدمتي حتى ينقضي عملي هذا.“

دقة واضحة سمعها (مهران) من داخل غرفته. مصدرها مجهول لكنها العلامة على رحيل عمار المكان كما أحبره والده. جرى على المكان الذي يحتفظ فيه بالريشة والمجبرة وأخرجهما وهو يرسم ما دونه في



القرطاس بيده اليسرى المرتعشة على باطن كفه الأيمن..

شعرهالة تحبب بيده بسبب هذا الطلسم الذي رسمه، ولكنه تمالك أعصابه مرة أخرى وهو ينفخ حتى يستقر العبر على مسام جلده. مر الوقت وهو ما زال ينفخ الهواء حتى شعر بأنه يتهزّب من الإقدام على الخطوة التالية. جلس على الأرض ويده اليسرى المرتعشة زادت في حركتها وأنفاسه تسارعت.

نهض وهو يقول مغمضاً عينيه:

-بسم الله.. أقسمت بالأسماء السمرانية على خدم (برقان) أن يتلبسوا يدي بالسمع والطاعة ويتحضوا إلى ما أمرتهم بالقوة والاستطاعة، بحق صاحب جبل الدخان الراكب على الفيل المتعمم بالثعبان. بعزم روديانيل العفريت الهارب من قمقم سليمان. تلبسوا الكف وفرقوا الأصابع وأصرعوا من تجمير عليّ وغلب، بركة جيش عصاب بن

الشمالقة سكان الجبال والعيون الغائرة. عيطوش عيطوش ليطوش
ليطوش أروايوش أروايوش أحب يا برفان بخدمك ورجالك وتلبسوا
يدي".

لم يحدث شيء! انهم نفسه بالغياء. كيف يُصدّق أن يحدث...
فجأة، سمع صوتًا يأتي من بعيد، صوت حوافر خيول، يتعالى الصوت
كل ثانية ويصبح أكثر وضوحًا، كأن تلك الخيول تقترب، تهادت لأنفه
رائحة لا هي بالزكية ولا هي بالمقززة. صوت الحوافر يقترب من أذنه
حتى سمعه كأنه داخل غرفته. ثم صمت وزادت الرائحة.

تفرقت أصابعه فجأة رغماً عن إرادته. حاول ضمهم فنقرقوا بقوة أكثر.
فجأة لانت أصابعه، هذه هي علامة تلبس يده. تعالي صوت أنفاسه
الخانقة هذه المرة وهو ينظر لأصابعه بفرع، لقد حدث نصًا ما أخبره
به والده.

عند هذه اللحظة تغير كل شيء. لقد امتلك لأول مرة قوة حقيقية. نظر
لباب غرفته ثم إلى يده وابتسامة ترسم على شفثيه رغماً عنه.

مرت نصف ساعة وهو بدور في الحارات والشوارع باحثًا عن (بيرفدار).
تعجب الجميع من مظهره وطريقته في السؤال. أقسم البعض أن
عينيه أصبحت أكثر قوة وعمقًا، ومشبته القديمة بدلت بأخرى واثقة
بطينة كأنه مصارع (كشتمي) ينهادي في ساحة القتال أمام الجمهور.
كان يضم يده اليمنى في شكل قبضة لفتت نظر البعض.

بعد الكثير من البحث سمع صوت (بيرقدار) ينادي عليه وهو يقف أمام مقهى يعج بالجالسين. التفت إليه ونظر إليه وابتسم. لا يعرف (بيرقدار) الذي أخبره أحدهم أن (مهران) يبحث عنه. لم ارتك عندما رأى تلك الابتسامة. لم تكن متوقعة منه بأية حال.

اقرب (مهران) بثقة حتى أصبح وجهه مقابلاً لوجه (بيرقدار) الذي نظر لخصبة يده اليمنى المغلقة ولم يفهم.. رفع (مهران) قبضة يده اليمنى وفتحها في وجهه فرأى الظلم المرسوم عليها:

”توكلوا يا خذاء الظلم بصرع مطلوب هذا“.

قالها (مهران) وهو يضع يده على كتف (بيرقدار) الذي شعر بشيء يضغط على رأسه ثم فقد الوعي وجسده يتقوس على نفسه عكس إرادته. ورعشات متعاقبة تجتاح أطرافه.

ظل على سدة الحال لثوانٍ حتى جرى رواد المقهى يعيطون به مضطربين. أما (مهران) فقد ابتعد ليسير في طريقه مبتسماً وهو يقول بصوت خافت:

”أخرجوا من يدي فإنكم مأذونون وعليكم بركة من أسياذكم وحكامكم. ادوناي ادوناي. أنكير أنكير. على بساط الأسماء انصرفوا دون تأخير. يع أشليم أشليم سلام سلام“.

جاءه صوت جرس الباب داخل حلمه. فتح (عماد) عينيه ف شعر بالأم بف رقبته وظهره. تذكر أنه كان يقرأ في بعض كتبه ليلاً يمكنه عندما عليه النعاس ونام على المكتب. رن جرس الباب ثانية فانتبه له ونهض

بصعوبة كي يحافظ على توازنه من السقوط عندما انخفض ضغط
دمه فجأة بسبب نهوضه المفاجئ.

ثناء وهو يخرج لصالاة الشفة. فتح الباب فظالعه (حازم) نُعطي وجهه
بعض اللصقات الطبية و(قاصيم) يقف بجانبه. فاحتضنه بقوة.

"كيف خرجت من المستشفى؟"

دخل (حازم) وهو يقول ساخراً:

"(بصفيدش) زارني أمس في المستشفى وقام بما يحسن القيام به."

جلس فجلس بجانبه (عماد) يهز رأسه بتساؤل. فقال (حازم):

"أعاد لي عافيتي."

"بهذه البساطة؟"

ضحك (حازم) و(قاصيم) يقول بالعربية:

"ملوك العشائر وكبارنا يستطيعون التأثير على المخ ليشرز كمية جديدة
من الأندروفين بشكل ثابت لأيام فينتهي الألم تقريباً."

أكمل (حازم):

"ألا تتذكر عندما سار (حامد) على قدمه المكسورة مبكراً؟"

"طبعاً."

"قدم (حامد) كانت قاربت على الشفاء. نفس الفكرة معي. لم يشف
جراحي لكنه انتهى إليها فأمكنني التحرك مبكراً."

هز (عماد) رأسه متفهماً. ثم قال متذكراً:

- "هل علمت بما حدث لـ (حامد)؟"

- "ما الذي حدث؟ (قاصيم) قال لي إنه اختفى فترة وعاد للظهور، وجئت لأستفسر منك."

ابتسم (عماد) وهو يقول:

- "تماسك كي لا تضحك.. (حامد) أصبح سيد الغرفة النحاسية."

.....

كاد (عماد) أن يكمل لكن صوت جرس الباب قاطعه. نهض ليفتحه ففوجئ بـ (حامد) وبجانسه (رحيم). يدخل الشقة وهو يرتدي بدلة وكرافت. وقد مشط شعره للأمام بشكل مضحك. بمجرد دخوله وجد (حازم) الحالس فجرى عليه يحتضنه ويقبله وهذا الأخير يبعده عنه بأدب.

- "كيف أصبحت سيد الغرفة؟"

قالها (حازم) مندهشاً فنظر (حامد) لـ (رحيم) قائلاً:

- "(رحيم)، ادخل وسلم على عمو (قاصيم)".

ضحك (عماد) وهو يقول:

- "لا تقل لي إنك ترتدي الملابس بهذا الشكل بسبب الغرفة النحاسية!"

- "أنا الآن موظف ويجب الاهتمام بمظهري".

- هل نعرف كيفية التعامل مع الغرفة؟

قالها (حازم) بسخرية لا تخلو من الدهشة. فقال (حامد):

"لقد أرتني الغرفة كل ما يتعلق بها عندما نصبتني سيدها".

قهقهه (حازم) بينما ظهر جثي غريب الشكل عند مدخل غرفة المكتب.

وجه خدم (قاصيم) الرماح إليه لكنه قال بسرعة:

- سيدي (يصفيدش) يطلب منكم مقابلته أمام مشرحة زينهم الآن. الغول

الذي حاول قتل (إسلام) مازال حيًا".

ثم نظر ل(حامد) وخفض رأسه احترامًا قائلًا:

- تحية لسيد الغرفة النحاسية وجساسة".

ثم أفلتت منه ضحكة وهو يقول:

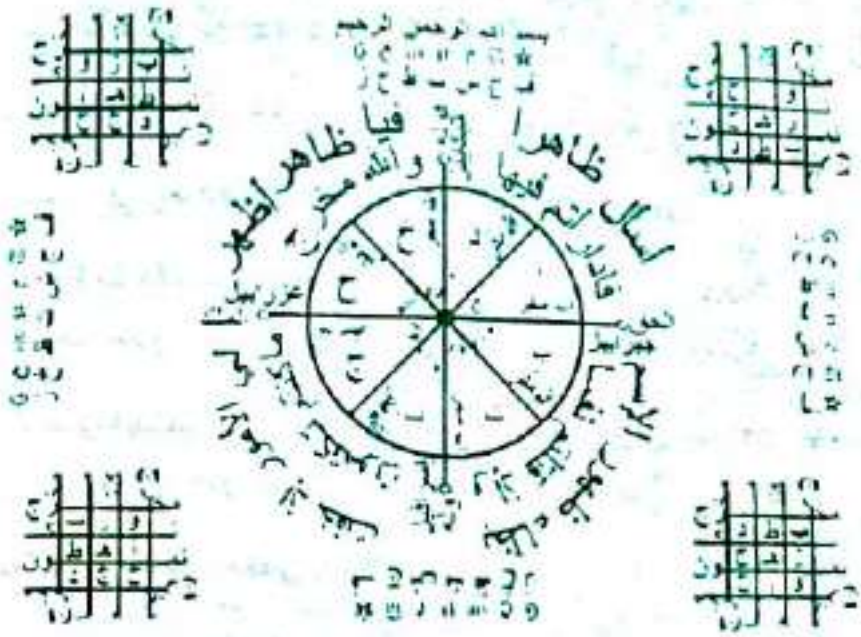
- سيدي (يصفيدش) يبارك لك على موقعك الجديد".

- لم يضحك الجميع عند ذكر الغرفة النحاسية؟

قالها (حامد) بغضب. فرد عليه (حازم) مبتسماً:

- يضحكون عند اقتران اسمك بها".

- الكحكة في بد اليتيم عجة!"



انتهى (طه) من الطلسم الذي أملاه عليه (الجساس) أمس. رسمه بحبر أحمر عادي على أرض الصالة بعدما أزاح السجاد. ثم نقل ألواح الخشب الجديدة التي اشتراها أمس وظل طوال الليل يحفر داخلها شكلاً حلزونيًا يسمح بوضع سلك نحاسي أكبر حجمًا من الذي يستعمله في تجاربه. لوحان مربعان أبعادهما ثلاثة أمتار طولًا وعرضًا.

صنع لكل لوح مسندًا، ونصب اللوحين ليقابلا بعضهما ليصنع مجالًا كهرومغناطيسيًا أقوى من السابق. أوصل الألواح بأجهزته لقياس التيار الكهربائي والتحكم فيه.

أخرج الورقة التي كتب عليها الاستدعاء الذي أخذه أيضاً من الجاساس وتأمل كلماتها التي تعود عليها من قبل. أحضر بعض أوراقه من ورشته والتي تمثل بمعادلاته التي عمل عليها لسنين.

ابنسم لنفسه عند رؤية بعض المعادلات التي عمل عليها قديماً وهو يتذكر كيف تعزف على هذا العالم

(مربومان بعدما اكتشف (طه) الكتب في مكتب والده. وصديقه يجلس بجانبه أمام الكمبيوتر وهو يتصفح مواقع تتكلم عن الجان في التراث.
"انظر هنا".

قالها (طه) وهو يشير لشاشة الكمبيوتر. فقرأ صديقه بصوت عالٍ:

"يقول ابن مسعود إن الله تعالى خلق نارين فمزج إحداهما بالأخرى فأكلت إحداهما الأخرى وهي نار السموم. وهي جزء من سبعين جزءاً من نار جهنم. وهي نار تكون بين السماء والحجاب. لا دخان لها. والصواعق تكون منها".

أمسك (طه) هنا ببضعة أوراق كان يسجل فيها ملاحظاته وجرى بعينيه بينها حتى وصل إلى ورقة وقال وهو ينظر لها:

"لدينا هنا نوعان من النار تم ذكرهما في القرآن. نار تحتاج لمصدر اشتعال. مثل الآية القرآنية (الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نازلاً فإذا أنتم منه توقدون) وآية (أفرايتم النار التي تورون أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشئون). وهي النار التي نعرفها. والنوع الثاني ذاتي

الاشتعال كما فهم الأقدمون وهي نار السموم. التي نعرفها من وصف
الشمع بأنها معادل الكهرباء في عصرنا).

فلب في الأوراق حتى وصل إلى ورقة جديدة وقرأ منها لصديقه:

"روى أبو الدرداء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: قال رسول
الله خلق الجن ثلاثة أنواع. فثلث كلاب وحيات وخشاش الأرض. وثلث
ريح هفافة. وثلث كبني آدم لهم ثواب وعليهم عقاب.. أعتقد أنه عندما
تحدث عن خلق الجن في هذا الحديث قصد بها خلق كل ما خفي عن
العين. لذلك فالنوع الثالث حددهم الرسول بأن لهم ثواب وعقاب
أي إنهم عاقلين".

- "وبنية الأنواع؟"

"انتظر سأبحث عن شيء".

نواب على الكمبيوتر وصفق بيده انتصارًا وهو يقول:

"كلمة هفافة في لسان العرب في مادة هفف. الهفاف: البراق. براق
صيغة مبالغة فعال أي برفق قوي شديد الضياء واللمعان.. كل ما
قابلنا سابقًا يشير إلى أن تكوين الجن لا يصح إلا إن كان نفس
التكوين الكهربائي. أي إن أجسامهم طاقة كهربائية. وهذا يفسر لي كيف
يؤثرون في أجسامنا".

"كيف؟"

"هل قرأت عن التشريح من قبل؟"

اعتدل (طه) بمقعده وقال:

"جسدك يستقبل المؤثرات الخارجية كاللمس مثلاً. يُحوّلها إلى نبضات كهربية ويرسلها عن طريق الأعصاب التي تُمثل الحبل الذي يستقبل ويرسل تلك الإشارات الكهربائية للدماغ. هل تفهمي؟"

ابتسم صديقه وهز رأسه بالإيجاب. فأكمل (طه):

"لو أعطى المخ إشارة كهربية لأي طرف كيدك مثلاً. لو كانت الأعصاب مجرد ناقلة إشارات لتتلاشى تردد الإشارة تدريجياً حتى تصل إليك. لكن الأعصاب نفسها تخلق نبضات كهربية لتُحافظ على الإشارة. وفي نفس الوقت لو قمت أنا بلمس يدك الآن فإن أعصابك تُحوّل تلك اللمسة لإشارة كهربية كي تنقلها لمركز الإحساس بمخك. لو اختل التنظيم المطلوب في ذبذبات الموجات الواصلة إلى الدماغ يحدث الصرع".

"هل تقصد أن الجن هم المسؤولون عن الصرع؟"

"لا أعرف. الصرع هو نشاط كهربى زائد يظهر في رسم المخ. لو كانت مادة الجن هي الكهرباء، ويستطيع إصدار نبضات كهربية فيمكنه إحداث الصرع عن طريق زيادة الذبذبات الكهربائية في طريقها للمخ".

هنا اتسعت عين (طه) وطرفع إصبعه وهو يقول:

”الجن لا يدخل جسدك ليتلبسك. يكفيه أن يؤثر عليك إن كان بجانبك. لو أردت أنت أن ترفع يدك اليمنى للأعلى فأمرت مخك بإرسال الإشارة الكهربائية ليديك، سيقوم الجني باعتراض النبضة المرسله وتغييرها لنبضة جديدة تأمر يدك بالتزول لأسفل.”

”أنت تفترض.”

”لكنه افتراض منطقي. تخيل إن كان جسد الجني من الكهرباء، سيفسر لك قوتهم التي تتحدث الأساطير عنها. تخيل أنهم يعيشون معنا لكن في بعد آخر بسبب طبيعة أجسادهم التي تكوّنت من الطاقة. هل يمكننا أن نسخرهم عن طريق الطاقة نحن أيضاً؟ تخيل معي ما الذي سبحدث لو استطعت تعذيبهم بالكهرباء؟“

أخذ (طه) نفساً عميقاً وهو يخرج نفسه من ذكرياته القديمة. اعتدل في وقفته وأخرج ساعته الخاصة وملاً زئبركها وضبطها. سمى الله ثم قرأ بصوت عالٍ وهو يقف بجانب الطلاسم التي كتبها على الأرض والتي وُضعت على جانبيها ألواح الخشب. فتح الورقة وقرأ بصوت رخيماً هادئ:

”أقسمت عليكم بقسم خطف الأرواح المكتوب عند كرسي العرش السليماني، بحق طهر طهر فقليلش فقليلش أندريوش أندريوش تبغات تبغات طلبوت طلبوت، أجب يا نيطروش سبوح قدوس ربنا رب الملائكة والروح. أجبوا أيتها الأرواح الموكلون وتوكلوا بخطف (سنان بن عازم بن سفار) بحق الاسم الذي أوله آل وأخره آل وهو آل شلع يعيوبية به واه أه بنكه بتكفال بكعي بصعي ممبال مطيع لك يا آل

حل زربا وزربال. توكلوا بخطف هذا العارض وأخضروه لمقامي. الوحا
الوحا الوحا. العجل العجل العجل. الساعة الساعة الساعة.
الطاعة الطاعة الطاعة.

برغم أن الجساس كان مجيزًا على إخباره بالمعلومات إلا أنه كان يثق أنه
أعطاه العزيمة الحقيقية لخطف رجل (المخلي) الأول (سنان) بن
عازم). لذا بعد أن انتهى وضع يده عند مفتاح تشغيل الحقل
الكهرومغناطيسي.

وسط الظلم المرسوم ظهر ظل طويل رفع لرجل حرك رأسه بيمينًا
وبسارًا. ضغط هنا (طه) مفتاح تشغيل التيار الكهربائي. انتشر الحقل
الكهرومغناطيسي وأحاط بالظل الذي فشل في الخروج من دائرة
الظلم.

“أعرف أن ذبذبة صوتي تصلك يا (سنان)“.

فألها (طه) وهو يتكلم بصوت عالٍ. ظهرت ملامح لوجه (سنان) تدريجيًا
فقال (طه) بنفس نبرة الصوت:

“باختصار كي لا أطيل عليك، أريد أن أعرف موعد فتح الموابات
وموضعها ومكان الفتاة التي اختطفتم. وقبل أن تتكلم أريد أن أريك
احتياطيًا شيئًا ما“.

نظر لساعته وضغط زرًا جديدًا فانتشر شرر كهربائي حول (سنان)
وتداخل حتى بدأت شرارات كهربائية تخرج وتدخل حسد ذلك الأخير.

مرت خمس وأربعون ثانية ثم أطفأ التردد الكهربائي الذي أنشأه. ظل النبار الكهربومغناطيسي كما هو بينما (سنان) يجلس على ركبتيه وقد ظهر بقية جسده. فقال (طه) مبتسماً:

- "أعرف أنك ستحاول فك الحزام الكهربومغناطيسي المحيط بك. لكنك ستستغرق وقتاً طويلاً حتى تجد ثغرة لتنفذ منها. وقبل أي محاولة سأفضي عليك في خلال دقيقة".

- "من أنت؟"

قالها (سنان) بصوت رفيع مرهق. فوضع (طه) يده بجانب الزر وقال:

- "ليس من شأنك. هيا اختريين الحياة والموت".

- "حان موعد الزيارة".

قالها (حامد) ل(حازم) وهو ينظر لساعته. فنهض الأخير من مقعد الانتظار بالمستشفى يتبعه (حامد). الذي قال وهما يصعدان درجات السلم:

- "لكن لم أجد (يصفيدش) الفول؟ اعتقدت أنه سيقتله".

بصوت خافت ردّ عليه:

- "الجن الآن في حالة استعداد للحرب. كل من يعمل للجهة التي نعاديك هو كثر. يجب استجوابه لا قتله".

- "لوانتهت تلك الحرب بانتصار (المغربي) هل سنتضرر كبشر؟"

توقف (حازم) عن الصعود ونظر له (حامد) مفكراً:

"لا أعرف... لكن لا أحمذ الانتظار حتى يخرجوا. عالم الجن كعالم البشر.

لا يجب أن نسيطر طائفة على الجميع."

نظر له (حامد) وعيناه تتسع. ثم قال فجأة:

"لم أفهم مقصدك."

تركه (حازم) وراءه وصعد الدرجات وهو يبرطم بكلمات يتعجب بها من

عمل (حامد) كسيد للغرفة النحاسية. حاول هذا الأخير اللحاق به

حتى وصلا غرفة (إسلام). فتح (حازم) بابها ليجد (إسلام) يستند على

فراشه ويتحدث مع طبيبته (رقية).

دخلا الاثنان وأغلق (حامد) الباب. فجأة انفتح الباب مرة أخرى من

خلفهما ودخل قرين (إسلام) ليمسك بملايسهما من الخلف. تكهرب

الجو ونهضت (رقية) شاهقة. بينما تملص (حامد) من قبضة القرين

وهو يرمي نفسه على الأرض صارخاً:

"صلي على رسول الله."

رفع (إسلام) يده أمامه قائلاً بفرع:

"انتظر يا هذا."

تصلب القرين وعيناه في عيني (إسلام). فتمالك (حازم) نفسه وهو ينقل

عينيه بين (إسلام) الراقد على الفراش. وقرينه الذي يمسك بقميصه

من الخلف. حرك (حازم) شفثيه ببطء يطلب من (فاصيم) التصرف.

فجاء تحرك القرنين مرة ثانية وهو يحيط بيده اليمنى رقبة (حازم).
فصرح (إسلام) مرة ثانية به أن يتوقف. فتوقف قيل أن تسحق يده
رقبة (حازم).

مرت بضع ثوانٍ على الجميع وهم منجمدون. قيل أن يقول (إسلام) كأنه
يتوسل لقرينه:

-ابتعد عنهم-

فجاء اختفى القرنين حرفياً كأنه لم يكن. تنفس (حازم) بقوة بعد أن
اختفى الضغط من على حنجرتهم.

-قرينك العاري هذا مجنون!

قالها (حامد) عندما نهض وهو ينفض الأتربة عن ملابسه. كانت (رقية)
كما هي واقفة وفمها مفتوح دهشة.

-وكيف يظهر قريني بهذا الشكل؟-

قالها (إسلام) بدهشة. فنظر (حازم) ل(حامد).

-هل نتذكرنا؟-

قالها (حازم). فرد (إسلام) بسرعة:

-طبعاً يا (حازم)-.

نظر (حازم) ل(رقية) بشك. فقال (إسلام):

-أعرفك بل(رقية). حكيت لها كل شيء.. فتكلم أمامها كما تحب-

”حكيت كل شيء!! لماذا؟“

لاحظ (إسلام) اللهجة العدانية التي تسربت لعبارة (حازم)، لكنه نظر
ل(رقية) وقال:

”هذا (حازم) الذي أخبرتك عنه.. الذي يمتلك حنينا يدعى (قاصيم).
وهذا هو (حامد).“

”أملك أنا أيضا حنينا.“

قالها (حامد) مفتخرًا، بينما زادت العدانية أكثر في نبرة (حازم) وهو يقول:

”لم نجب على سؤالي!“

”لا أعرف يا (حازم)، ربما ساعدتني (رقية) على التذكر أو إيجاد حل طيب
لمشكلتي.“

”لقد علمت من (بصفيديش) بحالتك.“

قالها (حازم) وهو يجلس على مقعد بجوار الفراش، بينما جلست (رقية)
على الفراش وظل (حامد) واقفًا وهو يلعب بإصبعه في أنفه.

”من (بصفيديش) هذا؟“

نظر (حازم) لرقية وقال:

”(بصفيديش) شقيق (المغلي بن ذاعات).. يساعدنا على إنقاذ (حبيبة)
وهزيمة (المغلي).“

”ما الذي حدث ل(حبيبة)؟“

قالها (إسلام) بلهفة وهو يعندل على فراشه.

"هل (حبيبة) هذه هي الفتاة التي كانت مع (إسلام) لحظة الحادث؟"

قالتها (رقية). فهز (حازم) رأسه بالموافقة. لترد عليه:

"لقد سألت عنها (إسلام) أمس ونسى كل شيء عنها وعن الحادثة اليوم."

نظر (حازم) لـ(إسلام) متأملاً. وقال:

"(حبيبة) خطفها (المخلي) لمكان لا يعلمه جان ولا بشر. لكن الآن يجب أن نعرف الأهم. ما حكاية فقدان ذاكرتك التدريجي هذا. وما أمر ذلك القرن؟"

رفع (إسلام) عينيه للأعلى كأنه يتذكر شيئاً. ثم قال:

"لا أحد نفسي أعاني من فقد أي معلومات. أشعر أن كل شيء في رأسي كما هو."

"هل نتذكر صديقك (يوسف)؟"

"طبعاً."

"هل نتذكر كيف تعرفت عليه؟"

هز رأسه ناعياً بخيبة أمل. فردت (رقية) بسرعة:

"حالة (إسلام) لم أسمع بمثلها من قبل. فهو يتذكر تفاصيل حياته بشكل عشوائي من الماضي والحاضر. سأطلب فحصه على يد طبيب أمراض عصبية لتتأكد من...."

قاطعها (حازم):

"لن يفيد. المسألة على الأرجح تتعلق بقربنه الذي انفصل عنه".

"لولا أنني رأيت ذلك الوحش لما كنت صدفت ما يقوله (إسلام).. ولو أنني لم أمضه كله. إلا أن ما رأيته يكشفني.. كأنني.. كأنني في حلم!"

فالتها (رقية) وهي تُحرك يدها بارتباك. كأن الكلمات التي تخرج من فمها لا تُسْعِفها على شرح إحساسها.

"ما الذي ستفعله عند مقابلة أهلك اليوم؟"

قالها (حامد) فردت (رقية) وهي تهز كتفها:

"يجب أن أخبرهم أنه يعاني من فقدان ذاكرة مؤقت. أرجو أن يتفهموا لو نسى بعضهم وتذكر الآخرون".

"ويجب أن يخرج اليوم أو غداً على الأكثر".

قالها (حازم) فكادت (رقية) أن ترد عليه. لولا أنه أكمل:

"قد ينسى (إسلام) ما حدث بيننا هذه المرة ويستدعي قربنه فيقتل أحد المرضى بالخطأ".

"لكن جروحه تحتاج لمنابعة وربما لتدخل جراحي".

"فليعد للمستشفى مستقبلاً. لكننا الآن يجب أن نعرف كل شيء عن قربنه وعن ذاكرته".

"ألم تلاحظوا شيئاً؟"

قاليها (حامد) فانتبه الجميع له. حينها أكمل بجديّة:

"بمجرد دخولنا جاء فرين (اسلام) ليضخض علينا. وعندما أمرد (اسلام) بالنوقف أطاع أمرد. لكنه أكمل هجومه على (حازم) فجأة عندما طلب مساعدة (فاسيم).. هل يتعلق الموضوع بخدامنا من الجان؟"

"تفصّد ان الفرين يهت لحماية (اسلام) عند ظهور أي جان عدائين أو تابعين لخدمة شخص؟"

قاليها (حازم) فرد (حامد):

"وعندما شعر بتحرك من (فاسيم) خالف أمر (اسلام) ليحميه"

"يجب لي انه يملك ذكاء خاصا به."

نظر (حازم) ل(اسلام) وهو يقول:

"يجب أن نخرج من المسنطى سريعا. للعرف أكثر عن فرينك ومدى خطورته."

الفصل الرابع

ابن ذاعات

"شعور ممتع أليس كذلك؟"

قالبها (الفصصاء) الحالس على مقعد في منزله. فرد عليه (مهران) وهو
يجلس على مقعد بجانبه:

"صدققت".

"لقد كذبت في عمري على الكل إلا أنت".

قالبها بعديّة تعتلط بالحزن.

"كيف؟"

"اتذكرك عهد (سليمان) الذي أخبرتك عنه من قبل؟"

هو (مهران) رأسه ابجانا. فاخذ (الفصصاء) نفسًا طويلاً وقال:

"بعد ان احدث (سليمان) العهد علينا. علم كل قبيلة منا سراً جديداً.
قبيلة الغيلان كانوا ينعمرون في حروبهم مع الجميع بسرعتهم في تعبیر
اشكالهم وسفاهتهم المدنية. ولكيهم كانوا يمشون في الشكل لمظهر
بشري كامل لا يتم ملاحظته. فعلمهم كيف يتحولون لبشر كاملين
بسهولة وكيف يهودون لحالتهم الطبيعية مرة أخرى اذ ارادوا. لان
التحول لبشر لشرة طويلة يحتاج لشود كبيره في يحافظوا على
اشكالهم. (سليمان) علمهم كيف يستمرون لايام بنفس الشكل
البشري واستخدمهم كحواسيس برسلمهم لعموش اعدائه ليستعظهاوا
احوالهم العسكرية كي يتسمن ان يسلمهم بعمليات. اما نحن. بنية
عائلات الجان. فلقد تعلمنا الكثير. كان مظهر في عالم البشر بشكل

سادي لفترة قصيرة جدًا لا تتعدى ساعات أو يومًا على الأكثر، وفي أكثر الحالات يتم ملاحظتنا بسبب أن طبيعتنا وحركتنا تختلف عن طبيعة الأنسار. فنصح كالبقعة السوداء، في الثوب الأبيض. والمشكلة هي أن التحول المادي برهقتنا وبعرضنا للإصابة بأمراض لم نعتدها أجسادنا. ورب مرض بسيط لا يؤدي الإنسي يؤدي لهلاكنا في ساعة إن حملته أجسادنا. هذا غير أن التحول من حال إلى حال يرهق أجسادنا ويستنفدنا أكثر من الغيلان. حتى مات (سليمان) وتحارب الجان على كثره من الكتب التي نركبها. وقد نالت بعض العائلات القليل من الكتب تعلموا منها طرق كثيرة وأسرار نحص الجان. بعضها تحدث عن تحول الجان لبشر. تحولًا لا يدوم يومًا أو اثنين. لكن يدوم كامل العمر.

“ميزة تتفوق على الغيلان”.

نهض (القصاب) بلا عصاه وذهب ناحية صندوق الكتب والأدوات وفتحته وهو يشول:

“العكس هو الصحيح. هذه الطريقة لا ينتقل بها الجان للعالم المادي لفترة ويعود لطبيعته مرة ثانية. لا. بل يظل بشرًا حتى الموت”.

أخرج الشرطاس والمحيرة والريشة ووضعهم بجانب (مهران) وعاد للجلوس:

“ما المشكلة في تحول الجان لبشر لقبية العمر؟”

ابتسم (القصاب) بركن فمه الأيسر بسخرية قائلاً:

“أعمار الجان مثل أعمار البشر في العموم، منا من يموت عند السبعين أو الثمانين، أو يصح معتمراً ويموت في المائة. لكن الفرق أن العام الواحد عندنا بخمسة عشر عامًا من أعوام البشر.”

اتسعت عينا (مهران) بينما (القصاب) يكمل حديثه:

“بمجرد أن يتم التحول النهائي لبشر تصح أعمارنا مثل أعمارهم. تسرى القوانين علينا بشكل أكثر حدة. لذلك عندما قررت بعض القائل والعائلات كعائلي العمل بتلك الطريقة اعتمدوا على التطوع. لأنك تختار الموت والمرض والغربة بكامل إرادتك في سبيل حماية عائلتك وقبيلتك. عندما تكمل العشرين من أعمار الجان يمكنك التقدم للمهمة. عندها يتم تحويلك للنس العشر من البشر. تصاب في أول أعوامك ببضعة أمراض ليكون جسدك الشري مناعنة صدها. وفي بعض الأحيان تموت متأثرًا بها فيضيع كل شيء، وإذا قاومت عليك بأن تبدأ حياة جديدة باسم جديد وفكر جديد، تندمج وسط البشر كواحد منهم. وتزوج منهم. لكن لن تنجب، وهذا أحد عيوبنا، نطفنا لا تصلح لرحم فتيات البشر.”

صمت (القصاب) ليري حاجي (مهران) وهما يتعقدان. وقال:

“ولأنني أحد هؤلاء المتحولين، فعندما حملتك أمك تركها بعد أن اعترفت لها بحزء من الحقيقة.. وبعد أن اتهمتها بالخيانة.”

“وما الذي غير رأيك؟”

حمل صوت (مهران) التحفز وهو ينطلق بالعبارة. فرد (القصاب) بسرعة:

"لأنك لا تحمل قريناً.. مثلي".

"ماذا!!"

"عدت لأرى روحي قبل موتي لأن ما بيننا تعدى الزواج ووصل للحب.. فوجدتك.. ولم أجد لك قريناً.. هذه علامتنا.. نتحول لبشر لكن لا نحمل قريناً.. وانت تحمل العلامة.. إذن أنت ابني.. لا أعرف كيف حدث هذا.. فنلك أول حالة نعرفها عن تزواج جني ببشرية وإن كان هناك أسطورة قديمة حول رجل سبقك لكنها بلا تأكيد.. واقبلتك حتى علمت كل شيء عنك.. وقررت تحميلك ميراثك كي تعرف من أنت وما الذي تفدر عليه".

لم يتكلم (مهران).. فقال (القصاب) بهدوء:

"أعلم يا بني أن ما سمعته أكبر من قدرتك على الاستيعاب أو التصديق.. لكنها الحقيقة.. أنت ابن رجل من الجان تحول لبشر".

انفطر (القصاب) كي يتكلم (مهران) لكنه لم ينطق وظل محافظاً على وجهه الخالي من التعبير.. فصمت (القصاب) هو الآخر محترماً صمت ابنه

"أكمل حكايتك عن الجان".

لم يكن هذا الرد الذي توقعه (القصاب) في تلك اللحظة.. توقع بعض الأسئلة من (مهران) عن حالته.. توقع التأنيب.. توقع الرفض.. لكن تلك النماطة صدمته.. لكنه أكمل في هدوء:

- كل قبيلة - وبعض العائلات- يُحوّلون القلب من الجان لبشر لخدمتهم في المستقبل. يتم التحويل بشكل سرّي فلا يعرف المتحوّلون بعضهم البعض. يتابع كل متحوّل رجل من الجان يُكفّ بأن يكون همزة الوصل بينه وبين عائلته أو قبيلته. وإن مات الجني المسؤول عني أو قُتل لسبب ما يحرم عليّ الاتصال بهم وتفقدني عائلتي."

- "وما سبب كل هذا التكنم؟"

- "لحمايتنا.. مهماتنا في عالم البشر كثيرة. كلها تختص بالولاء لعائلتنا."

- "ممن تحتمون؟"

- "الكل.. الجان لا يستطيعون نطق التعاويذ والعزائم أو كتابة الطلاسم. فإن نطق الجني العزيمة لا يجيبه خدامها لأن عهدهم مع سليمان يجبرهم على خدمة البشر فقط. لذلك ننطق نحن ما نريده عوائلنا وقبائلنا. إن خُبس أحد الجان نقسم على الملوك لتحريره. وإن قامت حرب بين عائلتي وعائلة أخرى عزمّت على أعدائنا من الجان ليموتوا. لو نجّر أحد السحرة على عائلتي وقد كان متحصناً من الجان، قتلته بيدي رجلاً لرجل."

- "إذن فأنت قاتل؟"

انتفض (القصاب) وهو يصيح:

- "قاتل وسارق ومروّع لأجل مهمتي."

صاح (مهران) به كما لم يصح من قبل:

”وما ذنبي في كل هذا؟“

”ذاك أنك ولدي، ويجب أن تتعلم ما يحملك!“

”يحميني ممن؟“

”من الجميع.“

قالها (القصاب) بأعلى صوته ثم سعل بقوة باصقًا بعض الدماء على يده التي وضعها على فمه.

هب (مهران) واقفًا ليرى لا شعورًا على كتف (القصاب) قائلاً بلطف:

”ما بالك؟“

نظر (القصاب) للدماء ثم رفع رأسه وهو يقول بجديّة:

”اقرب أجلي.. اجلس وتناول قرطاسك وربشتك واكتب ما سأملكه عليك.“

اطاعه (مهران) بلا نقاش وسمع (القصاب) يقول:

”طلسم وعزيمة التزيف.“

استقر (بيرقدار) على فراشه منذ ساعات زانغ العينين لا يتحدث إلا قليلًا. تجلس بجانبه أمه بعدما حملته بعض الرجال إليها، لم تتمالك نفسها عندما علمت بصرعه في الطريق. وها هي تجلس منذ ساعات تُعدّه ولم تفهم منه شيئًا.

دخل أبوه الغرفة بعدما عاد من عمله بالحياية. كانت الأم قد حاولت ان ترسل له أكثر من شخص لبحضر لكنها فشلت لتنقله الدائم بين الأسواق. بمجرد دخوله نهضت الأم تُحدثه بصوت خافت بما حدث. فأشار إليها بالخروج وجلس هو على طرف الفراش.

ربت على قدم ولده بحنان وقال:

"قل لي ما حدث اليوم؟"

"لا شيء".

"أمك تقول إن الجميع شاهدك تتحدث مع فتى في عمرك قبل أن يُعشى عليك. ما الذي قاله الفتى؟"

لم يرد. اقترب أبوه منه أكثر وهو يقول:

"لقد ربيتك وأعرفك أكثر من نفسك. وجهك يقول إنك تخطط للانتقام من هذا الفتى.. أليس كذلك؟"

ظل على صمته فأكمل الأب:

"هذه المرة لن أمتنعك. بل لك مساعدتي إن أردت. لكن يجب أن أعرف التفاصيل".

"اتركني لأنام يا أبي".

قالها (بيرقدار) مغمضًا عينيه وهو على نفس وضعه. فربت الأب على رأسه وتركه.

مرت عشرة أيام على بدء تعليم (مهران). وقد باع ثلاثة عملات ذهبية مما تركه والده فأصبح في بسر من العيش. وأحضر طبيبًا شهيرًا لخالته وأقنعها بأنه يذهب يومًا إلى حانوت العطارة كي لا يثير الشبهات عن مصدر نفوذه. بينما يذهب من الصباح إلى المساء إلى دار والده ليتلقى العلوم. كل يوم يطبق بعض ما تعلمه. إما مع والده أو وحيدًا في غرفته.

هذه المرة خرج من منزله يحمل حجابًا حول رقبته صنعه لنفسه ليجرب طلسمًا جديدًا. كان في طريقه لوالده يفكر كيف يجزيه. حتى لاحت له امرأة في الأربعين تقف أمام بائع فاكهة. اقترب منها وقرص مؤخرتها فنظرت بسرعة خلفها لكنها لم تر شيئًا. تلفتت يمينًا ويسارًا واستعادت بآهه من الشيطان وسادت تنظر للبايع مرة أخرى. هذه المرة صفعها على مؤخرتها فانفضت وهي تنظر للواء فلم تر أحدًا. لم تتحمل فأعشي عليها وهي تشفق.

سار (مهران) حتى وصل لمنزل والده وطرق الباب. بمجرد فتح الباب قال (القصاب) وهو يضحك:

“اخلع حجابك يا بني”.

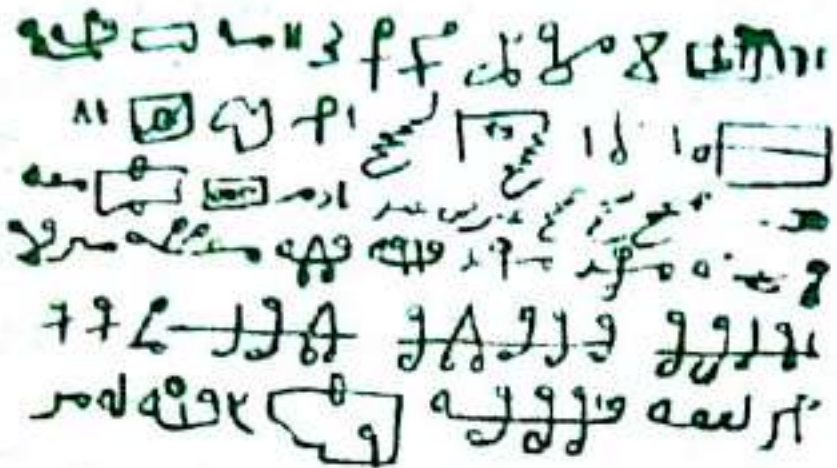
ظهر (مهران) في صحن الدار فجأة حافيًا وهو يخلع الحجاب عن رقبته. تأمله (القصاب) مبتسمًا وقال:

“تسير حافيًا لتجرب طلسم الإخفاء؟ أراهن بعمرى أنك جربت على الفتيات”.

“امرأة واحدة.. كيف عرفت على أبة حال؟”

"لأنني كنت سأفعل المثل. ناولني الحجاب لاناكد."

أخذه وفضحه بحرص وهو يتأمله..



"خطوطك مرتعشة يا بني. يجب أن نتمرن على كتابة هذا الطلسم أكثر من مرة. واستخدم عودًا من الخشب لتضيق رسوماتك."

اقترب (مهران) منه بينما (القصاب) يُشير بأصابعه إلى بعض الكلمات في الطلسم. أعطاه الحجاب وهو يتجه لمقعده ليجلس ويقول:

"قل لي أسماء الدعوات والأقسام التي حفظتها عن ظهر قلب."

جلس (مهران) في موضعه المعتاد على المقعد المجاور له وهو يعد على أصابعه قائلاً:

"من الأقسام حفظت (قسم خطف الأرواح). (قسم خلخلة الهواء).

(قسم الزجر). (قسم الإضمان).. ومن الدعوات (الدعوة الجلجونية).

و(الدعوة اليهودية). و(دعوة الطهاطيل). و(دعوة السوح). و(دعوة المرثل).

هو (القصاب) رأسه مشعفا حتى انتهى (مهران) من عبارته. فقال:
"بالطبع أنت تعرف العمل بالظلام وتصاريف الأيام لكل قسم ودعوة".
"أعرف".

"اليوم سأعطيك الدعوة البرهتية بلا نصريف. اكتب ورائي".
فتح (مهران) المحبرة ووضع الريشة الجديدة بها وهو يفرد القرطاس على
المسند الخشي كعادته.

"برهتية برهتية. كرير كرير. تنلية تنلية. طوران طوران. مزجل مزجل.
بزجل بزجل. ترقب ترقب. برهش برهش. غلمش غلمش. خوطير
خوطير. فلهود فلهود. برشان برشان. كظهير كظهير. نموشلخ
نموشلخ. برهيوولا برهيوولا. بشكيلخ بشكيلخ. قزمز قزمز. أنغلبط
أنغلبط. فبرات فبرات. غباها غباها. كبدهولا كبدهولا. شمخامر
شمخامر. شمخامر شمخامر. شمهاير شمهاير. بكهطهونبة
بكهطهونبة. بشارش بشارش. طونش طونش. شعخاباروخ
شعخاباروخ".

سعل (القصاب) وزاغت عيناه للحظات وهو يحاول أن يظهر بمظهر
الهادئ. لكن صوته المبحوح خاله وهو يكمل قائلاً:

”هذه آخر دعوة أعلمها لك من الدعوات السريانية. ستجد في هذا الصندوق قراطيس وكتب نمتان بالأقسام والدعوات. وسأعلمك طرق نطقها بسهولة. أحضر قراطيسًا آخر واكتب ما أقول.”

كانت الحالة الصحية للقصاب تزداد سوءًا يوميًا عن الآخر. ولذلك فإن (مهران) لم يراجعه أو يكسر له كلمة. هذه المرة قرر بعد أن تنتهي جلسة اليوم أن يفتحه في فكرة أن يأتي له بطبيب.

”اكتب ورائي. كي تضبط التعازيم السريانية نطقًا فلتنتج الآتي. إن كان ثنائيًا فافتح الأول واكسر الثاني مع التنوين مثل (قش). وإن كان ثلاثيًا فإن كان بعد الأول ألف نحو (شال) أو واو مثل (طوح) فالأول مفتوح والثاني ساكن. وإن كان رباعيًا فإن كان بعد الأول ألف فالثالث مكسور والرابع مجرور مع التنوين مثل (ماحد). وإن كان بعد الأول واو فالأول مرفوع والثالث والرابع أيضًا مع التنوين مثل (طورش). وإن كان بعد الأول ياء فالأول مفتوح والثالث مكسور والرابع كذلك مع التنوين مثل (حيلة). وإن كان بعد الأول حرف صحيح فالأول مفتوح والثاني ساكن والثالث منصوب والرابع مجرور مع تنوين مثل (هشش). إن كان خماسيًا وكان بعد الأول حرف من حروف العلة والرابع حرف علة كذلك فتحكمه حكم حرف العلة من الرباعي مثل (خيلود). وإن كان سداسيًا أو سباعيًا فإن كان الثالث والخامس حرف علة فتحكمه حكم ما تقدم في ضبط ما قبل حروف العلة. وما خالف غير ما قلت فهو شاذ.”

سكت (القصاب) يلتقط أنفاسه ناظرًا إلى (مهران) والأخير يبادل له نظرة
إشفاق. كاد أن يحدثه لولا أن رفع (القصاب) يده مانعًا إياه من
الكلام وقال بوهن:

"لا يعلم سر وجودك غيري".

"وجودي!"

"أنت أول ابن بشري لجان. لو علم قومي بوجودك أشك أنهم سيتركوك
لحالك".

"أنا مجرد بشر طبيعي".

اعتدل (القصاب) في مقعده بضعف قائلاً:

"لا يا بني. أنت غريب في عالم البشر وغريب في عالم الجان. علمتك ما
علمتك لأحميك من بطش العالمين. أنت خطر على أحدهما. ولكن لم
تظهر خطورتك بعد".

"ما الذي يجعلك تُقرّر هذا؟"

"قلبي.. قلبي هو ما ينبئني بهذا يا ابن (شادق)".

"(شادق)؟"

"نعم يا بني. فأنا (القصاب بن شادق)".

تأكد (بيرقدار) من انشغال أمه في غسل الملابس وتحرك بخفة حتى دخل لغرفة نوم والده. فتح صندوق الملابس بحرص شديد باحثاً عن (غدارة) والده. وجد صندوقها النحاسي. أخرجه وأعاد الملابس كما كانت يهدوء. عاد لغرفته ونبضات قلبه تتسارع. صبح أنه فكر في خطته الأيام السابقة عشرات المرات لكن وقت التنفيذ فكر بالتراجع كثيراً.

عليه أن يردّ الصاع صاعين لمهران. لكنه لن يشتبك معه وجهاً لوجه مرة ثانية. فمهران اكتسب قوة غريبة. على ما يبدو أنها من العجزو الغرب. صرعته بمجرد لمسه. لذا يجب أن تكون المواجهة على مسافة أمتة تحفظه مما قد يحدث له إن اقترب منه. راقبه الأيام الثلاثة السابقة من أبعد مسافة وهو يسير من منزله صباحاً إلى منزل آخر وبغادره بعد صلاة العشاء. هناك مرة وحيدة لم يره وهو يغادر المنزل. لكن الغرب أنه عاد لمنزله ليلاً.

فتح العلبة بحرص وأخرج المسدس المزخرف وكيس البارود الأسود وثلاث طلقات. كان يعرف طريقة تعمييره بالنظر. والتي كانت بسيطة.

ما كان ينقصه هو تحديد كمية البارود التي يجب أن يصبها في الماسورة. فتح كيس البارود وصب بعضه بالتقريب. ثم أخذ قطعة من الشماش دائرية صغيرة من العلبة ووضعها على حافة الماسورة واضعاً الطلقة فوقها. أخرج عصا الضغط من المسدس وكبس بها الطلقة لداخل الماسورة بحرص حتى استقرت فوق البارود. أغلق العلبة وأخفاها تحت لراشه بينما أخذ طلقتين وكيس البارود وخامها في ملابسه مع المسدس.

لم يبق له إلا تنفيذ أحر جزء من الحطة.

خرج (مهران) من منزل والده ككل ليلة محمر العينين من كثرة التركيز فيما يكتب ويقرأ. يحمل كبسه الفماني الذي يحوي ما يدونه كل ليلة وكتانا أو اثنين يعطيه والده له. سار بخطى متهاذبة وهو يعبر حارة تغرق في الظلمة بلا فتاديل أمام منازلها. خرج منها لحارة أخرى ذات بضعة فتاديل والناس تملأها.

دخل رفاق جانبي فجأة لم يكن في خط سيره كل ليلة. دخل خلفه (بيرقدار) وهو يخرج كبس البارود من ملابسه ويفتحه ويتناول المسدس. توقف (مهران) عن السير وابتمس وهو يقول بصوت وصل (بيرقدار):

"أعرف أنك تراقبني كل يوم. لكنك هذه المرة التريت أكثر من اللازم".

ارتعشت يد (بيرقدار) وهو يسحب مطرقة المسدس للخلف ويضع أمامها بعض البارود ليساعد على النقال الاشتعال لداخل ماسورة المسدس. وقع بعض البارود أرضاً لكنه لم يعبأ.

"ما الذي تنوي عليه اليوم. قتلي؟"

قالها (مهران) ساخراً وابتمامته تزداد وهو يلتفت لبواجه. لتتجمد الابتمامة على وجهه وهو ينظر للمسدس الذي يصوبه (بيرقدار) نحوه. لم يكن في نية هذا الأخير قتله. بل اعتمدت خطته أن يصيب قدمه برصاصة نصيبه بالعرج بقية عمره. وجه (بيرقدار) ماسورة

المسدس ناحية قدم (مهران) والمسافة بينهما لا تتعدى السنة امتار. نظر في عينيه وضغط الزناد لتحرر المطرقة المطلقة شرارة الاحتكاك التي أشعلت البارود. ما لم يحسب له (بيرقدار) رد فعل المسدس الذي ارتفعت ماسورته للأعلى عند خروج الطلقة وسوت السرعة يشبه انطلاق قذيفة المدفع. يبدو أن البارود أكثر من اللازم. انتشر الدخان أمام عين (بيرقدار) لكنه استطاع أن يرى من خلاله (مهران) وهو ملقى على ظهره وقد ابتعد عن موقعه الأول.

جرى ناحيته ووقف على رأسه ليشاهد ثقب الرصاصة في منتصف معدته اصطدمت عيناه بعيني (مهران) لنواب. لكنه لم يعد حلاً سوى الهروب.

الخطة فشلت. وترك (مهران) خلفه جثة هامدة.

أخذ (عبد الكريم) بقلب بين أوراقه التي احتفظ بها في صندوق تحت فراشه منذ سنوات عديدة عندما كان يدون كل أسفاره. سافر كثيراً إلى مناطق تاريخية أثرية تتعلق بالتراث الاسلامي. وكان يحطاه هو حبه للتاريخ بصفته مدرس تاريخ.

حتى وإن لم يتفهم البعض ذلك لكونه يُدرّس لطلاب الثانوي فسور التاريخ. لكنهم تقبلوا ذلك. حتى زوجته كانت تعودت في الماضي على سفره لبعض قرى الصعيد لزيارة قبور الأولياء، أو كثرة ذهابه للمساحد المشهورة وحيذاً. لكنها لم تعرف سر نفيّه للطرق الصوفية والروحانيين. لم تعرف أنها مهمته الأصلية في البحث وراء بعض

الطلاسم وفكها من البشر الذين تعلموا العلوم الروحانية شفاها من
شيوخهم.

لكنه توقف عن البحث منذ سنوات. شعر بالملل وبأن ما عرفه وجمعه
غير هام. كان ينتظر اتصال المسزول عنه لكنه تأخر. قال في نفسه
سينتظر أن ينصلوا به كي يعرض ما توصل إليه.

اليوم استيقظ من النوم وتعلل بعرضه كي لا يذهب للمدرسة. أخذ
أحارة عارضة بالهاتف وطلب من زوجته أن تذهب لأمرها ككل يوم كما
تعودت حين يكون في المدرسة. رفصت في البداية لكنه طمأنها على
صحته وأكد عليها أنه سيحضر بعض الدروس لطلابه وسيسبقها
لمنزل أمها عصرًا ليتناولوا الغداء هناك لأنه لم يزر أهلها منذ شهر.

والآن هو يترقب أوراقه جيدًا متوقعًا أن يحدث اتصال آخر في أي وقت في
نهار اليوم.

أعد لنفسه كوبًا من القهوة وأخذ ليتناوله في الصالون وهو يحمل
أوراقه تحت إبطه. بمجرد دخوله الصالون سمع صوتًا يقول:

"لا تسقط قهوتك يا (سعيد)".

اهتزت القهوة بيده وهو ينظر للجنّي الجالس على مقعد الصالون يتسلم
له.

"طريقة حضورك الدرامية مخيفة".

قالها (عبد الكريم) وهو يجلس على المقعد المقابل له:

"لن بعجبك لو ظهرت لك فحاة. لا أعرف ماذا حدث لك؟ هل أصعبت
نخاف منا كاليفسار؟"

"مرت سنوات طويلة واعتقدت أنكم نسيتموني".

"تغيرت كثيرًا عن يوم تجليدك. لقد تطوعت بكامل إرادتك وسكن
حماي. ألا نتذكر؟"

"لا نفس فرق السنوات بين البشر وعالمكم".

ضحك الجنّي وقال:

"عالمنا؟ تقصد عالمك؟"

ابتسم (عبد الكريم) ساخرًا وهو يقول:

"أنا لا أعلم ماهيتي الآن.. بشر أم جان.. المهم قل لي ما يحدث في عالم
الجان. فلنم لي إنكم سلتصلون بي في حالة الحروب والنمرودات".

"أتذكر (المغلي بن ذاعات)؟"

"طبعًا.. السجين".

"تحزر.. وبحضرت لفتح البوابات السبع للقيام بحرب شاملة على كل
القبائل".

هز (عبد الكريم) رأسه كأنه ينفض تلك الفكرة عن رأسه لكن الجنّي
أكمل بسرعة:

"في وقت آخر ستمهم كل شيء. المهم قل لي أخبار بحثك عما طلب منك."

وضع (عبد الكريم) القدر جانبا ووضع أوراقه أمامه يقلب فيها وهو يقول:

"تقصد أي شيء. توصلت في السنوات السابقة للكثير من روحانيات البشر. في أسيوط عند مسجد (جلال الدين السيوطي) قابلت شيخا أخبرني بـ..."

قاطعته العجني:

"لا أقصد هذا.. هل نسيت مهنتك الأصلية التي كلّفت بها؟"

نظر لعينيهِ لثوانٍ قبل أن يقول (عبد الكريم):

"تقصد الأمر المطلوب من كل من تحولوا لبشر؟"

"بالصبط".

لك (عبد الكريم) في أوراقه مرة ثانية حتى أخرج ورقة وهو يقول بدون أن ينظر للعجني:

"بحثت عن طريقة للوصول لهم من ثاني عام لي في عالم البشر. المشكلة لم تكن في الوصول لهم بقدر تعريفهم. الكثير ممن لهم خبرة في السحر والعلوم الروحانية كما يسمها بني آدم يقولون إن تحضيرهم سهل. بل وبعضهم يلمح أنه اتصل بهم. كل طرقهم

اكتشفت زيفها. اللهم إلا واحد فقط قال أنه نعلم على يد (عبد
الفتاح الطوخي) يقول...

فاطمة الجني متسائلاً:

"أليس هذا الساحر الذي عاقبته قبيلة (فهدان)؟"

"نعم هو.. نلمبذه بقول بأنه حصل منه على صورة لكلمات كتبها (أصف
بن برخيا) بعد موت سليمان الحكيم. الكلمات من المفترض أنها
تتعلق بهم وبطريقة استدعاء سيدهم. أعطاني الكلمات في شكل
رسوم على ورقة وهو متأكد أنني لن أستطع قراءتها لأن (عبد الفتاح
الطوخي) نفسه أقر له بأن هذه الكتابة منطل بلا ترجمة"

أخرج ورقة قديمة ونهض من مكانه ليعطيها للجني. الذي أخذها ونظر
فيها بلا اكتراث وهو يهز رأسه:

"هل هذا كل ما توصلت له بخصوصهم؟"

"نعم"

فجأة قال كأنه تذكر شيئاً:

"هناك شيء لا أعرف هل سيفيدكم أم لا بخصوصهم. أخبرني نفس
الرجل أن هناك رجلاً قديماً أطلق عليه لفظ ابن الجن. هو من كان
معه سر استخدام تلك الكلمات. وأنه سمع ذلك من (عبد الفتاح
الطوخي)".

"ابن الجن؟! أهو لقب عاطفه أم كنية أم ماذا؟"

"لا أعلم. هناك من حملوا في التاريخ هذا الاسم كعالم لغة عربية اسمه
(ابو الفتح عثمان ابن الجني) وهناك (عمرو بن الجن) ابن شقيلة
الملك النعمان".

"أشعر بأن هذا الرجل وراءه أمر ما".

"ربما كان مثلي وافترض أمره فأطلق عليه هذا اللقب".

"ربما.. المهم أن تلتفتلر أوامري الجديدة لاني سأرحل الآن. زوجتك عادت
سريعا وهي الآن على باب الشفة".

ثم غمز بعينه وقال:

"ربما اعتقدت أنك تخونها".

سمع (عبد الكريم) صوت الباب يفتح وزوجته تنادي عليه فابتسم لفكرة
خيانته لها. ماذا لو علمت بأن كل حياتهما الشخصية غطاء
لحقيقته. أسعت ابنسامته وهو يتهنئ وبجيبها:

"أنا هنا يا حبيبي".

"هل حضررت عدد الأجان المتخفين في صورة بشر؟"

فألبا (المخلبي) لأحد أتباعه. الذي أجاب على الفور:

"حضرنا الكثير.. هل نهاجمهم؟"

"لا".

قالها بحزم ثم أردف قائلاً:

"تنشيط كل جواسيس الجان في عالم البشر عمل لن يوافق عليه مجلس الجان لأنه يكشف الجواسيس لي. هذا العمل المجنون أشعر بيد (يصفيدش) تُحرّكه".

"لكننا لو صيرنا عليهم ربما هاجمونا. هم يمتلكون الكثير من التعاويذ والطلاسم والعزائم والأقسام التي يستخدمونها كثير".

"أعرف أنهم كذلك. لكنهم كالكمين لي في نفس الوقت. (يصفيدش) ينتظر أن أهاجم أحدهم فيوقع بمزيد من رجالي.. على سيرة رجالي. هل من حديد عن اختفاء (سنان)؟"

"لا يا سيدي.. ولو أتني أشك أن ل(يصفيدش) علاقة بذلك".

"(سنان) أقوى من أن يُختطف أو يدخل في قتال مع جنّي ويُهزم. اختفاء (سنان) من الأمس بقلقي. من هذا الذي يمكن أن يكون وراء ذلك. وما هي قوته؟"

دخل (عماد) لمكتب (عباد) معتمداً على نسخة المفتاح التي أعطاها له (يصفيدش). بعدما حدثه (حامد) هاتقياً طالباً منه الإتيان. جاء بأسرع ما استطاع.

دخل لفتح السلم الضيقة بهدوء ونزل درجات السلم حتى سمع صوتاً يأتي من الغرفة النحاسية ذات الباب المفتوح. تاهب وهو يندفق في

الصوت ليميز نبراته فأنلأ في نفسه إن (حامد) أسر جنياً ولابد أنه
أخبره بشيء.. في تلك اللحظة توقف عند الباب قبل أن يدخل وهو
يسرق السمع..

(يا متولي.. يا جرجاوي يا جرجاوي.. المعلم راح لمتولي.. قاله يا أختنا دابر
بكا مالك.. ما كنت قاعد بكمالك.. باك خدوا من البوك مالك)

دخل للرفة فوجد (حامد) يجلس على الأرض يأكل من طبق كشري
وبجانبه هاتفه المحمول تتصاعد منه أغنية..

"هل تسمع أغاني في الرفة الحاسبة؟"

انتبه له (حامد) وهو يقول:

"سيرة شفيقة ومتولي للريس حفي. ما رأيك فيها؟"

"الريس حفي!!"

"عندي مواويل أخرى للريس أمين الحلش. لحظة أشغلها لك.."

"انتظر عندك.. لم نأت بي لأسمع المواويل. ثم كيف ناكل كشري في
الرفة الحاسبة؟"

"تفضل معي.."

زفر (عماد) من فمه زفرة طويلة وحاجبيه يتعقدان غضباً. لكن (حامد)
أراح طبق الكشري جانباً وهو يهض ليقف خلف المنضدة ويقول:

"يا حساس، أغلق الباب.."

انفلق باب الغرفة.

”لم تقل لي كيف تدخل المنزل هنا من الأساس؟“

”رحيم) يدخل ثم يفتح لي الباب من الداخل.“

”أشعر بأنك تهبين عالم الجان بطفولتك هذه!“

”المهم.. أتيت بك هنا لتعرف شيئاً لا أستطيع تقدير قيمته بالنسبة لنا. الغرفة علمتي أن لكل طائفة من طوائف الجان اتصال برموز داخل الغرفة، حتى لو مات سيد عشيرة أو عائلة فسأعرف عندما ينطلق الضوء الخاص به ويتحول للأسود. هذا يعني موتاً طبيعياً. أما لو تحول للأخضر فهذا يعني أنه قتل من البشر. أما اللون الأحمر فيعني أن الجن قتلوه. رأيت منذ ساعة حالة قتل، في الغالب تلك الحالات غير مهمة. لكن طريقة القتل أدهشتني. لذلك طلبت من (رحيم) أن يبحث عن شخصية المقتول لأعرف أنه (سنان بن عازم بن سفار) سيد عائلة (سفار). هي عائلة عادية كما أخبرني الجاسس. لكن (سنان) نفسه هو صديق (المخلي) منذ زمن وذراعه الأيمن.“

”شيء طبيعي في هذا الوقت أن نتقاتل القبائل ضد بعضها البعض.“

أشار (حامد) بإصبعه لرمز في آخر الغرفة النحاسية فنظرو له (عماد). رأى فتاتاً معدنياً على الأرض. أعلاه رمز لا يظهر منه الكثير.

”لقد خرجت شرارة كهربية من هذا الرمز وانفجر بعدها. الغرب أن الغرفة تعيد بناء نفسها في حالة التدمير. لكنها لم تفعل هذه المرة. طريقة الموت غريبة وأثرت على الغرفة مباشرة.. لم أعد أحصي

العرايب التي تقابلنا من كثرتها. لكن من هذا الذي استطاع قتل
السراخ اليمعي (للمخلي) بتلك الطريقة؟

نظر (عماد) ل(حامد) وقال:

- لو كان ما نقوله صحيحًا. فهناك لاعب جديد ظهر. إن كان في صفنا
فأنا مطمئن.

- وإن لم يكن؟

هز (عماد) كتفيه وابتسم سخريًا وهو يغادر الغرفة.

الفصل الخامس

العائد

شعر (سهران) بألم في قلبه. عاد وعينه فجأة وعادت آخر ذكرى له.
الريصاصة المقدوفة من غدارة (بوقدار) والدخان يحيط بها. لغيره
من الثانية نذكر صوت البارود المنفجر وسقوطه على ظهره. نذكر أنه
لم يشعر بألم الريصاصة بل قوة الصدمة هي كل ما شعره.

احتلقت الذكرى بألم قلبه فأخذ نفساً عميقاً. شعر بتراب يدخل لثغتي
أنفه فيزفر لينخلص منه. كل ما فات حدث في ثانية الثانية الثالثة
أدرك أنه مكفن.. فتح عينيه فدحلهما التراب.

لقد ذفن. حرك يده اليمنى التي اصطدمت بالتراب فوجدتها تغرق
طبقاته بسهولة. لم يتوقف ليندهش لعمده يحتاج الهواء. حرك
يده الأخرى وسط الطبقات بسهولة وهض فطاوعه حمده بسلامة.
كان يغترق الطبقات الترابية كأنها مياه ثقيلة حتى اصطدم من الأعلى
بطبقة صلبة مسطحة. لكنه وسط الخلام والتراب وجد مساحة
صغيرة فارغة بين الطبقة الصلبة وبين الأتربة صنعها خلعة حمده
لطبقات التربة. استنشق منها نفساً عميقاً أدار رأسه للتحفة.
استنشق مرة أخرى ودفق بيده اليمنى على الطبقة الصلبة. فسمع
صوت تشقق بسيط.

نهضت (مروى) من نومها تشعر بألم في عنقها اعتادت علي منذ انتقلت
هي ووالدها من أيام إلى إيران. لم تحب المنزل المسبب الذي أخره
والدها ولم تتكيف على طقس البلاد منذ حضرت مرافقة والدها في
تجارته.

”أنت من أصررت على الذهاب معي. تذكرني أنني حذرتك من قبل“.

قالها والدهما الشيخ (يونس الحرابي) وهو يصف أمام باب غرفتها مبتسماً وهو يرتدي جلبابه وقفطانه وينعم بعمامته الكبيرة التي يحب التباهي بها بين تجار الفرس. كان الجميع يطلق عليه لقب الشيخ بسبب دراسته الأزهرية وعمله بتدريس العلوم الشرعية بأروقة الأزهر. لكنه اتجه للتجارة وعشقها. تاجر منذ شبابه بكل شيء بين المحافظات المصرية، العطور والسجاد والبخور والدقيق والأقمشة وكل ما استطاع أن ينقله بين وجه بحري وقبلي. اتسعت تجارته وثروته وخرج للشام وبغداد وبلاد الفرس، تزوج من الصعيد وأنجب ابنته الوحيدة. لكن زوجته ماتت بالملازما قبل أن تتم ابنته الخامسة. لم يتزوج ثانية واكتفى بسرور التي كانت له الونيس والرفيق والأم والأخت.

لم تتركه في رحلات تجارته داخل مصر وخارجها، وكل مرة يُنتهبها عن مرافقته نزداد عناداً. حتى في رحلته هذه إلى بلاد الفرس كما يحب أن يطلق عليها أهل مصر، والتي يقوم بها كل ثلاثة أعوام. أصرت على معاورته في تجارته، ونعلت بأنها لم ترافقه في رحلانه السابقة لتلك البلاد.

حاء، وافق على صنوف مختلفة من البضاعة تُحمل على أربعين جملاً، لم يبق له إلا أيام قليلة على العودة لمصر. وخاصة أن (مروى) تعودت على العيش في المنازل المريحة، لكنه لم يجد من يقبل أن يؤجر له منزلاً لأيام إلا هذا.

”انتظر لأرتدي ملابسى لأرافقك”.

فالتها (مروى) وهي تنهض من الحشبة المبروشة أرضاً بتناقيل.

”لا يا حبيبتى، فأننا لن أذهب للعمل، سأذهب للمقابر، ثوفي والد (علي) القزاز) صياخاً. سأذهب لمنزله الآن لنصلي الظهر على والده وتدفنه وأعود إليك”.

”أليس هذا التاجر الذي قابلناه أول أمس”.

اتجه (يونس) إلى باب المنزل وهو يقول:

”نعم يا حبيبتى هو. هل تريدن شيئاً من الخارج؟”

”شكراً يا أبى”.

غادر (يونس) المنزل وهو يتأكد من اعتدال هندامه وسار حتى وصل إلى منزل صديقه التاجر. فوجد تجمعاً لبعض التجار ورجال عائلته. كان يعرف بعضهم فسلم على الجميع بحرارة وأخذ يستفسر منهم عن مكان (علي) الآن باللغة الفارسية التي كان يتقنها. خرج (علي) من المنزل وهو يخبر الجميع بأن الحشبة التي تحمل والده ستخرج الآن. عزاه البعض سريعاً وخرجت الحشبة تحمل الجثة يحملها بعض الرجال.

رافقها الجميع حتى المسجد القريب. صلوا الظهر ثم صلوا عليه وخرجوا إلى المقابر يرافقهم البعض من الأحياء والعطوف المجاورة. سواء من عرفوا المتوفى أو من جهلوه.

كان (يونس) يرافقه (علي) ويشد أزده طوال الطريق. حتى إنه رافقه وهو
يترنل الجنة للغير.

وقف الجميع أمام القبر وهو يفلق وهم يهمهمون بالأدعية واللغاد يستعد
لبناء ضريح صغير.

سمع الجميع صوت دقة يأتي من أحد أضرحة القبور المجاورة. نظرلوا
لها مستفسرين. فجأة تترنخ الضريح من دقة أخرى كأنها تأتي من
داخل القبر. تعالت أصوات الاستعاذة من الجميع.

انكسر الضريح من منتصفه بصوت فرقة ضخم وصعد من القبر شاب
يغطي العبار والأتربة كل ما فيه كأنه بلا ملامح.

دق (مهزان) بقوة أكثر على الطبقة الصلبة فسمع صوت تكسر. استجمع
عزمته ودق بقوة أكثر ففزا الضوء عينيه والمها. عبأ رثنيه بالهواء
وهو يغادر القبر وأقدامه تفوض بعض الشيء في الرمال. صعد ووقف
على أرض صلبة يقرده جسده العاري والكفن يقع عن جسده السفلي.
وأصوات مختلطة لرجال على مقربة منه تصرخ وتحدث بسرعة.

في البداية لم ير شيئاً. يقع ضوء ورؤية مشوشة. ثم تحسنت الرؤية وهو
يلتقط أنفاساً بسرعة. نراحي جسده رغماً عنه وسقط أرضاً لكنه
استند على يديه وعاد للهبوط وهو يترنخ.

عادت الرؤية بسرعة تدريجياً ليرى رجالاً بعضهم يجري متعذراً والبعض
يتراجع وهو يهمهم بكلمات دينية مختلطة. في البداية تخيل أن رؤيته

مارالمد مشوشة. لأنه يرى لكل رجل خيالا صغيرا شاملا بحيث به
يميل للون الأحمر

فتح عيونه وأغلقهما أكثر من مرة فوجد نفس العيال بحيث بهم
حري الجميع وبلى أربعة رجال. أحدهم تقدم منه وهو يرفع يده أمامه
ويطلب منه ان يهدأ. كانت ملابسه عربية من ملابس اهل بلاده.
ولعنه الفارسية غير متلثة. اقترب منه الرجل أكثر وخلق قسطنانه وهو
يردد بارتيك

"أهدأ يا ولدي لا عليك.. أهدأ"

نركه (مهران) يقترب حتى أحاطه الرجل بقسطنانه.

"مياه"

فألبا (مهران) يضعف فلم يسمعها الرجل. صرخ بها فهز الرجل رأسه
متفريفا وطلب منه السير معه. سار (مهران) معه مستسلما. نشجع
بقية الرجال الواقفين وأحاطوا به وهم يغادرون المخابر.

ظهر الناس من العدم تجري ناحية المخابر ليشاهدوا (مهران) المعتنق
بالأثرية. لا يقتربون منه لكن عيونهم المنسعة وهمماتهم العالية عبر
المشومة. وهم يترجون له وللمحيطين به الطريق. صنعت مشهدا
مهيبا يعجز خيالهم عن تصور حدونه.

بعضهم جرى لداخل المقابر ليطالع القبر المكسور كما سمعوا من الرجال الهارين منذ قليل. من دخلوا وسط المقابر عادوا لجمع الناس بعد أن ابتعد (مهران). وأخذوا يصيحون:

“(ابن الفصاب) حي. (ابن القصاب) حي”.

نعاون الجميع على إدخال (مهران) لمنزل (يونس). وبعض الناس ممن لم تصل أخبار خروجه من القبر يلقون بالأسئلة عليهم معتقدين أنه مصاب أو مريض أو حتى مجذوب.

أدخلوه للمنزل و(يونس) يصيح بانته بأن تحتشم لأن معه غرباء. مَيَّر (مهران) كلمة من لغته العربية من كثرة قراءته للقرآن فتأكد أنه عربي. اجلسوه على مقعد و(يونس) يدثره أكثر بقفطاته كي لا تظهر عورته عند جلوسه. كانت عين (مهران) نصف مفتوحة من الإرهاق وينظر إلى الأرض دائمًا. نادى على ابنته مرة ثانية يطلب الماء.

خرجت (مروى) من غرفتها ترتدي جلبابًا رماديًا وتلف طرحة من نفس اللون على رأسها غير مهندمة. كانت ذاهبة لتحضر المياه لكنها توقفت تنظر لمهران بدهشة. فصرخ بها أبوها لتحضر الماء.

حرت وأحصرت القلة وناولتها لابها الذي أخذها وطلب من (مهران) لتعطف ألا بشره كثيرًا. طأوعه هذا الأخير وأخذ رشفة لكن معدته لم تتحمل وحاول التقيؤ. لكن لم تخرج من بطنه لا الرشفة ولا شيئًا آخر.

ناولہ رشقہ آخری فنقیباہا.

"هل عندنا ماء يكتفي المتحمم؟"

قالها (يونس) لا (سروى) فردت بسرعة:

"عندنا الكثير. فقد جاء السفا منذ قليل."

"حصري الماء للتحمم وأحرجني لي حليانا نطقا من صندوقي"

جرت (سروى) لتنفذ ما قاله بينما نظر (يونس) لا (مهران) فانلا:

"كل شيء، على ما يرام يا بني. قل لي ما اسفكت؟"

"(مهران)"

قالها وهو يرفع عينيه له لكن عينيه تعلقت بشيء. خلف (يونس)، شيء يشبه القرد يتحدث مع اثنين يماثلانه الهيئة. حرك عينيه فوجد الكثير منهم يتحركون في صحن المنزل ولا يفقهون له.

لم يشأ (يونس) أن يُزعج (مهران) بالأسئلة. ساعده على التحمم ليُزيل الأنوية العالقة بجسده ووجهه. ثم ألبسه حليابه وطلب من (سروى) أن تطبخ بعض الطعام. لكنه لم يخف دهشته من نظرات (مهران) الزائفة وحركة عينيه الغريبة كأنه يتابع شيئاً ما ببصره بلا إرادته.

صرف الرجال الذين ساعدوه لإحصاره وحاول أن يشعره بالراحة كي يزول عنه وقع صدمة لا يعرف سببها. وإن كان قد كوّن فكرة عن أنه

ربما ذفن منذ يوم أو اثنين بالخطأ واستيقظ فجأة.. وبرغم أن تلك
الفكرة سادجة لأنها لا تُفسر له كيف يُدفن في التراب بلا هواء وكيف
كسر الطبقة الأسمنتية من الداخل بيده.

أجلسه على مقعد وجلس بجانبه

”شكراً“.

ابتسم (بولس) له عندما نطقها وكاد أن يردّ عليه لولا صوت الطرقات
العالية على الباب. فتعه فضدّم من عدد الواقفين رجالاً ونساءً
بفقدتهم رجل عجوز ذو لحية كثيفة بيضاء، مهيب الهيئة يتكئ على
عصا ويرتدي ملابس علماء الشيعة كما عرفها.

”أنا الشيخ (جعفر)، هل لي أن أقابل الشاب المقيم عندك؟“

”أهلاً بك، تفضل. لكن هل لي أن أستأذّنك أن تدخل ومعك نشران
فقط؟“

”كما تريد يا بني“.

فألها الشيخ ودخل خلفه بطلب من رجلين فقط الدخول معه. نهض
(مهراّن) بعدما رأى شيخه الذي رياه وهو يدخل. جرى عليه الشيخ
بشكل لا يتناسب مع سنه. احتضنه بقوة وهو يرت على ظهره.

من خلف الشيخ تصاعدت تكبيرات الرجلين والشيخ يقود (مهراّن)
للمقعد ليجلس. لم يشعر هذا الأخير بمثل هذه الراحة منذ خرج من
القبر إلا عند رؤية شيخه الذي رياه روحياً.

هذه الراحة انتقلت لـ(يونس) عندما وجد استجابة (مهبران) لشخص لأول مرة. قال في نفسه إن الموضوع أصبح بسيطًا. سيرحل مع أهله سواء كان هذا الشيخ أو من سيأتي لاحقًا.

”ما الذي حدث لك يا بني؟“

قالت لها الشيخ بنأثر وهو ينظر لوجه (مهبران). فرد هذا الأخير:

”لقد أصابي (يرقدار) باليارود يا شيخي.“

نظر الشيخ خلفه للرجلين ثم نظر لـ(مهبران) بأسى وقال:

”تعرف يا بني. أهل البلد علموا ما حدث.“

”الحمد لله.“

قالت لها (مهبران) وهو يريح رأسه للوراء. ثم انتبه ثانية وقال:

”أين خالتي؟“

في تلك اللحظة خرجت (مروى) من غرفة النوم وتوقفت تنظر لـ(مهبران) الجالس.

”مانت!“

قالت لها أحد الرجلين الواقفين فلم يبد على (مهبران) أي تعبير سوى أنه نظر أمامه لتصطدم عيناه بعيني (مروى)

”عظم الله أجرك.“

قالبها (بولس) بتلفانية بالعربية. لكنه تذكر معادل العبارة في الفارسية وقالها.

”كيف مانت؟“

قالبها (مهران) بصوت متهدج وعيناه مثبتة على (مروى). فقال الشيخ:

”مانت حزنا عليك يا بني. لكن ليست تلك المشكلة الآن.“

”أين (بيرفدار) الآن يا شيخي؟“

”قتل هو وآباء وأمه... قتلهم أبوك (القصاب).“

لم يرد (مهران) بينما أكمل الشيخ قائلاً:

”رحمهم الله جميعاً. كلهم سعدوا لخالفهم. لكن المشكلة أن كل هذا حدث منذ تسع سنوات. أنت في القبر يا بني منذ تسع سنوات!“

أنهى (حازم) المكالمة وهو ينظر ل(عماد) الجالس على الأريكة في صالة شفته.

”دكتورة (رقية) أخبرني الآن أنها استطاعت إخراج (إسلام) وأقنعت أهله باحتياجه لعلاج طبيعي وبعض الوقت ليتذكر كل شيء. ومن الغد ستحضره لنا ليمكننا أن نعرف أكثر عما يحدث له.“

”لا أرتاح لإدخال تلك الفتاة لدائرة المعلومات. هناك خطورة على حياتها الآن.“

”أوافقك لكن ما باليد حيلة.. أخيرها (إسلام) وهي أفادتنا بشكل جيد حتى الآن، وتقبلت كل ما عرفته بطريقة أدهشني بالنسبة لطبيبة تأخذ كل مسلم به عن طريق العلم الحديث“.

قالها وهو يجلس بجانب (عماد) ويتحسس بعض السمادات في وجهه كأنه يعبت بها. بينما قال (عماد) مبتسماً بسخرية:

”لا تندش من تقبلها، معظم الناس يخشون داخلهم خوف أقوى من عالمنا. عالم الجن، الأرواح، الأشباح. المهم أن يسمر الإنسان بأن هناك عالماً آخر. لأن وجود مثل هذا العالم يعطيه شعوراً بالإيمان بالله: يعطيه أملاً فيما بعد الموت، حتى من ينكرون وجوده يحتاجون لعالم آخر كعالم الكائنات الفضائية. لأن بكرة الإيمان بالعوالم الأقوى وحدث منذ طفولتنا“.

”والله زمان.. اشتقت لدروسك في الفلسفة التي كنت تلقها علي أيام الجامعة. هل تتذكر تلك الأيام؟“

ابتسم (عماد) وهو يرجع رأسه للخلف ويُغمض عينيه:

”كنا نتخيل أننا نبحث عن أقوى أسرار الكون، ثم أكن سأصدق لو قلت لي إننا سنشترك في الإعداد لحرب بين قنائل الحان“.

”سألني (حامد) هل إن بدأت الحرب سينتصر البشر؟ لم أجد إجابة حقيقية أجيبه بها“.

- أعنقد أننا ستعاني بشكل أو بآخر. هل نسيت أن البشر يستطيعون التحكم في الجان بالطلاسم والأقسام والتعاويد. سيطلب طرفا الحرب المساعدة في إبادة الآخر. وربما تطور الأمر أكثر مما نتخيل."

"أكثر مما نتخيل يا (عماد)."

جاء الصوت من اللامكان فنظر (حازم) و(عماد) لموضع في صالة الشقة. ثواب وتشكلت في هذا المكان صورة (بصفيدش) البشرية.

"تأخرت عن موعدك."

دخل (بصفيدش) ليجلس على مقعد يقابلهما وقال:

"استقرت الأمور نسبياً ويمكننا أن نضع خطة لخطواتنا القادمة."

"أتسني ما حدث لـ(يوسف) و(حبيبة) و(إسلام) استقراراً؟"

قالها (حازم) بعصبية فرد عليه (بصفيدش) ببرود:

"الحرب قادمة لا محالة. هذا الاستقرار هو الهدوء الذي يسبق العاصفة كما تفولون. ويجب أن نستغل هذا الوقت في التحضير لوقت اللقاء."

"لا حرب قبل أن تفتح البوابات. هذا هو ما يجب التركيز عليه."

قالها (عماد). ثم استدرج قائلاً:

"أبلغت أنك تريد مقابلتنا لأمر هامة. هل هناك جديد بخصوص (يوسف) و(حبيبة)؟"

“(حبيبة) مازالت مختلفة عن أعيننا وإن كنا نشك في فرصة أنها لم نغادر عالمكم بعد”.

“ماذا!!!”

“مجرد فرضية أرجو صحتها”.

“(يوسف)؟”

“مازال جسده في عالمنا، نحاول أن نجد طريقة لإعادة فرينه مرة ثانية إن أردناه أن يعود لكم”.

“هل فشل علماءكم في ذلك؟”

قالها (حازم) فاي نسّم (بصفيدش) له وهو يقول:

“جيد أنك تعرف علماءنا، وإن كان من الواجب على (قاصيم) أن يخبرك بأن الفيزياء التي تحكمنا تختلف قوانينها عن فيزياء عالمكم”.

“أعرف.. وأعرف أيضاً بأن الكثير من علمانكم قاموا على مدار آلاف السنوات بأبحاث عن أجسادنا”.

“كل هذا لا يهم، فدخل البشر لعالم الجان لم يحدث كثيراً وإن كنت أمل بأن أجد حلاً”.

“أخبرنا بما تريد.. وعلى كل كنت سأطلب مقابلتك لأمر ما حدث بداخل الغرفة النحاسية سأخبرك به لاحقاً”.

قالها (عماد) فهز (بصفيدش) رأسه بالموافقة، ثم قال:

تعلمت فيما لنا منذ زمن الكثير من العجل أو العلوم بمفهومكم جعلنا
نطور من استخدام فوائدها الفيزيائية، والنتيجة أن الكثير من القبائل
حصلت على طريقة لتحويل الحدي ليشري".

ناهم (حازم) في جلسته بينما ضيق (عماد) عينيه و(بصفيديش) يكمل:

"حولنا الحدي ليشري لكنه ناقص، لا يُنجب ولا يحمل فريثًا، وفي بداية
نحوه يصبح عرضة لأمراضكم، فيحاول جسده تكوين مناعة عند
إصابته بالأمراض، وربما مات في أول أيامه بينكم، طوّرنا مع الوقت
أساليبنا واعتمدنا على تطوركم في مواجهة الأمراض وحللقنا مشكلة
مناعة جسده، لكننا لم نحل مشكلة عمره القصير الذي لا يتناسب
مع أعمارنا، فهو يموت مثلكم بسرعة ومع اختلاف نسبة أعمارنا
لأعماركم فهو يموت بعد 6 أو 7 سنوات على الأكثر من أعمارنا، لكنه
مفيد جدًا، فهو الذي يستطيع جمع المعلومات عن كل ما نريد
معرفة وقراءة التعاويذ للسيطرة على أعدائنا بسبب كونه بشريًا".

"وكيف لا نلاحظهم؟"

قالبها (عماد) فرد (بصفيديش):

"مستحيل تفرقتهم عنكم، يندمجون بينكم ولا يلاحظهم إلا البشر ذوو
الخدمة، مثلك يا (حازم)".

نظر ل(حازم) وأكمل:

لذلك فهم ينتعدون عن هم مثلك على قدر المستطاع، حتى وإن
اقتربت منهم فلن تلاحظهم إلا إن طلبت من خدمتك من الجان
التواصل مع قرينه فستفشل خدمتك ولن تعرف السب."

"استراتيجية أهرتني بحق".

قالها (عماد) وهو يرفع حاجبيه إعجابًا بما سمعه.

"أمرت بنفسيب كل جواسيسنا في مصر لأضرب عصفورين بحجر واحد...
أولاً (المخلي) يخاف منهم لقدرتهم على معاراة رجاله وتعطيلهم. لذلك
سيحاول اصطيادهم بنفسه ولن يقتلهم لأنه يأمل أن يكونوا قد
توصلوا لما نبحث عنه منذ زمن".

"وما هذا الشيء الهام؟"

"العفارت".

"لم تبحثون عنهم وهم يعيشون بينكم؟ أليس العفارت درجة في
عالمكم؟"

"العفارت لقب يُطلق مجازًا على بعضنا. أما العفارت الحقيقية فقد
احتفوا بعد موت (سليمان) الحكيم، وأخذوا معهم أسرارهم رافضين
الاختلاط بنا".

"وما السب؟"

قالها (حازم) بشغف.

”لا نعلم. يقول البعض إنهم الوحيدون الذين التزموا بالعهد الذي أخذناه على باب الهيكل وقرروا عدم التدخل بعلومهم الخاصة في حياة البشر والجان. والبعض يقول إن سيدهم (لاقيس الإيليسي) أخذ كل ما دونه (أصف بن برخيا) مساعد (سليمان) الحكيم قبل رحيله. منتظرًا عودته ليسلمه ما كان له“.

هنا اعتدل (عماد) وقال متسائلًا:

”أليس (أصف بن برخيا) هو المذكور في الآية الفرانية بلفظة (قال الذي عنده علم من الكتاب أنا أتيك به قبل أن يرتد إليك طرفك)؟“

”هو نفسه.. أما (لاقيس) فذكر في الآية التي تسبقها“.

”قال عفرت من الجن أنا أتيك به قبل أن تقوم من مقامك وإني عليه لقوي أمين“.

قال (حازم) الآية بدهشة تخلط بالانهار. ثم تبعها قائلاً:

”اعتقدت أن الآية تتحدث عن عفرت نكرة. لم أتوقع أنكم تعرفونه“.

”تعرفه ونعرفه أن قبيلته تتكون من 250 عفرينًا. أطول منا عمرًا وأكثر ما قوة. عفرت واحد يساوي قوة قبائل كاملة متحدة. عاملهم (سليمان) الحكيم معاملة خاصة فأخلصوا له الولاء. ولا (أصف) من بعده. لأنه علم (لاقيس) الكثير“.

”هل الأسطورة التي تقول بأن الجن هم من أخذوا كتب (سليمان) عليه السلام بعد موته من تحت عرشه حقيقية؟“

قالها (عماد) فرد (بصفيدش):

"(أصف) هو من سلمها ل(لاقيس) ليحفظها من أيدينا نحن. ما كان بالكتب أضعاف ما علمنا منه. وهو ينتظر عودته بأي طريقة".

"كيف سيعود؟ هل (لاقيس) هذا بلا عقل؟"

قالها (حازم) وهو يلوح بيده، فرد عليه (عماد) مبتسفا:

"(أصف بن برخيا) شخصية محيرة. وجدت في كل الثقافات التي احتوت حكاية (سليمان) عليه السلام. وجد بأكثر من اسم وأكثر من هبة. أعتقد أن (بصفيدش) يقصد الأسطورة التي تتعلق بأن (أصف) ليس من البشر. أليس كذلك؟"

قالها ونظر ل(بصفيدش) ليجده يبتسم. ففتح (حازم) فاه من الدهشة. وقبل أن يتكلم قال (عماد):

"الأسطورة تقول بأن (أصف) هو نصف بشر ونصف جان. لا يعرف له أصل. وعلم الكتاب هو الحكمة التي تلقاها من مصدر أعلى.. الله".

"أصبت فيما قلت. ونحن كل هذا نبحث عما يدلنا على طرق العفريت".

قال (عماد) وهو ينظر للأرض مبتسفا:

"لم تكن المعاجم ثبالغ إذن حين وصفت لفظة (عفر) بمعنى أثار التراب من سرعة حركته. ومنها جاءت لفظة عفريت".

"استطاعت اللغة العربية تقرب المعنى. لكن قوة العفريت لا تضاهى
وقدرته تعيفنا. برغم هذا أصبح شيئاً روتينياً على كل قبيلة أن تبحث
عن مكان نواحدكم لتحاول التواصل معهم والأخذ من علمهم".

"وانت تعتقد أنهم سيفيدونكم في حركم مع (المخالي). أليس كذلك؟"

"هي ورقة لا تعتمد على اللعب بها. لكنني مؤمن بالبحث عنها. مثلما
يؤمن أخي بذلك. كل منا يعتمد على ظهورهم لحسم الصراع
لصالحه. وأرجو أن تساعدوني في التوصل إليهم".

"ماذا؟"

قالها (حازم) عاقداً حاجبيه. فردّ (يصفيدش) بسرعة:

"واحد من جواسيسنا ذكر لنا شيئاً غريباً عن كلمات أخذها من ساحر.
هذه الكلمات قيل إنها تختص بالعفريت".

"كلمات تحضير؟"

قالها (عماد) فنهض (يصفيدش) واتجه لركن الصالة حيث منضدة
الكمبيوتر وعليها أوراق مهملة تكونت عليها بعض الأتربة وبجانها
قلم. أخذه وسحب ورقة فارغة ورسم عليها بعض الرموز.

عاد لهما وهو يسلم (عماد) الورقة التي تأملها (وحازم) يشاركه النظر فيما
يتضمن.

١٢٣٤٥٦

٧٨٩١٠١١

١٢٣٤٥٦٧٨٩١٠١١

لغة غريبة.. تغلبتها المسامرة للحظة لكنها بالتأكيد تتعد عن أي لغة عرفتها."

قالها (عماد) وحدقنا عينه نسمع لا إراديا محاولا تذكر أي رمز من رموزها قد مر عليه.

"ورجالنا الذين تخصصوا في اللغات القديمة لم يعرفوها أيضا. برغم أنهم يعلمون الكثير من اللغات التي سبقت حكم (سليمان) الحكيم."

هنا قال (حازم):

"وما أدراكم أنها لغة؟ لم لا تكون طلسمًا ما لاستدعائهم مثلاً."

"لو كانت طلسمًا لعرفنا. الطلسم تكون حالة من العطفة حولها تراها بسهولة عند كتابتها. وهذه الكلمات لا تمتلك حالة الطلسم."

- تريد مني إذن البحث وراءها؟

قالها (عماد) وهو بعد لم يرفع عينه عن الورقة.

- نعم.. والبحث أيضًا عن (ابن الجن).

نظر الاثنان له في أن واحد. فأكمل (بصفيدش):

- قال لنا جاسوسنا إن هناك من سمي بابن الجن، وأنه هو من عرف
سرا استخدامهما.

- ربما قصد (أصف بن برخيا) نفسه. بناء على الأسطورة التي قالها
(عماد).

قال (حارم) تلك العبارة وهو يوزع نظراته بين (حازم) و(بصفيدش). فرد
هذا الأخير:

- ربما.. وربما ظهر (أصف) مرة أخرى.

- على كلي اترك لي هذا الموضوع. سأحاول. ولكن أعتقد في قرارة نفسي
بأن هذا الطريق مسدود.

- والآن قبل أن أرحل.. ما الذي أردت إخباري به؟

- (حامد) اكتشف في الغرفة النحاسية طريقة موت غريبة لرجل
(المغلي) المسن (سنان)، قال بأنه لم يقتل بطريقة البشر ولا بطريقة
الجن. ولا بطريقة عادية.

انتفضر (بصفيدش) في مقعده وهو يقول:

“هل عرف من قتلته؟”

“لا.. يبدو أنك تعرف بمقتل (سنان)”.

“الجميع يعرف باختفائه الغريب.. (سنان) جثي لا يتم تحضيره وقلته من البشر لأنه أقوى من ذلك بكثير. وإن قتلته أحد من عشائرتنا فيجب أن يكون بمثل قوته. وسيستمر الصراع طويلاً بينهما فيعرف الجميع من فعل ذلك. لكن (سنان) اختفى من كلا العالمين فجأة بلا أثر.. لو قُتل في عالمنا لعرفنا. ولو قُتل في عالمكم سيترك بصمه طاقة نعرف موضع موته بها. لكن الاختفاء التام أقلق (المخلي) وأقلقتني أيضاً. وضعت افتراضاً أنه هرب لكنك أخفتني أكثر.. بإقرارك بموته. هذا يعني أن قوة عربية تختلف عن قوة الشر والجان استطاعت ذلك”.

“ربما تلك القوة نعمل لصالحكم”.

“وما أدراك أن تلك القوة لن تتخلص من الجميع؟”

برغم أنه دخل كثيرًا لأروقة قسم الميكانيكا بكلية الهندسة ويعرفه الجميع منذ زمن. لكن تلك البذلة والكرافت والحقيبة التي يحملها جعلت الكثير يخطئ في التعرف على (طه). برغم أن لحبته كما هي وشعره الكثيف الذي فشل في تصفيف بعض خصلاته التي طارت بفعل الهواء تنبعثر في هيئة لا تليق بملبسه.

استنشق بضعة أنفاس من سيجارته قبل أن يرميها على الأرض بلا مبالاة وهو يتجه لأحد الممرات ويشترب من (عمرو) المعيد بالقسم. والذي

كان يتحدث مع مجموعة طلبة بعد انتهاء محاضرة.. وضع يده على كنف (عمرو) فتظنر انه مندهشاً في البداية. ثم صافحه بحرارة واستاذن من ظلمته وهو يسير بجانبه. حتى وصلا لغرفة نمتان بالمكاتب يستخدمها المعيدون وبعض الأسانذة بشكل غير منتظم. كانت خالية في هذا الوقت فجلسا بجانب أحد المكاتب.

"ما الذي ترتديه؟ هل هناك مناسبة اليوم؟"

"أحاول أن أظهر بمظهر صاحب المصنع أمام المؤخر اليوم. قل لي متى سنقابله؟"

"بعد نصف ساعة من الآن. لكن لن أذهب معك قبل أن تشرح لي الموقف. قلت لي أمس في الهاتف إنك تريد تأجير مكان يصلح لمصنع صغير بالقرب من شبرا وتریده اليوم بشكل ضروري. وأحضرنه لك وترید تأجيره الليلة ودفع مستحقاته لشهور مستقبلاً.. ما الذي تریده من وراء هذا الطلب المفاجئ؟"

وضع (طه) حقيبته الجلدية على المكتب وفتح قفلها لتظهر الآف الجنيهات رُصّت بجانب بعضها البعض. أخذ خمسة عشر ألف جنية من الحقيبة وسلمها ل(عمرو) الذي أخذها بلا فهم. بينما أخرج (طه) من جيب آخر بالحقيبة ملئاً ورقياً وفتحته بعد أن أغلق الحقيبة.

"أريدك أن تصنع لي هذا الموتور وأن تننبي منه غذا على الأكثر".
"ماذا؟!"

فألبها (عمرو) بصوت عالٍ لم يتحكم فيه و(طه) بضع المص ويخرج
بضعة أوراق تصان برسومات هندسية. عرضها على (عمرو) الذي
أخذها بتأملها.

"اسمع يا (عمرو). أنا أعرفك منذ سنوات طويلة. وأعرف خبرتك فيما
أطلبه. لكن صدقي ستعرف كل شيء. لكن السرعة هي ما أطلبه."

أخذ (عمرو) يتأمل الرسوم قليلاً. ثم قال وهو لم يرفع عينيه عنها:

"ما تطلبه بخصوص الموتور يمكن أن أحضره لك بعد غد. لأن تصميم
الموتور لا يختلف كثيراً عن مواير مستعملة تباع في كل مكان. لكن
سأضيف إليها بعض القطع.. وسعره لن يصل لثلاثة آلاف بكل ما
سأضيفه."

"أعرف أن سعره لن يتجاوز هذا الرقم لكن ما معك خمسة عشر ألف
جنية. حد مهم عشرة آلاف للموتور كحقل. والبقية لصناعة تلك
التروس الخاصة."

فألبها (طه) وأشار بإصبعه لورقة تحتوي على تفاصيل لتروس مختلفة
الأحجام بمقاسات كتبت على حواف الرسوم.

"أحتاج لتنفيذ تلك التروس بدقة في ورشة خراطة تحت يد حراط
مخترف."

ثم أشار لورقة أخرى وهو يقول:

"وبناء هذا الحامل بتلك المقاسات ليناسب وضع الموتور بداخله."

"أولا تكلفه الموتور والتروس والقاعدة لن يكملوا عشرة آلاف جنيه.
ثانياً أنا لن أأخذ مليوناً لنفسي ثالثاً يجب أن تشرح لي ما يحدث".

أخرج (طه) سيجارة لنفسه وأعطى أخرى لـ(عمرو) وهو يقول:

"فوق ما أعطيتك سأعطيك عشرة آلاف أخرى. وكل هذا لننتهي على
الغد كل شيء. وعند بناء الجهاز الذي صممته ستعرف ما فائدته.
وفوق كل هذا مشاركتك في تشغيله تهمني.. وإن لم تأخذ كل المال
سأذهب لشخص آخر ليساعدني".

"قلت لك لن أأخذ نقوداً".

"وأنا ذاهب".

نهض (طه) من مقعده فأجلسه (عمرو) وهو يقول:

"اهدا.. لننتهي مما نريد أولاً ثم نتناقش حول النقود".

أشعل (طه) سيجارته وقرب الولاعة من سيجارة (عمرو) وهو يقول:

"وحتى تفهم خطورة ما يحدث.. أخبرك أن كل هذا له علاقة بالجان".

سعل (عمرو) وهو يسحب النفس من السيجارة. بينما (طه) يكمل قائلاً:

"والآن هيا بنا لنلتحق بموعدنا مع صاحب المصنع".

”زاد وزنك في آخر سنوات يا (حازم)“.

قالها (عماد) وهو يرتدي ملابس نوم أخذها من دولاب (حازم). ثواب ودخل (حازم) غرفة النوم وهو يجفف يده بمنشفة الحمام ويقول:

”لو ملابسي واسعة عليك فهذا لأنك لا تتغذى جيدا!“

”تقصد لأنك تاكل بفرجة.. كيف وافقتك أن نتعشى كوارع وفتة ولحم رأس منذ قليل!“

جلس (حازم) على طرف الفراش وهو يلقي بالمنشفة على أحد المقاعد قائلا:

”لا تنكر أن الكوارع لذيدة“.

خلع (عماد) نعليه وأراح ظهره على الفراش العريض وهو يقول:

”لا أعرف كيف وافقتك على المبيت في شقتك ولا أعلم كيف سأنام بعد هذا الطعام“.

”شقتك أو شقتي لن تفرق كثيرا يا صديقي، ليس هناك من ينتظرك لنقضي الليل معه وأنا مثلك.. أعتقد أنني بدأت أفكر جديا في الزواج وتكوين أسرة“.

”وهل نسيت عداء قبائل الجان لك؟“

أراح (حازم) جسده على طرف الفراش الآخر ووجهه ينقلب إلى الضيق وهو يقول:

- "لم ذكرتني بهذا؟"

- "لم ينس أحدنا مشكلته مع الجان. لكننا نعلم. أنا أيضًا أقبض على عقلي متلعنا في بعض الأحيان وهو يفكر بتكوين أسرة."

- "أريد الحقيقة.. أنا لا أضيظ عقلي في بعض الأحيان متلعنا بالتفكير في تكوين الأسرة.. بل هو دائمًا ما يفكر في ذلك. خيالات كل ليلة عند نومي أعيش فيها نصبرني على حياتي التي أشعر أنني اخترتها بالخطأ."

- "هل تعرف ما أتعناه فعلاً؟"

- "؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟؟"

- "أن أتذكر كل هذا العالم الذي عشفته من قبل.. لم يعد فضولي كما سبق. حتى الكلمات التي أعطتها لي (يصفيدش) اليوم لم تعد تثير غريزة البحث كما كانت يمكن أن تفعل في السابق.. وحتى (أصف بن برخيا) الذي بحث وراءه لشهور في مكتبات ال..."

نهض فحاذ من الفراش وهو يقول منذكرا:

- "(أصف بن برخيا).. دكتور (محمود الطناني)".

"ماذا؟"

فألبها (حازم) وهو يهض متنافلاً. فرد (عماد) بصوت يمتلئ بالإثارة:

- "دكتور (محمود) هو أستاذ تاريخ إسلامي في جامعة القاهرة. كنت أزوره دائماً أثناء دراستي وهو من نصحتني بكثير من الكتب حول (أصف بن برخيا)".

”تقصد أنه سيعرف عن الكلمات؟“

”لا أعرف.. لكنه حبط سأمسكه من الغد“.

ثئاب (حازم) وهو يضرك عيبيه بيده ويقول:

”اتصل به واسأله عن...“

قاطعه (عماد) وهو يريح رأسه على الوسادة بحسنة أمل:

”لا.. سأضطر للذهاب له. فلا أمتلك رقم هاتفه ولم أهتم قديماً. أرجو

أن يكون في الكلية في الغد“.

”وأنا أيضاً“.

قالها (حازم) وهو يعطي ظهره لعماد ويفمض عيبيه استعداداً للنوم

...

”سأناخر عن المنزل الليلة يا ماما“.

قالها (حامد) وهو يمسك هاتفه المحمول يتحدث مع والدته خارج الغرفة

النحاسية.

”هل نام الحاج؟ الحمد لله.. أنا في منزل (طليبة) صديقي في الكلية براح

لي بعض المحاضرات التي فاتتني.. لا تخافي علي.. حاضر سأتعشى..

ماذا؟ حاضر سأحضر معي ثلاثة جنبيات (فيسو) وحبنة رومي.. وماذا؟

لاتشون بالزيتون.. حاضر. محمد رسول الله يا ماما“.

أبى المكالمة ودخل للغرفة وهو يفلق هاتفه ويقول:

"(رحيم). ساعد قهوة على السيرتاية.. فهونك سادة أليس كذلك؟"

لم بعد احابة. فنظر حوله وهو ينادي على (رحيم) بلا احابة. أخذ الكشكول الذي يكتب فيه كل ما يشاهده في الغرفة ولا يعرف تفسيره كي يناقشه مع (رحيم).

سمع الصوت المميز لطلب دخول (رحيم) من منفذ الغرفة. صوت يقترب من شهيقي عالٍ. وقف خلف المتضدة وهو يقول:

"افتح يا سمس."

صحك لنفسه فسمع صوت الشهيقي يعلو أكثر من ذي قبل. فقال بجذبة:

"تفتح الغرفة بحق دعوتي ويدخل الجساس نفاذاً للكلمي".

طهر (رحيم) في الدائرة ففتح (حامد) ذراعيه على الساعهما وهو يقول:
مبتسماً:

"حبيب قلبي.. وحشتي".

"توقف عن المزاح.. غبت عنك دقائق بوقتك أنت".

"لماذا يطالبني الجميع بالتوقف عن المزاح!!"

"عرفت أشياء عن موت (سنان)".

قطن (حامد) جبينه وهو يقول:

"ألبدا احتفيت من الغرفة فجأة؟"

- "نعم.. أردت تجربة شيء فكرت فيه منذ وقت قريب. كل الرموز في الغرفة تخرج منها إشعاعات طاقه تقودني إلى الأماكن أو الأشخاص التي تمثلها الرموز. عند موت (سنان) انقطع إشعاع الطاقة الخاص به. ففكرت في احتمال. ماذا لو قمت بشحن الرمز المدمر الخاص به (سنان) بجزء من طاقتي؟"

- "لم أفهم لكن كلامك يبدو جيدًا".

- "عندما شحنته عاد الشعاع للخروج مرة ثانية لأحر مكان تواجد به (سنان)".

رفع (حامد) حاجبيه متاهبًا فأكمل (رحيم):

- "كنت أريد معرفة منطقة موت (سنان).. في عالم البشر أم عالمنا؟"

- "قل بسرعة".

- "عالم البشر.. لكن الشعاع قادني لمنطقة أكثر تحديدًا.. منطقة (شبرا) التي نسكن بالقرب منها".

- "شبرا!! لا تقل لي إن بلطجية نبتوه وأخذوا أمواله!"

- "انقطع الشعاع عند منطقة عمارات ولم أعرف أكثر من هذا".

- "حالاتك!"

الفصل السادس

أصف بن برخيا

لم يعد (مهران) عينيه عن عين (مروى) التي لم تفهم شيئاً من لغة الحوار. لكن شهقة والدما والرعب الذي ارتسم على وجهه عندما حانت منها نظره إليه جعلها تتأكد أن الأمر يحمل مصيبة تتعلق بهذا الشاب الوسيم الذي مازال ينظر إليها.

أما (مهران) نفسه فلم يظهر على وجهه أي تعبير. لكنه قال لشيخه يهدوء لا يتناسب مع موقفه:

- "أحك لي ما حدث بعد موتي".

نظر الشيخ للأرض بحسرة ثم قال:

- "بعد دفنك بيوم واحد ماتت خالتك حزناً عليك.. أما (بيرقدار) فقد رآه الكثيرون يجري ليلة مقتلك فعلم الجميع أن له يداً. لكن نفوذ والده منع الجميع من الشكوى.. حتى ظهر بعدها بأيام شيخ عجوز يتكى على عصا. لم تنقطع دموعه منذ شاهدته الجميع ليلاً يسير بين الحارات. وكل من يسأله كان يخبره بأنه (القصاب) والدك.. سارحتي وصل إلي منزل (بيرقدار).."

هنا ننظر (مهران) الشيخ فابتلع هذا الأخير ريقه وأخذ نفساً طويلاً وقال:

- "صرخ أمام البيت يطلب العدل من والد (بيرقدار) لساعة. العشرات تجمعوا حوله كي يثنوه عما بفعل. لكنه ظل يصرخ بجملة واحدة (العدل يا أبا القائل كي تأتيك الرحمة).. فلم يحبه أحد. بعدها صرخ قائلاً (رحمة الله تنزل عليكم). ثم وضع يده على حائط البيت فانفجر البيت وتهدم في ثوانٍ".

كبر الرجال المعاصمان للشيخ. فعاود (مهران) النظر ل(مروى) وهو ينتظر
بقية الحديث.

”جرى الناس فرعين، وأبوك ينتعد عن البيت والدموع تنهمر من عينيه..
نجمع الناس حوله. وحاولت مع بعض الناس التحدث إليه لكنه كان
صامتاً تماماً. سرنا وراءه حتى وصل إلى بيته ودخله. تمنعاه فلم نجد
له اثراً. فقط ملابسه المغطاة بتراب بيت (بيرقدار) ملقاة على الأرض.
أما هو فاحتمى كماما لم يكن.. أصر الناس على بناء مقام على بيته
باعتماره من أولياء الله. وبرغم أنني لم أوافق على ذلك لكن الجميع
بروره إلى الآن.”

تعالّت أصوات من الخارج تنادي بأسم (إسماعيل). فنظرت (مهران) لباب
المنزل بينما نابع الشيخ:

”الناس في كل مكان يرون ما حدث معجزة. بعضهم يقول بأنك الإمام
(إسماعيل) وعدت لهم في آخر الزمان كي...”

قاطعته (مهران) بعصب وهو يتهض قائلًا:

”!؟”

ذهب للباب وفتحته فرأى مئات الناس تقف على مرمى البصر تملأ الشارع
ذهاباً وإياباً. كانوا وهللوا عندما شاهدوه.. بينما صرخ هو فهم:

”أنا لست الإمام العائد أرباب الناس”

جرى البعض عليه يحاول تقبيل يديه وقدميه فأقلت منهم وهو يتف:

..أنا (مهراڻ).. (مهراڻ بن القصاب) يا ناس.. لست وليا ولا إماما ولا نبيا.
اتركولي لحالي!"

حفظت أصوات بعضهم وهم يتهايمون. ثم قال: أحدهم فجأة بصوت عالٍ:

..إن لم تكن الإمام فأنت ابن (القصاب) الولي المبارك من الله."

ظهر صوت رجل آخر من مكان يقول:

..أنت حي بعد ثمان سنوات يا ابن سيدنا (القصاب).. أنت الحي!"

رفعه اثنان منهم على الأكتاف فتلقفه الناس وأحدهم يصرخ:

..الحي بن القصاب.. الحي بن القصاب."

فردد الناس كلهم نفس الاسم وهم يتلقفونه ويسيروا به بين العارات.

لم يذهب (عماد) إلى عالم النوم بسهولة لأنه لم يتعود المبيت بعيدًا عن شقيقه كثيرًا. لكنه بمجرد أن نام وجد نفسه في حلم. لم يقابله حلم نفي كهذا الحلم. يعرف أنه يحلم ويشعر بكل شيء في نفس الوقت.

هو قصر غريب لا تظهر تفاصيله كاملة. لكن عند زكن من الجو وجد بابًا يفتح من تلقاء نفسه. وظهر خلفه رجل يرتدي ملابس عجيبة باللون الأسود وعلى رأسه عمامة ضخمة وله لحية وشارب سميفين. كان ينظر يمينًا ويسارًا كأنه ينتظر شيئًا ما.

نظر (عماد) يساره فوجد (حازم) بجواره برمته. دوى انفجار فجأة اهتز له
المكان. فصرخ الرجل ذو اللحية بلعة عربية وجد (عماد) نفسه
يفهمها.

”احضريا (لاقبس)!“

ظهرت زويعة أمام الرجل وتطايرت أتربة أنت من العدم في وجه (عماد)
الذي فرك عينيه مندهشًا مما يحدث. توقفت الزويعة عن الدوران
وظهر مكانها شيء أسود بالكامل. ارتفاعه لا يقل عن أربعة أمتار
ويعطي ل(عماد) ظهره. بينما الرجل ذو اللحية يقول:

”انشق الجان عنا“.

دوى انفجار آخر أعنف مما سبق. فصرخ الرجل:

”انهم يدمرون كل ما بنيناه ويسرقون الصحف والورق الذي دؤنته“.

تكلم الكائن الأسود بصوت مخيف مرتفع جعل (عماد) يتراجع خطوة
للوراء. والكائن يقول:

”لا نحف. سأنفذ البقية وأطردهم من مدائننا“.

”يجب أن أذهب الآن“.

قالها ذو اللحية وهو يسير مبتعدًا. فلسائل الكائن:

”وكيف سأوصل الصحف إليك؟“

نظر ذو اللحية والكانن فجأة لـ(عماد). فوفعت عين هذا الأخير على وجه الكائن. لم يتحمل مظهر وجهه ووقع على ظهره وهو يشق مرعوباً.

نهض (عماد) مشزوعاً من نومه وهو يشق برعب. نظر بحاله ليحد (حازم) جالساً نصف جلسة على الفراش وهو يرمقه وحنات عرق تسيل من جبهته. وسمعه يقول له بخوف:

"لا نقل لي إنك كنت معي في الحلم وشأهدت العفريت!"

.....

"حميل.. كم بقي على صناعة القاعدة التي انفقنا عليها؟"

قالها (طه) وهو جالس على القهوة بدخن الشيشة وحدث صديقه (عمرو).

"غداً.. جيد جداً. هل يمكن أن تنقل التروس والمونور الآن للمصنع؟"

جاءه شاب بسيط الثياب صافحه بحرارة. فدعاه (طه) للجلوس بجانبه بابفسامة وإشارة من يده. وأكمل مكالمته قائلاً:

"أعرف أن الساعة الآن الثانية بعد منتصف الليل لكنني أريد الاطمئنان على كل شيء. وغداً منذ الصباح الباكر سأكون في المصنع أنتظر القاعدة الجديدة. معذرة على تعبك معي لكن ستفهم كل شيء في الغد."

أمرى المكلمة ونظر للشباب مبتسماً وهو يقول:

"أخبرني عن آخر أحوالك يا (سكر)".

"الحمد لله يا ناشا، اشتقت للحلوس معك منذ شهرين".

نادى (طه) النادل وطلب منه للسكر (شايًا ومغسلاً، ثم نظر له قائلاً:

"من ماريت تشتغل على السيارة النقل الحاسبة يا (مصطفى)؟"

"الحمد لله يا ناشا، جميلك لن أفسد، زوجتي تدعوك كل يوم".

فألبا (سكر) أادب، فقال (طه) منسفاً يود:

"أعرف أنك فرغت عندما طلعت منك تلك الأشياء في الهاتف منذ بضعة ساعات".

أول النادل الشينة أمام (سكر)، فوضع هذا الأخير الميسم في فمه ليأخذ بضعة أنفاس سخنت المعجم وزادته احمراراً.

"لم أفرغ يا ناشا لكنني حفت عليك، قانت بعيد عن هذا الطريق ولا ارضى لك أن تسلك ما سلكت أنا".

نظر (طه) أمامه وقال وهو يبتعد دخان الشيشة من أنفه:

"منذ عرفتك وأنا واضح داننا، لا أكذب فيما أقوله ولا أسلك طرقاً ملتوية لأطلب ما أريد، أليس كذلك؟"

صتت (سكر) كمن (طه) انهمه بحرمة:

“أعود بالله يا باشا.. حاشا لله أن أظن بك الكذب أو اللب والدوران
كل ما هنالك أنني صدمت في البداية عندما طلعت مفي...
”مخبر الحشيش وحبوب (ترامادول)“.

قالها (طه) وهو يقاطعه، فصمت (سكر) قليلاً، وخاصة عندما جاء
النادل ليضع الشاي أمامه. مرت لحظات صامتة إلا من صوت فرقرة
الشبشة حتى قطع (طه) الصمت بجديّة:

“اسمع يا (سكر)، لست في طريقي لإدمان الترامادول ولا سأشرب
الحشيش لمزاجي الخاص، سأستخدم الحشيش ليصنع هبوطاً في
ضغط دمي ونظيل ضغط عيبي. أنا الترامادول سأستخدمه لتقليل
الألم“.

هز (سكر) رأسه بقوة دلالة على قهقهة لما يقوله (طه). لكن هذا الأخير
كان يدرك أن (سكر) لم يستوعب أغلب ما قال، مذ (سكر) يده
لداحل جيب سرواله وأخرج قبضته مغلقة تحمل داخلها إصبعاً
طويلاً رقيقاً من الحشيش وشرط دواء (ترامادول). أعطاهما لـ(طه)
بطريقة حاول أن يجعلها غير لافتة وهو يلمصت بيميناً ويساراً.
“كم كذبتك؟“

سألها (طه) وهو يخرج رزمة نقود من جيب بدلته. فرفض (سكر) بإصرار
حقيقي وأبعد يده وهو يحلف على (طه) بأنه لن يأخذ مئينا. ظل
الحال بينهما هكذا لنصف دقيقة (طه) يصر على إعطائه نقوداً
والآخر يرفض بجديّة تعال معها صوته.

"شكرًا يا (سكر). لكن تذكر أنني غاضب لأنك رفضت النقود".

"عما تتحدث يا باشا؟ أفضالك أغرقتني منذ عرفتك".

"قل لي يا (سكر). ما الجرعة الطبيعية للترامادول في المرة الواحدة؟"

"خذ ربع قرص في أول أسبوعين".

"وهل سيؤذي أي ألم عندي؟"

"بالفائدة يا باشا".

"وما هي الجرعة المناسبة التي يمكنني معها تحمل دخول الدبابيس

لجسدي؟"

.....

...

"دكتور (محمود الطناني) لو سمحت؟"

قالها (عماد) لشاب يمسك ملفًا ورقيًا ويتحدث مع صديقه داخل مكان

قسم التاريخ بكلية الآداب. فرمقه الشاب متضايفًا ورذ عليه

باستهتار:

"هل تريد؟"

"بالفائدة".

"إذن ابعد عنه".

فألبا وضحك مع صديقه. فابتسم (عماد) وهو يقول:

- "اعتقد أنك طالب في قسم التاريخ وانتظر أستاذًا ما لتسليم بحثك الذي تحمله. واعتقد أن ذاكرتي قوية بما يكفي لأحفظ اسمك المدون على غلاف البحث.. (حسام محمد عبد المجيد). ودكتور (محمود الطناني) صديق قديم لي وسأطلب منه توصية خاصة لك إن لم تدلني على مكانه الآن."

تأهب الشاب له لكن صديقه قال بسرعة:

- "أسف يا أستاذ.. مكتب الدكتور (طناني) هناك."

ثم أشار بيده لمكتب قريب. تركهما (عماد) وهو يسمع من أحدهما كلامًا خافتًا لم يتبين معناه.

طرق باب المكتب المفتوح ودخل فوجد دكتور (محمود) الذي رمق وجهه قليلاً كأنه يحاول تذكره. نظر (عماد) له بفرحة وإجلال مثلما تعود أن ينظر له دائمًا. وقد لاحظ أن السنين قد أظهرت مزيدًا من التجاعيد على وجهه الذي تعود عليه.

- "هل أعرفك من قبل يا بني؟"

فألبا دكتور (محمود)، فاقترب منه (عماد) ومد يده ليصافحه قائلاً:

- "أنا (عماد) الذي..."

فأطعه دكتور (محمود) وهو يهتف واقفًا لمصافحته قائلاً:

- "تذكرتك الآن. كيف حالك يا بني؟!"

”لم أتوقع أن تتذكرني.. الحمد لله على كل شيء يا سيدي“.

فألبها (عماد) وهو يخفض رأسه احترامًا. فدعاه للجلوس أمامه وهو يضغط على زر بجانب المكتب. أتاه رجل يسأله عما يريد. فطلب له (عماد) كولا وطلب لنفسه شايًا. في نفس اللحظة دخل رجل وسيم في الخمسين من عمره. ذو شعر أسود به بضع خصلات بيضاء. ويحمل في يده اليسرى بضعة كتب.

هنا دكتور (محمود) للرجل وطلب له قدح قهوة وهو يطلب منه الجلوس. فقال الرجل بسرعة:

”يمكنني أن أتي في وقت آخر“.

”لا يا (يسري). يجب أن أعرفك يا (عماد). فهو في معرفتك لدي“.

من (يسري) يده يصافح (عماد) الذي وقف احترامًا له ودكتور (محمود) يتابع:

”عماد) شاب نجيب لم ينتسب لكلية الآداب ولكنه باحث من الدرجة الأولى في المسائل التاريخية. أعرفه منذ كان طالبًا شغوفًا بالتاريخ الإسلامي والتصوف“.

من (يسري) رأسه ميلسًا بأدب فأكمل دكتور (محمود):

”أعرفك يا (عماد) بدكتور (يسري) المتخصص في التاريخ الإسلامي مثلي. علامة لم أشاهد مثله من قبل طوال مدة تدريسي للتاريخ. اعتبره أباي الروحي وأعترف أنني أتعلم منه الكثير“.

"العضو يا أستاذنا".

قالها (يسري) ثم نظر ل(عماد) قائلاً:

"فرصة سعيدة يا أستاذ (عماد)".

فجاءه قال دكتور (محمود) بمرح:

"أراهن بأنك جئت لتسأل عن معلومة تاريخية".

ضحك (عماد) مجاملاً. وقال وشيء من الخجل يتخلل صوته:

"لن أنكر. فأنا لا أتق إلا بك في التاريخ الإسلامي".

فهذه دكتور (محمود) وهو يرجع رأسه للخلف. ثم قال وإسماة كبيرة تغزو فمه:

"لا نخجل يا بني. هذا شيء بشرفتي. قل ما تريد".

ننحس (عماد) وقال:

"الموضوع يتعلق بأصف بن برخيا".

عاد دكتور (محمود) بظهره للوراء، ليرجعه على مسند المقعد وهو يقول:

"منذ زمن لم يناقشني أحد في موضوع كهذا. منذ أن اختفيت أنت تحديداً".

"نذكر طبعًا يا دكتور بأنك نصحتني ببعض الكتب عن هذه الشخصية. وناقشنا كثيرًا في نعتها ونحوها لأسطورة عند بعض الأديان والشعوب القديمة".

"طبعًا. وأذكر حينًا أول سؤال سألتني إياه عنها. كنت تريد أن تعرف هل كتاب الأحناس ينسب فعلاً لاصف بن برخيا أم لا. وأجبتك بلا بشكل قطعي".

قال (يسري) (عماد):

"اعذراني على تدخلتي في الموضوع. لكن هل تعتمد على الفكر الديني في تكوين رأيك عن (اصف) أم على الفكر التاريخي؟"

فيل أن يجيبه (عماد) ضرب دكتور (محمود) بيده على جبهته وقال:

"نسيت يا (يسري) أنك قدمت بحثًا عن (اصف) منذ سنوات في الفكر الشيعي".

"لم تمر علي أبحاث عن (اصف) في الفكر الشيعي".

قالها (عماد) متسانلاً كأنما يدعو (يسري) للتحدث. فقال الأخير:

"في الدين الإسلامي اعتمدت كلا المصادر السنية والشيعية على المرويات الإسرائيلية في حكاية (اصف). وإن أعطوه في الفكر الشيعي اسماً أقرب للعبرية وهو (إيساف) أو (عساف) بلفظ آخر. وفي بعض المرويات أسموه (بليخا بن برخيا). وقالوا بأنه قريب لسليمان".

وتأرجحت صلة القرابة بين ابن الأخت وابن الخالة. لكنها في كل الحالات أعلنت من شأنه في مجلس (سليمان)."

رد عليه (عماد) بسرعة:

"لا أحد فرقاً واضحاً يميز الفكر الشيعي في تلك المسألة".

"الفرق أن بعض الروايات اعتمدوا فيها على أئمتهم مثل الإمام (الياقق) الذي قال إن (أصف) امتلك حرفاً من اسم الله الأعظم. وهو ما تكلم به فخسف بالأرض ما بينه وبين عرش (بلقيس). فمعد يده بأخذه ثم عادت الأرض لما كانت عليه.. والإمام (الصادق) الذي قال بأن الأرض طويت له فأتى العرش في طرفة عين. وغيرهما من الأئمة الذين تكلموا عن مسألة هل (أصف) من الجن أم البشر".

"أم مهجن؟"

فألها (عماد). فرفع (يسري) حاجبه الأيسر مندفعاً. بينما قال دكتور (محمود):

"ما يقوله مضبوط يا (يسري). هناك من تكلم في تلك المسألة. أنه في مرتبة ما بين البشر والجن. لكن قل لي يا (عماد). ما الذي تبحث عنه تحديداً ويتعلق بأصف؟"

أخرج (عماد) من جيبه الورقة المطلوبة التي احتوت على الكلمات التي كتبها (بصفيدر) وأعطاهم لدكتور (محمود). الذي فتحها ونظر لها لثوانٍ ثم قال:

"ما هذا؟"

"نص من مخطوط وجدته يتحدث عن (أصف)".

"وهل معك المخطوط الأصلي؟"

"صاحبه استرده ثانية. لكنني نقلت تلك الكلمات التي تتكلم عن (أصف)".

نظر دكتور (محمود) للورقة مرة ثانية ثم هز كتفيه وقال:

"أسف يا (عماد).. ليست لي خبرة باللغات كما تعرف".

تمض (يسري) ووقف بجانب المكتب ينظر بفضول للكلمات. رمق (عماد) وقال:

"أعتقد أنني أعرف معنى هذه الحروف".

قفز (عماد) من موضعه وهو يسأل:

"ما معناها؟"

"رأيت مثلها في طلائع مزامير داوود".

"تقصد أنها ترجمة لإحدى المزامير؟"

"لا.. أنكم عن الطلائع المستخدمة في سحر المزامير الذي استخدمه حاخامات اليهود. أشرفت على رسالة دكتوراه من زمن طويل عن تلك المزامير. ولكنني لا أتذكر هذا الطلسم بالتحديد".

نائب دكتور (محمود) وهو يقول:

"هل هناك احتمال أن يكون هذا الظلم هو..."

لم يكمل جملته بينما هز (يسري) رأسه إيجاباً وهو يقول:

"ربما يكون هذا الظلم هو الظلم رقم 51 للمزامير.. الظلم المفقود."

(قسم روض الفرج)

نظر الضابط ل(حامد) الواقف بيدلته البنية يتشم له في ودّ لم يعط انطباعاً في نفس الضابط سوى الغباء.

"تقول إنك تريد مقابلة المأمور لأمر هام؟"

"نعم يا سيدي".

قالها (حامد) بفخر لم يفهمه الضابط.

"وهل يمكن أن أعرفه؟"

"للأسف لا".

"إذن لن تقابله".

"قل له إنني كنت معه في مشرحة (زينهم) منذ يومين".

أفلتت من الضابط ضحكة ساخرة. مزبه ضابط شاب آخر فتساءل عن سبب ضحكته. همس له ببضع كلمات في أذنه وهو يشير لـ(حامد) الواقف أمام الكاونتر. فابسم الضابط الشاب وقال وهو يمد يده ناحية (حامد):

- "بطاقتك من فضلك".

أخرج (حامد) بطاقته من محفظته وأعطاهما له والابتسامه لم تفرق وجهه. فاطلع عليها الضابط وهو يقول:

- "تقول يا عم (حامد) إنك كنت معه في مشرحة (زينهم). هل كنت هناك لتتعرف على جثة مثلاً؟"

- "أدرك أنكم ترونني مجنوناً. لكن الحقيقة أنني كنت هناك بسبب مشاكل تعرض لها المأمور. ولو علم أنكم منعموني من مقابلته سيغضب بشدة".

- "المأمور لم يذهب لمشرحة زينهم منذ فترة. وأنت إما مجنون أو جنت هنا للمزاح".

قالبها الضابط الأول بشيء من الجدية. فاخضت ابتسامه (حامد) وهو يقول:

- "لن نخسر شيئاً لو أبلغتماه بوجودي".

- "انتظر هنا في مكانك حتى يدخل سيادة المأمور لمكتبته".

نظر (حامد) حوله حتى وجد مقعدًا خشبيًا متهاكًا بجانب الكاونتر فجلس عليه وهو يسمع صوت (رحيم) يقول:

"ما تفعله أغبي شيء، توقعته منك".

"هل حفظت ما اتفقنا عليه يا (قاصيم)؟"

"حفظت ولكنني لن أضحي بأي من رجالتي يا (حازم)".

"لم أطلب منك التضحية بأحد. لكننا لن نعرف قدرته إلا بما اتفقنا عليه".

كان (حازم) يقول عبارته وهو يحضر صينية يضع عليها بعض الأكواب الفارغة. فجأة رنَّ هاتفه المحمول خارج الصالة فأسرع برز لبصاف (رقية) كيفية الوصول لشقته هي و(إسلام). أنهى المكالمة ونظر ل(قاصيم) قائلاً:

"والآن اذهب أنت ورجالك وتأكد جيدًا من عدم وجود جان داخل الشقة وخارجها".

اخشى (قاصيم) من جانبه. فجلس (حازم) على أريكة الصالة وشبك يديه وهو ينظر لماب الشقة منظرًا بالهدوء.

رن جرس الباب فمض يفتحه بخطوات جعلها متناقضة لنكسه هدوءًا وثقة.. طالع وجه (رقية) التي براها لأول مرة بملابس غير معطف الأطباء الأبيض. لوهلة ففكر كم هي جميلة لكنه نفس الفكرة بعيدًا

عنه بسرعة وهو ينظر لـ(إسلام) المرتبك وهو يقف بجانبها، هسن وجه
(حازم) له وهو يقول:

”كيف حالك يا صديقي؟“

نظر (إسلام) لـ(رقية) وسأل بحذر:

”هل أعرفه؟“

جلس (عماد) يكتب في غرفة تضم عددًا من المكاتب لأعضاء هيئة تدريس
قسم التاريخ. كان يجلس خلف مكتب (يسري) الذي جلس بعيدًا عنه
أمام مكتب أحد أساتذة القسم يتحدث معه بخصوص إحدى
مشاكل القسم.

منذ قليل طلب دكتور (محمود) من (يسري) أن يتابع مع (عماد) كل شيء
يخص الكلمات العربية التي طلب معرفتها، وخاصة أن الأول لا خبرة
له في هذه المنطقة التاريخية. بينما الثاني على معرفة بها.

نقل (عماد) على ورقة فارغة نفس الكلمات التي أراد معرفة معناها. ثم
رمى (يسري) منتظرًا أن ينهي حديثه. وعندما عاد (يسري) للجلوس
خلف مكتبه سأل (عماد):

”هل انتهيت؟“

سلمه (عماد) الورقة قائلاً:

”لرحمك أن تفيدك.“

رمقها بنمعن في حين قال (عماد):

- "لكن عندي سؤال".

لم يرفع (يسري) عينيه عن الورقة وابتسم وهو يقول:

- "تفضل".

- "قرأت في مزامير داوود للسحر منذ زمن. والرموز التي وجدتها بجانب كل

مزمور لم ألحظ تشابها بينها وبين تلك الكلمات".

- "يمكنني أن أوضح لك تلك النقطة لو أردت. لكن ليس قبل أن

تصارحي ببعض الحقيفة حتى يمكنني مساعدتك بصدق".

نهت وجه (عماد) لثوانٍ. وخاصة أن (يسري) لم يرفع عينه عن الورقة

حتى تلك اللحظة. مرت لحظات صمت حتى تكلم (يسري) بصوت

خافت وبنفس ابتسامته:

- "لو كانت تلك الكلمات من مخطوط عادي كنت ستحتفظ بنسخة من

المخطوط مصورة. أو حتى ستفهم من بقية المخطوط أي شيء عن

الكلمات.. فإما أنك تعرف بعض التفاصيل عن هذه الكلمات

وتحتفظ بها. أو أنك تبحث عن شيء معين غير (أصيف بن برخيا)

وتأمل بأن تصل له بطريقة غير مباشرة بدون أن يعرف أحد".

قال عبارته ورمقه بنفس ابتسامته.. في أول بضع ثوانٍ حاول (عماد) أن

يغير تعبير وجهه ليوحى بالثقة. لكنه شعر بحصار نفسي من كلمات

(يسري). تنحج وقال بطريقة حاول أن تكون واثقة:

- "ولو افترضنا أنني أبطن أكثر مما أظهر، هل لو علمت ما أكتفه ستصل لمعنى تلك الكلمات؟"

- "أعدك أنني سأفيدك أكثر مما تتخيل."

قالها (يسري) والجدية تغزو ملامحه عوضاً عن الابتسامة وهو يعتدل في مقعده وكأنه يتوقع سماع شيء هام من (عماد)، بينما تسارعت أنفاس هذا الأخير وهو يرمق الأرض كأنه حائر في شيء ما، فجأة نظره وقال:

- "لا أعرف أكثر من أن هذه الكلمات تتعلق بعفريت يدعى (لاقيس الإبلبيسي) وهو العفريت الذي كلم النبي (سليمان) عليه السلام ليأتي يعرش (بلقيس)، وهناك افتراض بأن هذا العفريت اختفى هو وقبيلته وينتظرون عودة (أصف بن برخيا) ليعطوا له أشياء لا أعرف ما هي. وتلك الكلمات بها مفتاح عودتهم ثانية."

تجمدت ملامح (يسري) للحظات ولم يصدر منه أي تعبير، حتى قال متسانلاً:

- "هل تتكلم بجدية؟"

- "أنت طلبت كل ما أعرفه وبغض الكلمات. يمكنك أن تصدق أو تعتبرها أسطورة. أو يمكنك أن..."

قاطعه (يسري) قائلاً:

- "ولم تريد هذا العفريت؟ هل تؤمن بتحضير الجان؟"

ابتسم (عماد) وقال:

"لنقل إنني مؤمن ومهتم بهذا الموضوع.. والآن هل ستساعدني؟"

"مأساعدك ولكن لأروي فضولي في البحث حول هذه الكلمات. لكن مسألة العفارت هذه ستؤجلها لوقت آخر."

أراح (عماد) ظهره لمسند مقعده وهو يقول:

"المهم أنك ستساعد بغض النظر عن السبب."

سعل (يسري) وهو يسرخي في مقعده ويخرج من جيبه علبة سجائره ويشعل واحدة قائلاً:

"تعرف بالطبع الكثير عن مزامير داوود في العهد القديم. كما أحبرني دكتور (محمود)".

أشار (عماد) برأسه علامة الموافقة. فأكمل (يسري):

"أنت تعرف أن مزامير داوود لم تكتب في وقت واحد. وإن كان أشهرها ما كُتِب في السبي البابلي في وقت الملك (نبوخذ نصر). وبعضها على حسب الروايات كُتِب قبل (سليمان) وبعضها بعده. المهم أن بعض الباحثين حدّدوا أن بعض اليهود كتبوا طلاسماً أثناء السبي البابلي وادّعوا قدرتهم على السحر ومعرفة الغيب وشفاء المرضى وإنزال البلاء بالناس. وقاموا بجمع المزامير وأضافوا عليها بعض الترانيم. وحدّدوا لكل مزموّر طلاسماً يُكتب. ومع كل طلاسّم بعض الحسابات

لوقت عمل السحر. هناك من جمع تلك الطلاسم مع المزامير نفسها
في كتاب كبعث".

قاطعه (عماد) قائلاً:

"تقصد الكتاب الذي صدر في التسعينات؟"

"بالضبط... وطالما أنك قرأته فدعني أخبرك أنه كان مجهودًا خرافيًا في
جمع تلك المزامير وطلاسمها. لكن للأسف الطلاسم نفسها ليست التي
كُتبت في الأسر البابلي".

لم يظهر أي تأثير للكلمات (يسري) على وجه (عماد) وكأنه ينتظر أن يتأكد
من المفاجأة أولاً قبل أن يتفاجأ:

"قارن بين الطلاسم المنتشرة بين أيدي الباحثين والمترجمين الذين تكلموا
عن مزامير النبي داوود وبين أي طلسم ذكر في كتب السحر التراثية
الشعبية الخاصة بالعصور الوسطى في المنطقة الشرقية، ستجدها
مطابقة لها، المشكلة الوحيدة أن المترجمين في تلك العصور اعتمدوا
على نسخ مختلفة حوت بعض الطلاسم المستخدمة في ذلك العصر
سريها بعض الغامضات ليحفظوا بأصلها لأسباب خاصة بهم".

"أي أسباب؟"

"اعتقادهم بصحتها بالطبع.. وحتى لو لم يعتقد بعضهم بذلك، فلا تلتن
عشق العاخامات القدامى لحفظ الأسرار بين خاصتهم وإظهار الفئات
للناس لتظل السلطة الدينية بهم متوارثة أبد الدهر".

سحب (يسري) بضعة أنفاس من السيجارة وهو يبحث عن المطفأ فلم
يجدها. نادى على الأستاذ الذي كان يتحدث إليه منذ قليل وطلب
مطفأته الموضوعة على مكتبه. اعتدل (عماد) في جلسته وقد بدأ
يشعر بالملل من قلة المعلومات.

"المهم أن أحد القساوسة المصريين استطاع الحصول على نسخة
خاصة من أحد الحاخامات المتحولين للمسيحية، وقام أحد الرهبان
بترجمتها للغة القبطية. اسم الراهب على ما أتذكر هو (سمعان). هذا
الراهب قام بترجمة ذكية لطلاسم المزامير"

"ترجمة ذكية!؟"

"لا يوجد مثل هذا المصطلح علمياً. لكنني أطلقته على المترجم الذي
احتفظ بأصل ترجمته. وهذا ما فعله (سمعان): لقد احتفظ إلى
جانب ترجمة المزامير والطلاسم بالنسخة الأصلية للكتاب التي كتبت
باللغة العبرية القديمة. وفي أول القرن العشرين سلمت الكنيسة
بعض ترجماتها الخاصة لدار الوثائق كما نسميها اليوم. وكانت
النسخة الأصلية وترجمتها من ضمن الكتب المسلمة. أخذت الكتب
رفناً وظلت في المخازن فترة طويلة حتى استطعت الوصول لها منذ
سنوات طويلة وأخذت صوراً ضوئية لدراستها منذ فترة طويلة".

"جيد جداً".

"المفاجأة السينة في الأمر هي أن (سمعان) قطع أشرطة في المزامير من
النسخة الأصلية. والتي تحتوي على المزمور 151. ولم يترجمها.
والسبب غير معروف".

"لكن ترجمات المزامير الكاملة منشورة في كل العالم".

انطفاً (يسري) السجارة وهو يقول:

"لا ننس أنني لا أنكلم عن ترجمة نعن المزامير. أنا أنكلم عن السحر والظلام الخاصة بها".

"وهل هناك سبب واضح أو صريح لحذفه المزمور الأخير؟"

"لا.. وهذا ما حيرني فترة.. إلا أنني فكرت في أنه كان يؤمن بأن آخر مزمور هو الأقوى كما يقول التراث اليهودي".

"وهل ل(أصف بن برخيا) علاقة بذلك؟"

"(أصف بن برخيا) كان على عهد النبي (سليمان). وكما أمن الشيعة بصلة قرابته بسليمان. أمن اليهود بذلك. وأمنوا أيضاً باستعماله لتراث (داوود) في السيطرة على الجان، والمزمور الأخير هو ما يعتقدون بأنه استعمله".

"لكن اليهود لم يؤمنوا بالمزمور الأخير في بعض..."

قاطعه (يسري) قائلاً:

"هذا هو المشهور عنهم. لكن الحقيقة أن طوائف كثيرة منهم كانت ومازالت مؤمنة بهذا المزمور".

"والحل؟"

"الحل أن تتركبي الليلة وسأحاول التوصل لأي خيط... لكن لا أعدك".

”سأترك لك هاتفي إن احتجت له“.

أسك (عماد) بورقة فارغة وخط بها رقم هاتفه. فقال (يسري):

”هل ظل هناك شيء، ما تخبرني به ليفيدني في بحثي؟“

توقف (عماد) عن الكتابة لتواين وأخذ يفكر. ثم أكمل الكتابة وهو يقول:

”لا يوجد شيء، معين“.

”وموضوع العفاريث؟“

”أنت قلت إننا سنؤجله لوقت آخر“.

”هل تعرف يا سيد (عماد) أن أحد تلامذتي طلب استشارتي في موضوع يتعلق بهذا التراث. والغريبة أن هذا الطالب هو وصديقه لم يحضرا لي أي محاضرة منذ أن تكلمنا عن هذا الموضوع. أعتقد أنهما كانا يستفسران عن شيء ما يدعى (مخطوطة ابن إسحاق).. لا أعرف سر اهتمام الناس هذه الأيام بتلك الأمور“.

”هل هناك شيء آخر بخلاف مشكلة هذا المسجون؟“

قالها مأمور قسم روض الفرج وهو ينظر بنصف عين لأوراق محضر اختفاء. فهض الرائد من على المكتب وهو يلتمس بعض الأوراق ويقول:

"هناك فتي جاء منذ الصباح الباكر طالبًا لقاءك".

"من هذا؟"

قالت المأمور بعدم اهتمام. فضحك الرائد وهو يقول بسخرية:

"نسأل عليه منذ الصباح. يتحدث عن الجن والعفاريت و..."

"ماذا؟"

قالت المأمور باهتمام شديد. فتوقف الرائد عن الضحك وهو يقول له:

"يقول إنه كان مع سيادتك في مشرحة زينهم منذ يومين تقريبًا".

"أحضره لي فورًا".

"لا تخف من شيء يا (إسلام). أنا كنت صديقك".

قالت (حازم) وهو يجلس على مقعد بجانب (إسلام) الذي جلس ملتصقًا
ب(رقية) التي لم يبذ عليها أن تضايقت. وكأنها تدرك حسن نيته.

نظر (إسلام) لها مفسانلاً فهزت رأسها بالموافقة.

"صديقي من الطفولة؟"

سأل (إسلام) يهدوء.

"في الحقيقة منذ أيام فقط. قل لي ما الذي تذكره عن مخطوطة ابن
إسحاق؟"

مز كتفيه بمعنى عدم الفهم. فانسعت عيننا (حازم) رعبًا حتى قالت
(رقبة):

"لقد نسي الكثير من التفاصيل الخاصة بحياته. وحتى تلك الخاصة
بدخوله المستشفى وخروجه منها".

"لكنه يتذكرك!".

قالها (حازم) بشك.

"ولا أعرف السبب. عائلته اطمأنت لي عندما وجدوا أنه لم ينس
وجودي. برغم أنه لا يتذكر متى عرفني".

"والقرين؟"

"تقصد شبيري الذي يزورني؟"

"تتذكركم مرة رأيته؟"

"لا.. لكني أعرف أنه زارني كثيرًا".

نظر للأعلى متذكرًا. ثم قال بسرعة:

"عندما نهضت من نومي اليوم وجدته يقف أمامي بلا حركة. ظل هكذا
قليلاً ثم فتح باب الغرفة وخرج".

نهض (حازم) وهو يقول:

"دقيقة وسأحضر لكما الشاي".

تركهما ودخل للمطبخ ليحضر الشاي. وبينما يقوم بصبه في الأكواب أخذ يتمم ببضع كلمات بصوت خافت. سمع شهقة أنثوية من الصلاة. فحمل أكواب الشاي على الصينية وغادر المطبخ بهدوء.

في الصلاة وجد القرين يقف أمام (رقية) الجالسة بخوف وبجانها (إسلام). لحظة دخوله نظر له القرين نظرة بلا معنى وظل ثابتاً بلا حركة. نظر لصدر القرين فوجده ثابتاً. كان يريد أن يعرف هل القرين له حياة منفصلة ويعتمد على التنفس كأبي كانن حي ليتمكن قتله بتلك الطريقة أم لا.

اقترب منه فلم يتحرك.. مز بجانبه ووضع صينية الشاي على المنضدة. وجلس على المقعد وهو يقول:

”منذ متى جاء؟“

”بعد دخولك المطبخ بقليل، جاء من إحدى تلك الغرف.“

قالتها (رقية) وهي تشير لإحدى الغرف.

”تحدث معه يا (إسلام) واسأله عن سبب مجيئه.“

قالها (حازم) وهو لا يرفع عينيه عن القرين. فنظر (إسلام) لـ(رقية). التي أشارت برأسها موافقة.

”لماذا أتيت الآن.“

حرك القرين رأسه ونظر لـ(إسلام) قائلاً:

”حي بحمل سلاخا يقف بالقرب منك.“

قالها بصوت (إسلام) لكنه صوت لا يحمل أي مشاعر. ثم أشار بيده
لموضع عند باب الشقة. فابنسم (حازم) وهو يقول:

- "ولماذا لم تهاجم هذا الجني؟"

لم يتكلم القرنين وظلت عيناه على (إسلام) بلا أي حركة. فطلب (حازم)
من (إسلام) أن يسأله نفس السؤال. فكان رده:

- "لأنه لم يهاجمك".

هنا قال (حازم):

- "أنا من طلعت من هذا الجني أن يأتي".

نظر له القرنين وفجأة تحرك بسرعة خاطفة وأمسك برقبتة. فصرخت
(رقبة) في (إسلام) أن يوقفه. فلم يضع هذا الأخير الوقت وأمره
بالتوقف والابتعاد عن (حازم). عاد القرنين لوقفته الأولى. لكنه لم
يُحرك عينيه عن (حازم).

- "كيف أحضرت هذا الجني؟"

فالتها (رقبة) بعدم تصديق. فأجابها:

- "هو من خدمتي. لكي صرفتهم جميعًا منذ قليل وأحضرت هذا فقط
لأعرف ردة فعل القرنين.. في البداية لم يعرف أنني من أحضرت الجني.
لكن بمجرد علمه هاجمني كمصدر للخطر كما فعل سابقًا.. الآن أريد
أن أعرف ما الذي سيفعله إن هاجمه الجني في هينته الأصلية".

نظر (حازم) للركن الذي كان قد أشار له القرنين وقال:

”أنا لا أراك الآن.. لكن ارجع على هذا القرين“.

مرت فترة زمنية لم يتحرك فيها القرين، فطلب (حازم) من (إسلام) أن يسأله عما يحدث، فأجاب القرين:

”الجني يحاول قتلي“.

لمعت عينا (حازم) وهو يقول:

”ارجع على (إسلام)“.

هنا مذّ القرين يده اليمنى في الهواء بسرعة وفام بإغلاق قبضته على شيء ما، ظهرت في مكان قبضة القرين كتلة حمراء تشكلت لشكل فرد ذي لون أحمر يتغير للون الرمادي. والقرين يقبض على رقبته والقرود يمسك شيئاً مزخرفاً يشبه الخنجر، صرخ (حازم) في (إسلام) أن يأمره بترك الجني، لكن (إسلام) أخذته المداجاة وهو ينظر للقرود الذي يحاول الإفلات من يد القرين بلا فائدة. صرخ فيه (حازم) مرة ثانية وهو يتهض.

لكن (إسلام) نظره وقال بعصبية:

”لا تصرخ في هكذا“.

”قرينك سيقنله يا عبي“.

نظره (إسلام) بغضب أكثر.. فحاة ترك القرين القرود وهجم على (حازم) بكيل له لكمة أفقدته الوعي.

بمجرد دخول (حامد) على المأمور قال هذا الأخير:

"أنت الذي تعثرت عند دخولك علي في غرفة التشريح؟"

ننح (حامد) وهو يعدل من هندامه ويقول:

"لم أتعثر.. لقد كانت خدعة كبيرة. خطة خداع استراتيجي كي يمكنني أن..."

قاطعه المأمور بصراخه قائلاً:

"اجلس!"

جلس (حامد) أمامه وهو يئنح كل بضعة ثوانٍ بلا سبب.

"ما بالك؟ هل أطلب لك ينسوننا ليتوقف السعال؟"

"شكراً.. أنا فقط أشعر بصدمة لمقابلتك."

"تكلم. ما الذي أتى بك؟"

"خدمة.. أريد منك خدمة."

"آخر ما أتوقعه من هذا الموقف!"

قالها المأمور وهو يعدل محافظاً على وجهه الجامد. فسأله (حامد):

"ألن تطلب لي شيئاً أشربه؟"

رفع المأمور حاجبيه مندهشاً وهو يقول:

- "أنت مجنون؟"

- "لا".

خطط المأمور كثًا بكف وهو ينظر حوله ويتمتم بكلمات خافتة.

- "هل تقول شيئًا يا سيدي؟"

قالها (حامد) فردّ عليه المأمور بغضب:

- "تكلم يا هذا قبل أن ينفد صبري!"

أخرج (حامد) من جيبه ورقة وأعطاهما له وهو يقول:

- "هذا عنوان مجموعة عمارات بشيرا الخيمة. في إحدى تلك العمارات يقطن رجل له علاقة بالكهرباء".

ثم نظر بجانبه وقال:

- "اليس كذلك يا (رحيم)؟"

لطم (رحيم) وهو بصرح في أذن (حامد) قائلاً:

- "فضحتني!"

- "لا تغف يا (رحيم). سيادة المأمور منا وعلينا".

نظر المأمور بشك للموضوع الذي يحدثه (حامد) وسأل:

- "مع من نتحدث؟ جني؟!"

"(رحيم) حرك أي شيء لتثبت وجودك".

تحركت مطفأة تبغ على المكتب حركة بطيئة. فتراع المأمور في مقعده وهو يستعيد بالله من الشيطان. ثم نظر ل(حامد) وقد اختفت ملامحه الجامدة وهو يقول:

"في الحقيقة لم أتخيل أنك أيضًا تتعامل مع الجان مظهرك لا يوحي
بأكثر من شعام!"

"شكرًا.. لي خادم من الجان لكنه أقوى مما أبدوا أنا عليه".

"وطبعا ستهددني بحياة عائلتي مقابل تلك الخدمة".

"بالعكس.. أنا أعرف أنك تبحث عن إجابات. وسأعطيك الكثير مقابل
ما ستعطيني إياه"

"أين الفئاة المدعوة (حبيبة) التي اختفت يوم إصابة (إسلام)؟ أهلكها
تقدموا ببلاغ اختفاء أول أمس".

قالها ورفع أوراق المحضر الذي كان يمسكه منذ قليل. وأكمل:

"وما هذا الكائن الذي كنا نشرحه قبل أن تأتي ومن معك؟"

"سأجيبك لكن عدني أن تلي طلي أولًا".

قالها (حامد) بثبات وثقة يتناقضان مع شخصيته.

"قلت لي ماذا تريد؟"

"أريد المحدث بين سكان هذه العمان وعن شخص له علاقة بالكهرباء
كهربائي.. مهندس كهرباء.. شخص عمل بمجال الكهرباء منذ فترة".

ثم نظر (حامد) ل(رحيم) وقال:

"كلامي مصبوط يا (رحيم)؟"

رد عليه:

"قلت لك من قبل هي مجرد نظرية لا أتق بها. (سنان) تعرض لطاقة
أعلى من تحمل جسده، مثلما تعرض الرمز في الغرفة النحاسية
لطاقة أعلى من طاقة تشغيله، ربما مصادفة، لا أعرف".

"لا توجد مصادفات يا صديقي".

قالبها (حامد) ونظر للمأمور الذي قال:

"ما تقوله مستحيل. هذا الطاب خارج نطاق سلطتي".

"سندد، حلًا".

"لن أعدك قبل أن تخبرني بكل التفاصيل منذ البداية. وتجنب على كل
أسئلي".

"تفضل.. وكل ما أعرفه تحت أمرك".

توقفت العربة تصف النقل أمام بوابة المصنع وخلفها توقفت سيارة
(عمرو). وخرج منها ليرشد عاملين وقفوا في صندوقها الحلقي بجانب

القاعدة الحديدية وبعض القطع الأخرى. حانت منه الثغانة لسيارة
تقف بجانب الباب وعرف بسرعة أنها سيارة (طه).

في نفس اللحظة تقريبًا انفتح باب المصنع ببطء ل يظهر خلفه (طه) وهو
يشده. مرتديًا نفس البذلة التي شاهده بها أمس.

أشار (عمرو) للعاملين بأن ينقلوا كل شيء لداخل المصنع. وساعدهما مع
(طه) لإزالة القاعدة الحديدية وبقيّة الأشياء ووضعها في الداخل.

بعدما انتهوا حاسب (عمرو) العاملين. ثم انتبه لكثير من الأشياء داخل
المصنع. ألواح خشبية كبيرة مثبتة على الأرض. وأجهزة لم يميز بعضها
لكنه تأكد من صلتها بأعمال الكهرباء.

في أحد جوانب المصنع الفارغة وجد منضدة صغيرة امتلأت بأوراق
وملفات ضخمة وبجانبها ثلاثة مقاعد خشبية.

"هذا الصباح نقلت أشياء وأدواتي وقضيت بضع مهام ثم عدت
لأنتظرك."

قالها (طه) لما رأى نظرات (عمرو) المتفحصة للأدوات.

"إذن لم تنم منذ أمس؟"

"نمت ساعتين ظهرًا على هذه المنضدة."

"بيدو القلق في وجهك بجانب الإرهاق."

جلس الاثنان على مقعدين خشبيين. سحب (طه) من تحت المنضدة
حقيبة بلاستيكية أخرج منها علبة عصير. أعطى واحدة ل(عمرو)
وفتح الثانية ليشرّب منها.

- "هل يمكنك الآن إخباري بما نفعل؟"

قالها (عمرو) وهو يستمتع بشرّب العصير. فترك (طه) عبوته جانباً
واسرّخى في مقعده وقال:

- "بقي القليل لتعرف كل شيء. ولكن قل لي قبل كل شيء. هل تؤمن
بذكائي؟"

- "ماذا؟!"

- "لا تعتبر سؤالاً درناً من الغرور. لكن يهمني أن أعرف مدى ثقتك
بذكائي."

- "لم أشك بذكائك من قبل. ومنذ تعرفت عليك في إعدادي هندسة قلت
إنك عبقري. ولم أغبر رأبي من حينها."

- "لوقلت لك إنني توصلت لنظرية علمية وأنني قمت بعشرات التجارب
النمهيديّة في السنوات السابقة لإثباتها. هل ستصدقني؟"
- "نظرية علمية؟"

قالها (عمرو) بسخريّة تختلط بالدهشة مع ابتسامة صغيرة. فابتسم له
(طه) وهو يقول:

- "أعلم أن كلمة "نظرية علمية" كبيرة وتحتاج للكثير لتصديقها. لكن قلت لك إنني قمت بتجارب تمهيدية لإثباتها. واليوم التجربة الأولى الحثيثة والتي استأمنتك على حضورها والعمل فيها معي."

نظر (عمرو) لوجه (طه) يتفحصه بشك قبل أن يقول:

"هل تتكلم بجدية يا (طه)؟"

- "أتكلم بجدية وأسالك هل ستثق في؟"

تهيد (عمرو) وقال:

"أثق بك لكن ما..."

قاطعه (طه):

- "إذن هل تصدقني لو قلت لك إنني سأشرح لك كل شيء بعد أن ننتهي من كل التحضير للتجربة؟ كل ما أطلبه إلا نسألي في أي شيء حتى بدء التجربة. حينها ستعرف كل التفاصيل."

- "يمكنني أن أساعدك وأغادر إن أردت."

- "لا.. لا أثق بغيرك كملاحظ للتجربة."

- "أنا غير مؤهل للتجارب العلمية. خصوصاً تلك التي تتعلق بسجال الكهرباء. وفاندني لك لن تذكر."

كان (عمرو) يتكلم بملل بعدما شعر أن عليه السير على شروط وضعها (طه) كي يعرف ما يحدث.

هنا نهض (طه) من موضعه وهو يقول:

“هيا بنا إذن لتركب الآلة الجديدة وتكمل التحضيرات”.

“لكن تذكر أنني لا أحمل الآن أي فضول حقيقي لمعرفة التجربة”.

قالها وقام معه. أخذ (طه) معه ورفعتين من الأوراق على المنضدة. وذهبا إلى القاعدة الحديدية. تأكد (طه) أولاً من ثباتها. وتأكد من عزلها عن الأرض من الكهرباء. وأعطى التصميم ل(عمرو). حمل الماتور الذي أحضره (عمرو) من قبل وركبها في القاعدة بحرص وهما يثبتانه بقطع صغيرة داخلها. وأعلى الماتور قاسماً بتركيب التروس الحديدية وثبتا داخلها صارماً من الصلب توافقت مقاييسه مع التروس. كان (طه) قد أحضره صباحاً بعدما أوصى عليه أمس أحد أصدقائه. طلب (طه) من صديقه أن يجلس هو ريثما ينتهي من توصيلاته الكهربائية. فنقذ (عمرو) طلبه بمرود وجلس بشاهدة وهو يأخذ القواعد الخشبية ويحيط بها القاعدة الحديدية. ويقوم بعمل عدة توصيلات لجهاز آخر يتحكم في شدة التيار الكهربائي.

ثم أوصل الماتور بنفس الجهاز.

“ما فائدة تلك الألواح الخشبية؟”

قالها (عمرو) بعدما عاد القضيول لداخله مرة أخرى. فابتسم (طه) دون أن ينظر إليه وهو يقول:

“الألواح تحتوي على أسلاك نحاسية تصنع مجال كهرومغناطيسي قوي”.

انعتقد حاجبا (عمرو) وشعر أن الموضوع ليس هيناً كما نخل

انتهى (طه) ونظر لـ (عمرو) قائلاً:

"ستجد زجاجة مياة تحت المنضدة. صب لي قليلاً منها".

قالها وهو يقرب كفيه المنسختين من (عمرو) الذي وجد الزجاجاة وأخا
يصب له بعضاً منها.. أخرج (طه) مندبلاً ورقياً من حيب بدلته وجفد
كفيه وهو يقول:

"استعد للجزء الأكثر جثوناً يا صديقي"

فتح الكبس الأسود وأخرج زجاجة تشبه زجاجات الدواء مليئة بسائل
أحمر وقلم حبر من الذي يتم ملؤه يدوياً. وضعهما على المنضدة
وبحث بين الأوراق حتى أخرج ورقة فلئت بالطلاسم.

خلع حذاءه وجوربيه ورفع قدمه اليمنى على المقعد. ثم ملأ القلم
بالسائل الأحمر الموضوع في الزجاجاة.

"هل ستضع مونوكير الآن على أظافرك؟"

لم يعره (طه) انتباهاً وهو ينقل على قدمه تلك الطلاسم بدقة شديدة..
انتهى من إحدى قدميه وفعل مع الأخرى المثل.

"(طه).. ما علاقة هذا بتجربتك؟ هل جفنت؟!"

"لا.. لم أجن. وانفقنا أنني لن أتكلم الا قبل اليد، في النحرية".

انتهى من قدمه اليسرى وجلس على المقعد وهو ينقل طلاسماً أخرى على ظهر يده اليمنى محاولاً ألا يتركها ترتعش. ثم فعل المثل مع اليسرى وضع بعدها القلم وهو يمسح بباطن يده حبات العرق المتكونة على جبينه ورقبته ويقول:

"قل لي هل تتذكر آخر مرة شربت فيها الحشيش؟"

"من مدة طويلة.. لم تسأل؟"

أخرج من جيب بدلقه شريط دواء تناول منه حبة ابتلعها بقليل من الماء.

"ما هذا يا (طله)؟"

"مضاد للقيء.. أخذه احتياطياً. ولا تخف لن نحتاجه."

ثم أخرج شريطاً آخر وابتلع منه قرصاً.

"وهذا؟"

"ترامادول."

اتسعت عيننا (عمرو) رعينا وقال:

"هل أدمنت هذا الشيء؟"

"أول مرة أنأوله فيها."

"ولم نأوله؟"

"لأنحمل الألم."

قالها وأخرج من أحد جيوبه بضع سجائر حشيش ملفوفة. أعطى
(عمرو) واحدة وهو يقول ضاحكاً:

”مساء الفل!“

أخذها (عمرو) قائلاً:

”أشعر أنك تُعد لي مقلبًا ما.. ترسم طلاس على جسدك وتتناول
ترامادول وتشرب حشيش. لم أعهدك تتناوله مثلي.“

”هذه هي المرة الأولى لي. حتى إنني ذهبت إلى أحد أصدقائي القدامى
ليلف لي تلك السجائر بعد خلطها بالحشيش.“

”وما مناسبة شربه الآن؟“

أشعل (طه) سيجارة واستنشق نفساً وقال:

”أريد شيئاً يلغي إحساس القلق بالنسبة لي. شيء بصيدني يهبط في
الضغط فترة النجربة.“

”والترامادول؟ لقد تناولت منه قرصاً كاملاً، لو كانت هذه هي أول مرة
لك فهذه مصيبة!“

”لا تهتم بهذه التفاصيل. أشعل سيجارتك واستمتع باللحظة.“

أشعل (عمرو) السيجارة وهو يضحك قائلاً:

”لا أعرف لم أطاوعك فيما يحدث.. أعتقد أنه لا فارق عندي!“

استنشق (طه) أنفاس السيجارة وهو يقول:

"هل تعرف أن الكهرباء هي سر الحياة؟"

"أرجوك لا تقل لي إنك (اتسطلت) وبدأت في الهذيان!"

هز (طه) رأسه نفيًا بقوة وقال:

"لا.. أنتكم بجديفة. المخ يرسل الإشارات الكهربائية لأعضائك ويستقبل الإشارات الكهربائية من المدخلات. ومع ذلك فالمخ ليس هو مصدر الكهرباء.. هو فقط منفذ لأوامرك أنت."

"أنا؟"

"أنت أقصد بها روحك. روحك هي المصدر العظيم للكهرباء. المفاعل النووي العبقري. الطاقة التي لا تفتى ولا تستحدث من عدم."

"أخبرني بكل ما في ذهنك."

ابتسم (طه) وقال:

"أنت تعرف أنني بكامل وعيي. وأن ما أقوله هو الحقيقة. الكهرباء والطاقة حولنا في كل شيء.. حتى الجمادات لها حالات من الطاقة. لو كتبت على ورقة بضع كلمات. سيصبح لها ترددًا مختلفًا عما كان قبل الكتابة. أنت تعيش في عالم من الكهرباء ومع ذلك توقفت الأبحاث حولها منذ عشرات السنين."

"هذا الحشيش والع!"

"في بداية اكتشاف الكهرباء عكف الجميع على دراستها ووضعوا العيالات لما يمكن أن يصلوا إليه لو استغلوا تلك الطاقة الغربية."

لكن بعد الحرب العالمية الثانية اهتموا بأبحاث كالدبزر والتكوين الذري وأهملوا التطوير حول أبحاث الكهرباء. ولم يأتوا بجديد.

"الله عليكم!"

"هل تعرف أن (أينشتاين) استخدم الكهرباء في إحدى إثنائه حول نظرية النسبية؟"

صمت وهو يستنشق بضعة أنفاس من السجارة. ثم ألقاها وهو يقول:

"حان وقت آخر مرحلة لبدء التجربة."

"(ترامادول) وحشيش. هل تخفي راقصة في حيب بذلتك لتبدأ بعدها التحرية؟"

"كيف عرفت؟"

شيق (عمرو) انبهازا وهو يرمي السجارة:

"هل معك راقصة فعلاً؟"

فتح (طه) أحد الملفات الموضوعه أمامه على المنضدة وأخرج ورقة مطبوعة لجسد إنسان وعليها تشرح الأعصاب والأوتار والعظام بالكامل، وعلى بعض أجزاء الجسد رسم بشلم حبر أزرق بعض العلامات وكتب بعض الملاحظات بخط يده.

خلع (طه) جاكيت البدلة والكرافت والقميص والسروال ونقل بقطعة نستر عورته.

- والله العظيم انسلت!

قالها (عمرو) وهو يضحك. بينما ذهب (طه) لركن في المصنع يضع به ادواته وبضعة أمتار من الأسلاك. وانفض لفة أسلاك نحاسية رقيقة من التي تُستخدم داخل أسلاك الكهرياء وتسمى أسلاك الشعر.

- ارتدي ملابسك يا (طه) وكفناك جنونًا!

مثل (عمرو) يضحك وهو يشير بإصبعه ناحية (طه). الذي ابتسم بطرف فسه وهو يفك ربطة الأسلاك ويخرج من الكيس البلاستيكي ساعته الخاصة التي صنعها من النورسلين وقاطعة أسلاك صغيرة.

- اتعلنا يا (عمرو) على أنك لن تسأل عن أي شيء إلا قبل التجربة. شاهد ولا تعترض.

قالها وهو يدقق في الصورة التي أمامه. ويقطع السلك النحاسي لقطع كل منها متر واحد فقط. بينما (عمرو) يشاهده بعدم فهم. فجأة أمسك بإحدى قطع السلك وأدخل طرفها في جلد معصمه كأنها إبرة خياطة.. برزت نقطة من دمانه فصرخ (عمرو) فيه:

- ماذا تفعل يا مجنون؟!

قالها وجرى يمسك بمعصمه. فدفعه (طه) برفق وهو يقول بعصبية:

- اهدأ. لقد بدأت ولن أتوقف.

- لئلا أتركك تفعل هذا يا غبي!

قالها (عمرو) وهو يمسك يد (طه) محاولاً إيقافه. فدفعه هذا الأخير بقوة تلك المرة وصرخ فيه قائلاً:

”ثق في هذه المرة.. اعتبرها الأخيرة. لن أتراجع عما أفعله!“

جلس (عمرو) على المقعد متسع العيدين وهو يشاهد (طه) يلف طرف السلك على ساعده. ثم ينظر للصورة ويعرس طرف السلك بجانب كوعه وهو يجزئ على أسنانه.

فعل بيده الأخرى المثل. ثم أخذ قطعة سلك جديدة وغرس طرفها في بقية ذراعه اليسرى. وسحبها حتى لفتها وأوصلها لإبطه وهو يغرسها بدقة.. برغم تدفق قطرات من الدماء من مواضع العرس إلا أنه أكمل وهو يتحمل الألم. منسانلاً في نفسه عن مقدار الألم الذي كان سيشعره لو لم يتناول قرص الترامادول.

”أقسم بالله إنك جننت.“

قالها (عمرو) كأنه بثبت موقفاً لا أكثر بينما هو جالس يرافقه.

لف (طه) جسده بالكامل بتلك الطريقة. صدره وخصره وفخذه وقدميه. ثم قام بتوصيل تلك الأسلاك بعضها ببعض وهو يثني أطرافها عند التوصيل.

بقعة من الدماء تجمعت عند قدميه من خلال خيوط الدماء التي رُسمت على جسده العاري. أمسك بأطراف الأسلاك وأوصلها ببعضها جميعاً ثم أمسك ساعته وملاً زنيكرها وضبطها على الساعة الثانية عشرة.

وأخذ سلكا نحاسيا قطع منه نصف متر، ثم وضع الساعة بعد فتح غطائها في كف يده اليسرى وقام بلف السلك حولها ليثبتها في يده.

ابتسم ل(عمرو) وهو يخرج حزامين متقاطعين من الكيس البلاستيكي الذي لم يبق داخله شيء، ثم سار بخطوات منهكة وألم الأسلاك المعروسة بجسده بحرق أعصابه، حتى وصل إلى الأجهزة المتصلة بالقاعدة الحديدية. ضغط على بضعة أزرار فسمع (عمرو) صوت أزيز بسيط.

"بعد عشرين ثانية سيعمل الجهاز. لقد زودت المولد بمؤقت سيفصل الكهرباء بعد 15 دقيقة أتوماتيكيا، فلا تقلق."

قالها (طه) وهو ينظر ل(عمرو) وابتسم بإرهاق، ثم سار حتى وصل للقاعدة الحديدية وهو يقول بدون أن ينظر خلفه:

"وعدتك أن أفسدك ما يحدث، ومازلت عند وعدي، في أحد الملفات على المنضدة ستجد ظرفا بني اللون، افتحه وستعرف كل شيء، هنا افنحه."

بحث (عمرو) بسرعة بين الملفات حتى أخرج الظرف، نظر ل(طه) بقول شيئا لكنه فوجئ به يقف فوق الموتور وسط للقاعدة الحديدية وهو ثبتت نفسه في الصاري الحديدي بالحزام، حاول (عمرو) الاقتراب، لكن (طه) أشار إليه بالتوقف وهو يقول:

"لا تقرب، فالآن حيداً المجال الكهرومغناطيسي، لا تخف علي يا صديقي، لننفي فرينا إن كان في عمري بقية."

ارتفع الأزر أكثر. وفجأة دار الموتور بسرعة و(طه) يدور معه. في نفس الوقت ظهر ما يشبه خيوط البرق تتصل بين الألواح الخشبية وتسر بجسد (طه) الذي يدور بسرعة شديدة.

مزق (عمرو) جزءاً من النلرف وهو يخرج ما به سرعة. وحد بضعة أوراق. أول ورقة مليئة بحسابات كثيرة شعر أنه ليس لديه المال الرانق لقراءتها.

الورقة الثانية حملت رسماً تفصيلياً للقاعدة والموتور والصارى وداخلها رسم لإنسان. أما الورقة الثالثة فكتبت بخط اليد

"تجربة رقم 46:

نوع التجربة: تكوين مجال كهرومغناطيسي متزايد بشكل تدريجي يمر بجسد المتطوع للتجربة بعد غرس أسلاك النحاس كما هو موضح في الصور التعريفية لصنع دائرة مغلقة. ووضع جسده على موتور بسرعة كافية ليصبح المجال كافياً ليمر داخل الأسلاك النحاسية.

مسار التجربة: يتصل الجهاز المستخدم بدائرة كنترول ومؤقت. عندما يتولد المجال الكهرومغناطيسي يصبح جسد المتطوع موصل جيد للمجال بعد أن تثبتت الأسلاك بجسده. ثم يتولد داخل الأسلاك النحاسية في جسد المتطوع مجال كهربي جديد بعد فترة من الشحن.

فترة شحن الأسلاك: تُفزع الطاقة من الأسلاك بعد 3 ساعات و7 دقائق و45 ثانية.

هدف التجربة: التأثير على ذرات المنطوع عن طريق المجال الكهرومغناطيسي لنقله لبعده آخر، وتحويل سرعة ذرات جسده لنفس سرعة ذرات جسد الجان، أي نقل المنطوع لعالم الجان لفترة 3 ساعات و 7 دقائق و 45 ثانية، بعدما ينهي المجال الكهربائي من الأسلاك ومن جسد المنطوع.

توقع لأضرار التجربة:

- 1 - يحرق المنطوع قبل الانتقال.
 - 2 - هلاوس سمعية وبصرية بعد الانتقال.
 - 3 - بعد تفرغ الأسلاك النحاسية لا يعود جسد المنطوع لعالم البشر كما كان (خطر التشويه)
 - 4 - توقف القلب بعد الانتقال.
- رفع (عمرو) عينيه المتسعة ضلعًا من على الورق وهو ينظر ل(طه)، شهِق عندما فوجئ بشيء يشبه الضباب يدور حول القاعدة الحديدية، فجأة اختفى جسد (طه) وانفثع الضباب.
- نظر (عمرو) للورق غير مصدق، فوجد عبارة كُتبت بخط صغير في آخر الورقة التي كان يقرأها:

"ملحوظة: لو تم انتقال المنطوع لعالم الجان، فال 3 ساعات و 7 دقائق و 45 ثانية يتم حسابها بتوقيت عالم الجان لا عالم البشر".

الفصل السابع

الطلسم

- "أعرف أنك تتعذب منذ أمس".

قالها (مهران) وهو يضع في فمه كسرة خبز بطريقة تُظهر عدم اهتمامه بالطعام. فابتسم له (يونس) بوداً قائلاً بالفارسية:

- "لم يا بني؟"

في تلك اللحظة جاءت (مروى) بطبق لحم لتضعه على الطويلة الصغيرة. دعاها أبوها لتجلس بجانبه حتى تاكل معها. جلست على استحياء وهي تختطف نظرات قليلة لـ(مهران) بين الحين والآخر.

- "منذ أن حملني الناس من بيتك وطاقوا بي ثم أعادوني وهم لا يتركون ساعة إلا ويأتي أحدهم ليطرق بابك".

- "ليقبلوا يدك ويتركوا بك".

ظهر الخجل جلياً على وجه (مهران) وهو يتوقف عن الأكل. فقالت (مروى):

- "لماذا توقفت يا (مهران)؟ أكمل طعامك".

نظر لعينها وهو يقول بلغة عربية:

- "شبعت.. شكراً لك".

ابتسمت (مروى) قائلة:

- "تحدثت العربية، لماذا إذن تتحدث مع أبي بالفارسية دائماً وتركي
أشعر بالغباء كل هذا الوقت؟"

ابتسم لها وهو يقول بلغة عربية ثقيلة النبرات:

"أعرف الكثير من العربية من القرآن.. أسف لم أفهم كل ما قلت".

"مرحي يا (مهران). أراك تبسم مثلنا".

فألها (يونس) بالفارسية. فنظر له (مهران) واختفت الابتسامة وهو يقول بالفارسية:

"أنا مثل كل الناس. لكنهم لا يروني كذلك".

ذلت (مروى) تنظر له حتى انتبه لها (يونس). فتنحى وهو يطلب منها تناول الطعام. كانت تضع اللقمة وهي تغلس النظرات لـ (مهران) بلا قصد. أما (يونس) فقال بالفارسية:

"الناس تراك مباركا. فلم ترفض ذلك؟"

"لأنني لست كما يظنون".

"وهل عندك تفسير لنومك في القبر طوال السنوات السابقة؟"

"أي تفسير لا يعتمد على تقديس الناس لي".

"أنت غريب بحق يا (مهران)".

"غريب؟"

"ترفض ما يتمناه غيرك. الجاه والسلطة الروحية في بلدك. غيرك يدفع الكثير ليحصل عليها".

ابتعد (مهبران) قليلاً عن الطليبة وظل في وضع الجلوس وهو يقول:

”لو كنت مبروكًا أو وليًا أو إمامًا لعرفت. الناس هي من رسمت إطارًا وتريدني داخله. ولن أقبل بهذا ولو كان المقابل حياتي“.

”وما الذي نويته يا بني؟“

رمى (مهبران) الأرض متكسرًا. جاء صوت طرقات الباب فهض بسرعة وهو يقول لـ(يونس):

”اتركي أنا لأطرد من سيأتي“.

جرى ناحية الباب بغضب وفتحته وهو يتخيل ما الذي يمكنه فعله بالقدام.

بمجرد أن فتح الباب تراجع للوراء مصدومًا لوهلة. كان يرى رجلًا لكنه يختلف عن أي رجل قابله منذ أن عاد من القبر.

لا يختلف في الشكل ربما. لكنه يختلف في الهالة التي تحيط به. لقد تعود أن يرى هالة حمراء اللون تشبه الخيال تحيط بالناس. لكن هذه المرة وجد ألوانًا مختلفة تحيط به.

الصدمة لم تصبه فقط من هذه الألوان. لكن من الجان المحيطين بالرجل. لقد ميزهم بسهولة لأنه تعود منذ أمس على رؤيتهم يتحركون في منزل (يونس) والشوارع التي طاف به الناس فيها. لكنه لأول مرة يرى الجان يقضون بجانب رجل. ويحملون سيوفًا رفيعة صغيرة في حجم الخناجر.

"سمعت بالرجل العائد من الموت فجئت من بلدي القريبة لأراه. أنت هو. أليس كذلك؟"

قالها الرجل وهو يتقدم لداخل المنزل والجن المحيطون به يتحركون بسرعة. أحدهم - وكان أضخمهم - جرى تجاه (مروى) ووقف بجانبها. وآخر وقف بجانب (بولس). أما البقية فاننشروا في الصلاة وملاوها في أقل من ثانية.

تراجع (مهران) خطوات قليلة وعيناه تتأمل حركة الجان بينما الرجل يقول وهو يقترب منه:

"أرى أيضاً أنك ترى رجالي من الجان.. شيء مثير حقاً. قل لي يا فتى، ما حكايتك وكيف استطعت البقاء في القبر؟"

توقف الرجل أمام (مهران) تماماً. ثم فجأة أمسك رقبته بيد واحد وهو يصرخك ويقول:

"تكلم أيها الطفل أم أجعل رجالي يجبرونك على ذلك؟"

صدرت حشجة اختناق من فم (مهران). فصرخت (مروى).

"أسكتها يا (خورشيد)".

قالها الرجل فمد الجني الضخم يده وقرنها من رأس (مروى). انتفضت فجأة ووقعت مغشياً عليها. أسرع (بولس) إليها محاولاً إعادتها بلهفة.

نظر (مهران) -الذي كان يختنق- بعطف عينيه لـ(مروى) فاقدة الوعي ثم للرجل القابض على رقبته.

حرك يده اليمنى ملوفاً بها بيأس فرأى ما جذب انتباهه. عندما لوح
بيده لامست كفه بعض الخيوط الملونة المنبعثة من رأس الرجل.
شعر بشعور لم يشمه لحظتها. لو عاش كان يعيش في هذا العصر
لفهم أنه شعور الكهرباء الاستاتيكية التي تداعب اليد

حرك (مهران) يده حول رأس الرجل بدون ملامستها فتقطعت كل
الخيوط. تركه الرجل وهو ينظر حوله مفزوعاً. رمق (مهران) قائلاً
بغضب:

”أين رجالي؟“

أخذ (مهران) نفساً عميقاً وهو يقول بصعوبة:

”رجالك مازالوا حولك.“

فرد (مهران) ظهره ودفع الرجل بقوة بيديه. فطار الرجل مسافة غير
طبيعية تخطت الأمتار الثلاثة. ثم وقع أمام باب المنزل.

أخذ الجان جميعهم ينظرون في أركان المنزل باحثين عن سيدهم. فمد
(مهران) يده لأقرب الجان الواقفين فاخرقت جسده. رمقه الجني
بدهشة.

لم يعرف (مهران) السبب وراء ما فعله. لكنه أغلق قبضة يده وهي داخل
الجنبي. فوقع الأخير على الأرض ميتاً من فوره. رمق كل الجان (مهران)
بفرع. وتقدم أحدهم منه ففعل به (مهران) ما فعله بالآخر. لكن
بشكل أسرع هذه المرة.

تراجع الجان جميعاً واختفوا فجأة من المنزل.

بينما اتجه (مهران) للرجل الذي كان يمسك صدره متوجعاً وهو مازال ملقى على الأرض. توقف بجانب رأسه. فسأله الرجل متوجعاً:

”كيف فصلت خدامي عني؟ من أنت؟“

”لم أعرف بعد من أنا، لكن كل ما أعرفه أنك أضعف من أن تقف أمامي.“

فألها وأمسك بملابسه يرفعه منها كأنه يرفع طقلاً في المهد. والعجيب أن مهران لم يشعر بمشكلة في رفعه بهذه السهولة. فذفه بعيداً فطار الرجل بضعة أمتار قبل أن يصطدم بحائط المنزل المقابل.

انقبه (مهران) لـ(يونس) الذي مازال يحاول إيقاف (مروى) دون جدوى.

رأى حول رأسها نقطة ملونة تختلف عن بقية الهالة المحيطة بها. اقترب منها ووضع يده بالقرب من رأسها عند تلك النقطة ولمسها.. خرج شرر كهربائي من يده حول لون النقطة إلى نفس اللون المحيط بـ(مروى).. فتحت تلك الأخيرة عينها وهي تشهق بفزع وتنظر حولها. احتضنها والدها ودمعة تتساقط من عينيه خوفاً عليها. هنا قال (مهران):

”سألتني ما الذي نويت فعله. الآن عرفت. سأبتعد عنكما كي لا تطالكم مشاكل.“

رفقه (يونس) وقال بعد أن تما لك نفسه:

سنعود أنا وابنتي غداً للمحروسة. إن أردت المغادرة معنا فسيكون
مرحب بك".

في رحلتهم إلى مصر تعلم الكثير من العربية واللهجة المصرية على يد
(مروى) و(بونس). دخلوا القاهرة من باب اللوق. فوجدوا المحروسة
قد تزينت لانتصار (محمد بك أبو الذهب) في دمشق على جيش الدولة
العثمانية.

كان (بونس) يتقدم القافلة و(مهرا) يحتل مؤخرتها. وبعد أن قام الأول
بإناخة جمال القافلة يساعده الأخير والجمالون. لكن (مهرا) فرسه
ليصل بسرعة لهودج (مروى). أناخ الحمل فضحت (مروى) فتحة
الهودج وابنتها له. فقال بلغة عربية:

"سأذهب الآن لأطلب من الشيخ (بونس) شيئاً عزيزاً. ادع لي أن يقبل".

قال عبارته وسار بفرسه وهو ينظر بين الحين والآخر لهودج (مروى). التي
كانت تظل برأسها منه. وعندما وصل ل(بونس) وحده برشد الجمالين
بعدما نزل عن فرسه. نزل (مهرا) هو الآخر واقترب منه حتى أصبح
على مسافة كافية ليقول بتهذيب:

"شيخ (بونس). عاملني كابن لك منذ كنا سلمي. وتحملت الأذى الذي
أتى من ناحيتي. ولكي مارلت أدمع في طلب ما. أريد الزواج بابنتك".

لم يحبه (يونس) وكأنه لم يسمعه: وهو يشير للجمالين بتركيز. صدم
(مهران) من ردة فعله، فنظر للأرض بخجل وهو يجهز كلمات الاعتذار
لكن (يونس) قال فجأة دون أن ينظر إليه:

"مهر ابنتي أن تعمل معي وتحمل عبء تجارتي".

ثم نظر له وابتسم وهو يحتضنه.

"سأعيش لأجلك ما بقي لي من عمر يا شيخ (يونس)".

"يكفي أن تعيش لابنتي. ولا نقل لي يا (شيخ) مرة ثانية. نادني أبي".

نظر (مهران) ل(مروى) وابتسم لها والفرحة تطل من عينيه لأول مرة منذ
ميلاده.

انتهى من قراءة الكلمات وأعطى ظهره لتلك الدائرة الممتلئة بالرموز التي
رسمها منذ قليل. ظل الشاب مغمض العينين وهو يرتجف، ومن
خلفه تحرك ذلك الكائن الغريب وهو ينحني ناحية.

كان الكائن متوسط الطول لا يرتدي شيئاً تقريباً، ولكن الغريب أن جلده
كان معطر بالكامل بالشعيرات الطويلة، وفي أعلى رأسه وبين
الشعيرات قرنان صغيران يخرجان منه.

أما الشاب فيرتدي ملابس عربية بعض الشيء، لا تمت لهذا العصر.

ملاحه غريبة، تعطبك الطباغا أنها ليست ملامح عربية، ربما كانت في وجهه لمحة من الوسامة لا تخشى، بالرغم من حدة وجهه والتصاق حاجبيه.

كان في غرفة خالية تماما وهناك شمعة صغيرة بجانبه على الأرض مغمض العينين وقد أعطى ظهره للكانن.

الحوار يجري بينهما بلغة غريبة تشبه العربية، إنها الفارسية.

"ماذا تريد أيها الطفل؟"

انطلقت العبارة من الكائن، انطلقت بنبرات خافتة جعلت الخوف يسري في جسد الشاب الذي ردّ بنبرات مرتعشة:

"أريد القوة، القوة المطلقة والأمان باقي حياتي."

اقرب الكائن من الشاب أكثر حتى أصبح على مسافة سنتيمترات منه، ثم مال برأسه على أذنه وقال:

"إذا أردت القوة سنعطيك بعضها، ولكن إذا أردت السيطرة فيجب عليك تقديم قرابين من البشر."

قال الشاب وهو يرتجف:

"أوافق."

فقال الكائن:

"إذن أدر وجهك لي ولا تفتح عينيك، ونفذ كل ما أقوله لك"

أدار الشاب وجهه نحو الكائن. فإذا به (مهران).. ابتسم وهو يفتح عينيه
فزع الكائن وهو يهتف:

"أنت؟"

أمسكه (مهران) من رقبته وهو يقول:

"كيف حالك يا (خورشيد)؟"

"كيف فمت بنحضريري؟"

قالها الجني والألم يتحلل على وجهه.

"لقد تركت أثرا منك عند ملاسنتك لرأس (مروى).. والآن قبل أن أقتلك
ستخبرني بأسماء كل من حضر مع سيدك الساحر من جان منذ
قليل. أريدكم أن يحضروا لهذه الغرفة الآن."

"كيف.. كيف تفعل تلك الأمور؟"

ابتسم (مهران) أكثر وهو يقول:

"لأنني نصف بشر ونصف جان. صدقتي لقد تماجات منك تماما. وأنا
هنا لتنتهي عملنا."

فتح (مهران) باب غرفته في منزل (بونس) وخرج إلى الصالة فوجد هذا
الأخير جالسا على المقعد المجاور للباب شارذا.

"كيف حال (مروى) الآن؟"

"بخير. نامت بغرفتها منذ قليل".

"الحمد لله".

قالها (مهران) فرمقه (يونس) طويلاً، نهض من مقعده ووقف أمامه، ثم وضع يده على كتفه قائلاً:

"لم أسألك يا بني عن تلك الأشياء التي طلبتها من عند العطار وأحصرتها لك. ولن أسأل عن الأصوات التي سمعتها الآن من الغرفة. ولا الأضواء التي رأيتها من فتحة الباب. لكن ما أرجوه فقط أن تعرف أنني أحببتك بلا سبب واستأمنتك على حياتي أنا وابنتي. فلا تخن الأمانة".

"لا تقلق. ما فعلته الآن في الغرفة كان لضمان أمانكما. وإن أردت أن نعرفه فسأخبرك".

"قلت لك لا أريد معرفة شيء. جهز نفسك لنتحرك غداً. سنعود لأرض الأمان.. المحروسة".

طرق (عماد) باب شقة (حازم) وهو يفكر فيما حدث مع (يسري) منذ قليل. فتحت (رقية) الباب. فابنسم لها (عماد) وكاد يقول شيئاً ولكنها عاجلته فأنلة:

"أستاذ (عماد). حدث سوء تفاهم بسيط بين (إسلام) وأستاذ (حازم). أرجو أن تتفهمه".

فتحت له الباب فرأى (إسلام) يجلس على طرف الأريكة بضم ركبتيه معاً وهو ينظر للأرض حزناً. بينما جلس (حازم) على مقعد آخر وهو يضع يده على جانب وجهه وعلامات الألم تبدو واضحة عليه.

دخل (عماد) وهو يستفسر عما حدث، فحكّت له (رقية) كل التفاصيل منذ دخلا إلى أن أعثي على (حازم) وأفاق بعد دقيقة.

"الألم يقتلي. كأنني ضربت بمطرقة".

قالها (حازم). فنظر (عماد) مدقّقاً في وجهه وهو يقول:

"لا أرى تأبيراً للكلمة قرين (إسلام) على وجهك".

"صدقني لولا حيائي من وجود فتاة معنا لصرخت من الألم الذي يعصف بعظام وجهي!"

"أين ذهب قرينك يا (إسلام)؟"

قالها (عماد). فأسرعت (رقية) تطمئن (إسلام):

"لا تخف. فهو يعرفك من فترة".

"أسف لما حدث ل(حازم). لا أعرف كيف تصرف قريني هكذا من تلقاء نفسه. عندما فزعنا مما حدث اختفى فجأة".

"عليك أن تعرف بأن قرينك يتحرك بإحساسك. عندما شعرت بالغضب من (حازم) نفذ قرينك إرادتك وعاقبه. وعند شعورك بالذنب اختفى ببساطة".

قالها (عماد)، فقال (حازم) بسرعة وهو يشبر له ببديه:

”هذا ما فهمته أنا أيضا“.

جلس (عماد) على مقعد بجانب مقعد (حازم)، بينما جلست (رقية) بجانب (إسلام) الذي أمسك يدها بسرعة. تعلق نظر (عماد) ببديهما المنشابة للحظة قبل أن يشيح بنظره عنهما ويقول:

”عرفنا الآن بعض الأفكار عن استخدامك لقرينك، هو يحفيك بكل الطرق وفي نفس الوقت هو طوعك. يطيع أوامرنا التي تتلفظ بها. وأيضاً الأوامر التي تصدر من عقلك، والآن بقى أن نطبق كل ما عرفناه بشكل عملي. ففكر بقرينك الآن يا (إسلام)“.

”لا نريد مشاكل ثانية يا أستاذ (عماد)“.

فالتها (رقية)، فرد عليها:

”لا نخافي. فقد عرفنا الآن أن قرينه يطيعه طاعة عمياء. لذلك لن يضرنا إلا لو أراد (إسلام) نفسه ذلك“.

نظرت (رقية) لـ(إسلام) وقالت:

”افعل كل ما يقوله أستاذ (عماد)“.

ثم أكملت بنبرة متوسلة:

”لكن أرجوك احذر من أذية أي أحد“.

هز رأسه متفهمًا ونظر أمامه مفكرًا في قرينه. لم يحدث شيء فقال
(عماد):

"ما رأيك أن تفكر في أن يأتي قرينك الآن من المطبخ؟"

لم يكذب (إسلام) يفكر في ذلك إلا وجاء قرينه من المطبخ يسير بخطوات
سريعة.

"فكر في أن يتوقف أمامك ويرفع يده اليميني عاليًا."

فعل القرن ما فكر فيه (إسلام) وظل مثبتًا على وضعيته. ابتسم (عماد)
واعتمد في مقعده وهو يقول:

"فكر في سؤاله عن (حبيبة)".

لم يتكلم القرن. فقال (عماد):

"اسأله بصوتك".

"من هي (حبيبة)؟"

"هي الفتاة التي أحبها صديقك (يوسف)".

قالها القرن. فقال (حازم):

"الحمد لله. مازال يحتفظ بكامل ذكرياتك على ما يبدو.. لكن لم
يخاطبك كأنك شخص آخر برغم أنه يندكر ذكرياتك؟"

"اعتقد لأن له شخصيته المنفصلة عنه من البداية. كل ما حدث أنهما
الفصلا جسديًا فقط".

قالبها (عماد) فخطب (إسلام) قرينه فجأة سائلاً:

"هل كنت أثق في هذين الشخصين؟"

وأشار بيده تجاه (حازم) و(عماد). فنظر القرين لهما ثم قال:

"وثقت في (عماد) منذ أول يوم قابلته. أما (حازم) فشعرت بالقلق من

ناحيته لاستخدامه الجان لكنتك اطمئننت له مع الوقت."

"و(رقية) هل أثق بها؟"

"لا أعرف شيئاً عنها."

قالبها القرين بعلامحه الجامدة، فقال (عماد):

"كأن قرينك يحفظ بكل شيء قبل الحادثة. أما حياتك بعدها فيجعلها!"

كان مغمض العينين وألم شديد يزيد بسرعة تدرجية عند مداخل السلوك النحاسية في جسده. شعر (طه) بالألم بجناح ذراعه اليسرى مختلف عن بقية الأم جسده. العصر قلبه بشدة فتساءل إن كان يتعرض لأزمة قلبية؟

ضغط يزداد على أذنه وصداع برأسه. فكّر متفانلاً بأن كل تلك الكمية من الألام المختلفة لن يدرجها لصعوبة تقبلها على مخه. فعلاً لم يعد يشعر بكل الألام وهو يدور بسرعة مع المونور. خيل إليه أنه يسمع أصواتاً مختلفة تتحدث بنبرات غريبة.

فجاءت صوت اوجاعه دفعة واحدة. وظهر ألم عذيب بجسده جعله يصرخ
بكل ما استطاع.

اختفى الألم. وتوقف جسده عن الدوران. بل شعر بنفسه يتلوى بنعومة
كأنه على راحة أطفال. فتح عينيه فوجد نفسه يجلس على الأرض
أمام الجهاز الذي كان يقف عليه. والجهاز يدور خاليًا بسرعة. نظرت
حوله فرأى الكثير من الكائنات تسير بشكل طبيعي. خاطب نفسه
قائلًا بصوت عالٍ:

"لقد نجحت!"

سمع صوته حادًا بطريقة ضابقته. تنحج وقال كلمة أخرى فعلم أن
صوته قد تغير تمامًا. نظرت حوله ثانية فوجد (عمرو) يقف مبهوًا
بمسك الأوراق التي تركها له بيده وينظر للآلة الخاوية. التي نظرت
على الساعة المثبتة في كف يده. وجد عقرب الثواني لا يتحرك ففكر
أنه لو صدقت حساباته فالوقت يمر الآن بنوقيت الجان. لذلك
ستتحرك ساعتها ببطء شديد. نهض فأحس بجسده خفيفًا يكاد يطير
في الهواء.

"ما هذا؟"

صرخ بها صوت حاد يشبه تردد صوته لكنه مختلف قليلًا. نظرت لمصدر
الصوت فوجده حتى يشير إليه بإصبعه. تعالت أصوات بلغات
مختلفة من الجن الآخرين. وجرى البعض واختفى البعض فجاء. أما
(طه) فقد تحرك بخفة لموقع (عمرو) ينظر له متأملًا الهالة التي

تحيط به وخياله الذي يمثل جسده تمامًا كأنه مزدوج. لكن الخيال
يرز عن الجسد سننيمتزا واحدًا فقط.

“أهذا قرينك يا (عمرو)؟”

قالها (طه) وهو يتنسم ويتأمل جسد (عمرو) جيدًا. ثم نظر للمنضدة
فأرى هالة رمادية تحيط بها. وكل ورقة وكل قطعة على المنضدة
تحيط بها هي الأخرى هالات رمادية ترسم أشكالًا مختلفة في الهواء.

ذهب للمنضدة ووضع يده عليها فمرت يده منها. صحك فرحًا وهو يحاول
مرازا وتكرارًا.

كان يشعر بكهرباء خفيفة تسري في يده وهو يمرر يده عبر المنضدة. وضع
يده على المنضدة مرة أخيرة وحركها بسرعة كما تعلم من (الحساس)
عندما حبسه. خرجت شرارة كهربية من يده وشعر بلمس المنضدة.
طرق عليها بقوة ففزع (عمرو) وهو ينظر للمنضدة مندهشًا.

لم يتخيل (عمرو) أن يأتي صوت دقة بهذه القوة أثناء عمل الجهاز الخالي
الذي مازال يصدر الكثير من الضوضاء.

نظر للمنضدة فلم يزل شيئًا لكنه سمع صوتًا بعذته في أذنه. صوت حاد
غريب يقول ببخطء:

“لا تخف.. أنا (طه). أغلق الآلة وعد لمترك. نجحت في الانتقال.”

"(سنان) يحتفظ بالكثير من أسرارنا، لو تكلم قبل اختفائه سنضطر لتغيير كل خططنا".

قالتا الحبي للمخلي الذي رد بسرعة:

"(سنان) لن يتكلم، أنا أعرفه أكثر من نفسي".

ثم أطرق بفكر قليلاً حتى قال:

"لكن لو تكلم، وهذا احتمال ورد لخاطري الآن.. ستفشل كل تحضيراتنا، وخاصة لو تكلم لاتحاد الممالك".

"إذن سنضطر لتغيير كل شيء!"

"لا".

قالتا (المخلي) وغرق في صمت تام مفكراً.

"اسمع يا (راكان)، الحل الوحيد أن نقدم موعد فتح البوابات".

"لكن جيشنا وبقية التحضيرات لم تجهز بعد".

"لا وقت، سنفاجئ جيش اتحاد الممالك ونقوم بالخطة كما هي، لكن الوقت هو الفارق".

"ومنى سنبدا؟"

"سنبدا تحركاتنا من الآن، واحرصي أن تصل لجاسوس (بصفيدش) معلومات غير صحيحة عن تحركاتنا".

"لن يستطيع ابلاغ (بصفيديش). فلا أرى داعياً لمنه بالتحركات"

"في كل الحالات سيعلم الجميع بأمر التحركات لكن أملنا أن نصلهم في التحركات نفسها."

"تطلب اللقاء وأجرك هنا في الحمام؟"

سمع (عبد الكريم) صوت الجني المسؤول عنه يتحدث من خلفه. فنظر له بسرعة وهو يضع سبابته أمام فمه:

"هششششش.. ستوقظ زوجتي من قبلولة العصر."

"طلبك للقاء يعني أنك عثرت على شيء جديد."

أخرج (عبد الكريم) من جيب سروال منامته ورقفتين فردهما وقال بصوت خافت:

"اكتشفت شيئاً في الكلمات التي أعطيتك إياها وتحدثت عن العفاريث."

"قل ما عندك."

فرد (عبد الكريم) الورقتين وأشار لإحدهما وهو يقول:

"هذا هو ما أعطيتك إياه. والذي لا يعني شيئاً. لقد تأملته كثيراً حتى توقعته أنني رأيت شيئاً مألوفاً فيه. لكنني لم أكن أعرف ما الذي يعطيني هذا الشعور. حتى انتهت للجزء المألوف لي."



"هذه ليست حروفاً ولا طلاسم.. لقد شعرت من البداية أنها مألوفة.
لكن بسبب كتابتها بهذا الرسم وتلك الطريقة لم أتعرف إليها.. إنها
الأعداد في الأبجدية القبطية".

"أنا أعرف القبطية لكني لا أراها".

"ذلك لأن كل رقمين أو ثلاثة أرقام كُتبت فوق بعضها البعض فضاغت
ملاحظتها واعتقدناها كلمة. لكن الحقيقة أننا أمام أرقام كُتبت بشكل
مشفر".

"مشفر؟"

...

انتهى (عماد) من إعداد شطائر خفيفة، وخرج للمصالة بصينية الطعام
ليجد هذا الأخير جالساً يتحدث مع (فاصيم) بالأوردية.

“لا وقت الآن للتحدث بلغات غير العربية”.

قالها (عماد) وهو يضع الصينية ويجلس على مشعد بجانبها.

“نتحدث حول قوة قرين (إسلام)”.

“وتحدثان حول الفناذ التي ترافقه أيضاً. لقد النقطت كلمة فناذ
بالأوردية”.

ابتسم (حازم) وهو يتناول شطيرة من أمامه ويقضم قطعة كبيرة منها
ويقول:

“هل لاحظت نعلقه بها؟”

“نعم.. كأنها أمه التي لا يثق إلا بها”.

“وهل ترى هذا النعلق المرضي في صالحه أم...”

قاطعها (عماد):

“لا أعرف ولا أستطيع تخيل نفسي موضع (إسلام). لعل هذا النعلق هو
أمله الوحيد للحياة”.

“لكنه ينفذ كل ما تقوله، ماذا لو أمرته بمهاجمتنا؟”

لم يرد (عماد) وظل ينظر للأرض في شروء كأنه لم يسمعه. توقف (حازم)

عن المضع وهو يقول:

- يبدو أن معرفتك بصلة أصدقاء (يوسف) ودكتور (يسري) مازالت نضايقت".

انتبه (عماد) وقال وهو يهز رأسه نافية:

- "لم أتضايق من تلك الصلة. لكنني تذكرت دفعة واحدة كل من ماتوا بسبب ما يحدث".

- وبالناكيد تذكرت قريبك رحمه الله".

قالها (حازم) بأسى. فهز (عماد) رأسه موافقًا وهو يعقد ذراعيه أمام صدره.

- "عرفنا شيئًا جديدًا بخصوص العقاريت".

جاء صوت (يصفيدش) يحمل تلك العبارة من ركن الصالة. فنظر الاثنان لمصدر الصوت ليجداه يقف بأخر هيئة ظهرها أمامهما.

كان (حازم) أول من تقبل المفاجأة. فسأل بسرعة:

- "ما الجديد؟"

تقدم (يصفيدش) وهو يطلب ورقة وقلماً. فجلهما (عماد) له. أعاد (يصفيدش) رسم العتلاسم التي حفظها ثم علم آخر جزء وهو يقول:

- "هذا الجزء عبارة عن أرقام باللغة النسطية لكنها كتبت فوق بعضها".

اتسعت عينا (عماد) وهو يقول:

- "كيف لم أنتبه لها من البداية!"

أخذ الورقة وقراها من عينيه وهو يتفحصها ويشول:

"نعم، أستطيع استخراج الأرقام. هذا (أشمين) وفوقه رقم (صوو) وهذا (مبت) و..."

قاطعه (بصفيدش) قائلاً:

"لقد استخرجنا الحروف قبلك ويمكنك مع معرفتك بالقمطية أن تستخرجها، لكنها غير مرتبة. هي شفرة يمكن أن تكون المعسرة لما قبلها، ويمكن أن تكون المرشدة للعفارت. لكننا فشلنا في فكها."

"واضح أنها شفرة ذات مفتاح، ولن يكسرهما إلا مفتاحها."

قالها (عماد) وهو مازال بدفق في الورقة. فقال (بصفيدش):

"أعتمد عليك الآن في الوصول للعفارت."

"ما فلتنه الآن أرجو أن يفيدني، ولو أنني لا أعرف كيف أصل للمفتاح."

"هناك شيء آخر.. بدأت تحركات (المخلي) قبل موعدها."

"من أخبرك؟"

قالها (حازم).

"هو من سرب لي هذه المظلومة عن طريق جاسوس لي."

"سزها؟"

"نعم.. أخبر بها جاسوسي لينقل لي تحركاته كاملة."

- "إذن فهو يكذب ليضللك؟"

فألبها (عماد).

- "لا.. هو لا يكذب، ربما ضللتني بتحركاته. لكنه طالما قال سينتحرك باكراً فسيفعل، شقيقتي وأعرفه."

- "ولم يخبرك من الأصل؟"

- "لأنه عند تحركه سيعلم الجميع، لذلك يحاول كسب أي نقطة لصالحه."

- "والعمل؟"

- "ألمي الوحيد هو استيقاظ (يوسف) وجدّه (الحلاج) قبل فتح الأبواب."

- "لماذا؟!"

- "لأنهما سيوقعان بالمخفي في شبكي."

- "أهدأ ولا تأكل كأنك تأكل أخرزادك!"

قالتها والدة (حامد) له وهو يحشو فمه بطلقة أرز، تليها ملعقة من السلطة، تليها قطعة لحم لا تجد مكاناً داخل فمه لكنه يجبرها على الدخول، مع قطعة طرشي يتدلى طرفها من فمه.

كانت تجلس أمامه على منضدة الطعام بعد أن جهزت له طعام الغداء عند مجيئه متأخراً.

- "قل لي ما أخبار دراستك؟"

- "كنتهماعله."

- "ماذا؟"

ابتلع ما في فمه وقال:

- "كل شيء، تمام. الحمد لله."

قالها وحشا فمه سريعاً بالطعام كأنه يخشى عليه ألا يعمل لفترة

- "وأخبار قدمك؟ هل تعاني من أي ألم فيها؟"

- "كنتهماعله."

رن جرس هاتفه المحمول الملغى بإهمال على أريكة في الصالة.

- "ألن تردّ على هاتفك؟"

- "كنتهماعله."

تهضت الأم وأحضرت الهاتف وألقته امامه على المنضدة. فنظر له

مفزوعاً عندما وقعت عيناه على رقم مأمور قسم (روس الفرج).

ابتلع الطعام بسرعة وشرب القليل من الماء وتحشأً قبل أن بهجم على

الهاتف وهو يردّ بسرعة:

- "أهلاً بحضرتك!"

- "أمسك ورقة وقلماً واكتب ما سأمليه لك."

مسح يده اليمى في منديل ورقي موضوع بجانبه وجرى لغرفته ليجد الورقة والقلم. بينما يسأل وهو يبحث:

"هل توصلت بهذه السرعة للشخص؟"

"اعتمدت على بضعة مخبرين سألوها بوابي تلك العمائر. وكان الموضوع أسهل مما تخيلت."

"هل له علاقة بالكهرباء؟"

"يدرس في قسم الكهرباء بالهندسة. وقد بحث وراءه فوجدته قد أجز مصغرا بالقرب من منزله ونقل بعض الأجهزة من شقته لذلك المصنع."

"وجدت قلما".

"أكتب عندك الاسم التالي.. (طه عناد)".

فمسح القلم من يد (حامد).

الفصل الثامن

المزامير

جلس (مهران) خلف مكتب داخل أحد مخازن الشيع (بونس). وهو يرتدي جلبانا وقططانا منعصفا بعمامة بيضاء. يمسك دفترًا كبيرًا وقلما من الخشب يغمسه في المحبرة الموضوعة على مكتبه المطرز بالأرابيسك الحسيني. بحسب مند ساعة على أصابعه مبرانية الشهر. جاءه أحد الصبيان بخيره بأدب أن التاجر (علي القماش) يطلب مقابلته. فأخبره أن يدخله بسرعة ويذهب لإحضار قدحين من القهوة دخل عليه (علي) بحمل لفافة كبيرة وضعها على طرف المكتب قائلاً بابنسامة:

“أفضل صوف من الهند خصيصًا لحرمتكم.”

همض (مهران) واحتضنه بود وابتسامة حملت الكثير من التلق. ثم أجلسه على المقعد المواجه لمكتبه وجلس بحانه وهو يرت على ظهره قائلاً بلهجته المصرية التي مازالت تحمل لكنة أجنبية:

“أترت المحروسة يا صديقي. متى عدت من رحلتك؟”

“أمس ليلاً. بالمناسبة. لقد مررت على بلاد الفرس.. بلدك. واقعد فيها قليلاً قبل أن أكمل طريقتي.”

“أين نزلت هناك؟”

“(فرج آباد) بخوزستان.. لم أكن أعرف أن هناك سنة في بلدك.”

ابتسم (مهران) بمجاملة وقال:

"هناك بعض السنة في محافظتنا".

"الحقيقة يا صديقي لولا أنك جعلتني أدرك بأن الشيعة لا يختلفون كثيراً عن السنة لما تاجرت معهم".

"أنا الآن من السنة، وأصلي وأصوم وأقرأ القرآن كما كنت أفعل في الشيعة.. دعك من هذا الآن، لم أتعبت نفسك وأحضرت هذا؟"

"لا نقل هذا، هي هدية إلى زوجة صديقي وأخي، فل لي أولاً، أين القهوة؟"

ابتسم (مهران) بطرف فعه وقال:

"أرسلت في إحضارها من المقهى القريب".

دخل أحد الصبيان وبجانبه عامل القهوة يحمل جوزتين تملئان بمعسل التومياك، فقال (علي):

"طلبتهما من القهوجي من نفس المقهى المجاور لك، قلت إنك لا بد أن تشرب معي شبة دغان كما تعودنا".

أنزل العامل الجوزتين، فتناول (علي) جوزته مدخناً بضعة أنفاس طويلة. وقال:

"كل البلاد التي مررت بها تتكلم عن العداء بين (ظاهر العمر الزيداني) و(محمد بك أبو الذهب)، يقولون إن الحرب وشبة".

كان (مهران) قد تناول جوزته وهو يشول وسط أنفاس الدخان:

"أولاً لا تقل بك. أصبح (محمد باشا أبو الذهب) الآن. لقد أنعم الباب العالي بالباشوية عليه.. وثانياً الحرب ليست وشيكة. لقد بدأت. جهز (محمد باشا أبو الذهب) حملة ليقاتل (الظاهر عمر) وسنخرج في بحر اسبوع على الأكثر".

"(أبو الذهب) يطمع في زيادة رفعة حكمه".

"لا اعتقد. لن يخطئ خطأ سيده (علي بك الكبير). سيظل خاضعاً للباب العالي ما بقي له من العمر. عندما يرضى عنك الباب فأنت في أمان إلى أن تصل قبرك".

دخل صبي وبجانبه عامل المقهى يحمل أقداح القهوة. وضعها بينما (علي) يقول مبهتاً:

"عندما قابلتك الآن تخيلت أنك مريض".

"لم؟"

"لأنك متجهبم طوال حديثنا، ولا تضحك الا محاملة".

أبعد (مهران) الجوزة واعتدل قائلاً:

"أسف يا صديقي. لكن هناك موضوع شائلي يشغل بالي".

"هل لي أن أعرفه؟"

-حمای أخذ زوجتی لزيارة أهل المرحومة والدتها في (بني شقير) بمنفلوط
ولم تصلي أحبار منيها، الفلق بأكلي منذ أيام".

"منفلوط؟"

فألبا (علي) وهو يبعد الجوزة وملاح وجهه تنغير،

"ما بك؟"

قألبا (مهران) بعد أن قطب جبينه متأهبا.

"كم غابا؟"

"اليوم يكتمل اليوم الرابع عشر على غبايها".

تغير وجه (علي) أكثر وكاد القلق يطلن من عينيه، ثم قال:

"منذ شهر سمعت أخبارا عن بعض قطاع الطرق من قرى منفلوط
يقطعون الطريق على المسافرين".

...

ظلن جالساً على مكتبه داخل المخزن لم يبرحه منذ رحيل (علي).
صرف جميع العمال بعدما خرج لشراء بعض الأشياء، وأغلق المخزن
من الداخل عليه، لم يزحلاً أمامه سوى التأكد من سلامتهما، برغم
أنه قد ابتعد عن كل ما يخص هذه الأشياء منذ زواجه، إلا أن غايته
في الوصول ل(مرؤى) بررت وسيلته.

وما تعلمه لم ينسه بعد. وخاصة أنه شيء بسيط قد حفظه في بدايات
تعلّمه من والده. أمسك بقدر فخاري صغير ملاء بالماء وقام بوضع
القليل من الحبر من الدواة الموضوعه على المكتد.

وضع القدر على الأرض وجلس بجانبه وهو يصرف عفار المكان.

سمع علامة صرفهم فقال:

"تلايه بلايه ظلّه يوايش بهيايش أصايبا مهيايش ألي يايه بحق هذه الأسماء
احضروا لمجلسي وافتحوا مندلي. اسمعوا وأطيعوا أنها المدعوون.
واحضروا لمجلسي أسرع من إطباق الجفون. إن هي إلا صبيحة واحدة
فإذا هم جميعًا لدينا، حضرون."

تغير الحبر في الماء كأنه يتحرك. استند (مهران) على يديه وهو يرى جي
صغير الحسد يحرك الماء ليدلل على وجوده. أبعث عينيه عنه كي لا
يدرك الحبي أن (مهران) يستطيع رؤيته. قال هذا الأخير بلهفة:

"أريد أن أعرف موضع زوجتي الآن.. اسمها (مروى) وأبوها (يونس) وأما
(ورد). خرجت هي ووالدها لزيارة أقارب في منغلووط بأسيوط منذ
أربعة عشر يومًا."

احتفى الحبي فحاة. اطعمان (مهران) أنه الآن سبحت عنها. مرت دقيقة
واثنتان. شعر بالقلق. لم سيأخذ كل هذه الفترة في البحث! رآه يتشكل
أمام القدر مرة أخرى ثم يقترب من أذنه ويقول:

"لم أستطع الوصول لـ (مروى) أو (يونس)."

تسارعت أنفاس (مهران) وهو يقول:

- "كن معي حتى أصل إلى آخر مكان نواجد فيه من خلال قرين كل منهما".

لم يكن (مهران) ينظر إليه من البداية. لكنه شاهد الجني بطرف عينه يتراجع برأسه للوراء وكأنه فوجئ بكلماته. ثم قال في أذنه:

- "لم تطلب هذا الطلب الغرب؟"

- "أنت أحد خدام الممثل السلیماني ويمكن أن أطلب منك مرافقتي لآخر موضع نواجد فيه من أطلبهم".

- "لم أقابل من يعرف هذا منذ زمن.. من علمك؟"

- "لا يهم، سترافقتي من الآن حتى أصل".

لم يرذ الجني بينما نهض (مهران) وهو يقول:

- "سأذهب لأحضر الفرس والماء والنقود".

- "توقف".

سمعها (مهران) وهو على ظهر فرسه فشذ اللجام يهدوء حتى توقف الفرس ببطء محافظاً على توازنه. نزل من على الفرس وهو يمسك بلجامه ناظراً حوله.

كان في منطقة صحراوية وبعض الجمال المنخفضة تحيط به.

- "أين بالتحديد؟"

”سرم من مكانك خمسة وعشرين خطوة ولا تحبذ“.

تعل (مهران) مثلما سمع حتى توقف عند منطقة معسرة الرمال

”هنا اخر موضع نواحدنا فيه“.

قالها الجني بينما ظل (مهران) يرمى بفضة الرمال المدحسرة. كانها حشرة
لم تكتمل. ترك اللجام وحنأ على ركبته وأخذ يكمل الحفر بيديه في
نفس بفضة الرمال بسرعة جنونية. اصطدمت بداءه بشيء.

أكمل الحفر حوله لتظهير الوان ملابس نسائية. لم يتحرك الجني بوجه
انتباه مهمته. شعر بالفضول ليرى ما سيحدث. وخاصة بعدما لاحظ
أن عيني (مهران) تتساقط منها الدموع على الرمال التي يحفرها.

ظهر حسد (مروى) المتناكل بالكامل. جلس بعانه يذرف الدموع بوجه
جامد.

ظل على هذه الحال لدقيقة ثم نظر للجني بعين امتأثت بالدموع. تراجع
الجني بجسده مندھشاً. رفع (مهران) يده اليمنى وأشار باصبع
السنانة ناحيته وهو يقول:

”أفسمت عليك يا خادم المندل بحق من لا يغلبه غالب ولا يفوته هارب
ملك المندل سراھيل الذي خلقه الله نعال وجعل كلامه عليك كالرعد
القاصف وعيناه كالبرق الخاطف وصرخته كالريح العاصف، القاص
على صولجان من النور إذا هزّه لفضاء ربه فطر منه ألف شرارة وكل
شرارة أحرقتك إن عصيت فسمي بأن تكون خادمي حتى أطلقك“.

تغلغلت بد الجني بأغلال حديدية وخرج شعاع من الضوء من جسده إلى جسد (مهران). لكن الشعاع اختفى فجأة كأنه لا يجد جسد هذا الأخير. فصرخ الجني:

"ماذا يحدث؟! كيف تستطيع رؤيتي ولم كبلتني لخدمتك؟!"

"اسمع أنت من الآن خادمي ولن أطلقك قبل أن تنفذ أمري".

"لو عرف الملك (سراهيل) ما فعله بي سيفتلك".

"قلت لك لو نفذت أمري سأتركك، اذهب الآن وابحث عن كل الجان الذين يعيشون بالقرب من هذا المكان في عالمكم، واسأل كل واحد منهم عما رأوه في الأيام السابقة ويتعلق بقتل زوجتي ووالدها، وأحضر لي اسم القاتل وأين هو الآن".

"لن أستطع الرجوع، فأنا لا أراك كبشر عادي. لا يوجد اتصال بيني وبينك لأعرف موضعك".

كان (مهران) يعرف ذلك فالشعاع الذي ينشئ رابطة السيد والخادم لن يلتحم بجسده لأن حزة منه من الحان.

"لن أتحرك من مكاني حتى تعود".

قالها (مهران)، فسأله الجني:

"من أنت؟"

"أنا الآن العي بن القصاب".

غرق (يسري) في الورق وهو يجلس على مفعد مكنته بالضيلا التي يمتلكها في حي المعادي. الورقة التي أعطاهما له (عماد) في مودع معيز على المكتب. أما بقية المكتب فيممتان بأوراق ملئت أرقامًا وكلمات.

بحث بين الأوراق حتى وجد نسخة كتاب المزامير بترجمة الراهب (سمعان) وبجانها النسخة العبرية. فتح النسخة القبطية للصفحة قبل الأخيرة. وقرأ بعينه للمرة العاشرة المزمور الـ 151 الذي ترجمه (سمعان):

(أنا صغيرًا كنت في إخوتي. وحدثنا في بيت أبي. كنت راعي غنم بداي
صنعنا الأرغن. وأصابني ألفت المزمور)

توقفت بدا (سمعان) عند هذه الآية. حتى لم يكمل ترجمة بقية المزمور
الديني كأنه قرر فجأة أن يتوقف عن الترجمة.

أو ربما أراد أن ينهي المزامير بتلك الآية. أبعد عينيه عن المزامير ومسح
بيده شعره ثم أخرج هاتفه من جيبه ليتصل برقم هاتف (عماد)
الذي نقله من ورقة صغيرة أخذها من حافظة نقوده.

رَن جرس الهاتف وسمع صوت (عماد) يتساءل من الناحية الأخرى عن
المتصل.

"أنا دكتور (يسري) يا أستاذ (عماد)".

"صدفة غريبة. لقد كنت أفكر في الوصول إليك الآن".

"أعرف أنك متعجل على تحليل الورقة. وها أنا أخبرك بما توصلت
إليه".

"توصلت أنا أيضا إلى حديد بخصوصها تفعل أنت أولا".

مد (يسري) يده اليسرى يعرج سيجاره من علبة سيجاره الموضوعه على المكتب ويشعلها بقداحه وهو يقول:

"قارنت بين الرموز في الورقة وبين طلائع كتاب الراهب (سعدان) بلسخيه. وهي صحبحة بعض الرموز تشبها فعلا، لكن هناك جزءا ثانيا من الرموز لم يكن يشبه أي تلوام في الكتاب. حللت هذا الجزء وقررت رموزه فاكشفت أنها شفرة رقمية مطلسمه تتكون من أرقام قبطية من رقم 1 إلى 10. وهو نظام عمل به بعض رهبان معصر في فترة لا تزيد عن مائتي عام. سمعت عنه كثيرا ورايت نموذجا منه منذ سنوات. لكن للأسف لن نحل الشفرة إلا بوجود مفتاح دلالي يفتك تلك الرموز".

سكت (يسري) مستنشقا نفسا طويلا من سيجارته قبل أن يتساءل بقلق:

"أستاذ (عماد). هل أنت معي على الجهد؟"

جاء صوت (عماد) مبهورا:

"لقد توصلت لنفس ما توصلت أنت إليه!!"

"جيد.. هل عرفت حل الشفرة؟"

"لا.. لا اعرف ترتيب الأرقام الصحيح حتى، الأرقام القبطية كتبت فوق بعضها البعض".

"نسبت ان أحيرك أن تلك الشفرات بسيطة جدًا وتعتمد على اختراع مجموعة أرقام للشكل حرفاً. أي إن تلك الأرقام تشكل حروفاً بالأبجدية القبطية. لكن نحن نرجمة الشفرة هو الناقص".

"وأين تجده؟"

"لا أعرف. أتركي للغد لأبحث عن أي شيء. له صلة بترجمات هذا الراهب. ربما وجدتها".

"إذن نلتقي في الغد؟"

"اتفقنا سنظل على اتصال".

أغلق (يسري) الهاتف وأطفأ سيجارته. استرخى على مقعده ناظراً إلى الكتاب المترجم باللغة القبطية وهو يقول:

"لم كل هذا التعقيد يا (سمعان)؟"

تلقت (حامد) حوله وهو يسير في أحد شوارع شبرا. الساعة الثانية بعد منتصف الليل. كان يضع هاتفه المحمول على أذنه رغم أنه أغلقه من فترة.

"طريقة مجنونة يا (حامد) لتحدثني".

قالها (رحيم) وهو يسير بجانبه. فرد (حامد) منظاراً يتحدث في الهاتف:

"نحن يسير في شبرا يا صديقي. سيزفني الناس لوراوني أنكم مع الهواء".

دخل شارعًا جانبنا امتلاً بأبواب المصانع المغلقة. مع أصوات ماكينات
مكتومة تصدر من خلف بعض تلك الأبواب.

"مهنتك الآن يا (رحيم)".

اختفى (رحيم) من جانبه لثوانٍ وعاد بعدها يقول:

"لن تصدق ما وجدت خلف أحد هذه الأبواب".

"قل!".

"لا يمكنني الشرح. يجب أن ترى بنفسك.. قف أمام خامس باب على
يمينك".

اختفى (رحيم) مرة ثانية. فوقف (حامد) عند الباب. سمع تكة القفل
فعرّف أن (رحيم) فتح له من الداخل. جز الباب الضخم بصعوبة
وفتحه. ثم دخل للمصنع المظلم وأغلق الباب خلفه.

أضاء (رحيم) المصابيح فنظر (حامد) حوله. في البداية جذبته مظهر الآلة
الموضوعة في وسط المصنع.

لكن (رحيم) قال:

"دعك من هذا الشيء واذهب للمنضدة واقرا الورقة الملقاة عليها".

جرى (حامد) للمنضدة فوجد ورقة بيضاء كتب عليها بخط مهزوز
استصعب قراءته في البداية:

"أهلاً يا (حامد)، أنرت مصنعي، لن تجدي الآن فأنا في عمل هام، لكن
انتظري منا وسأوافيك حالاً.

ملحوظة: حتى أتى إليك أحضري طعافنا من أول الشارع وشفرة حلاقة
ومعجوناً وماء.

أمضاء (طه)".

"هيا قم من نومك".

فتح (عبد الكريم) عينيه مفزوعاً. نظر لزوجته فوجدها تغط في النوم
وهي تضح وسادة على رأسها. تأمل معالم غرفته التي يرى بعضها في
الظلام.

"قم من نومك، لا يوجد وقت لهذا".

كان الصوت يتردد في أذنه بشكل عالٍ. عرف أن هناك جانا يحدثه. هل
كُشف أمره؟!

"من أنت؟"

"لو أردت أن تعيش فانهض وخذ زوجتك واهربا، ستتحول شقتك
لساحة حرب بعد 22 دقيقة".

"ماذا؟!"

- "من جنودك جعلوا منك طعمنا للمغربي ليظهر. وستؤكل قبل بدء
المعركة".

- "من أنت؟"

- "اسمع كلماتي هذه المرة ولا تكن أحمق كالمرتين السابقتين!"

- "ما الذي تقصده؟"

تعلملت زوجته في الفراش بينما (عبد الكريم) يستمع للصوت الذي
يقول:

- "أقصد أنك قتلت أنت وزوجتك مرتين من قبل ولا أعتقد أنني أستطيع

إعادة فرصة نجاتك مرة رابعة. لقد سمعت. أمامك عشرون دقيقة

قبل موتك. إن اخترت حياتك فاهرب لشقة حمامك وارسم على

جدرانها ما ستجده على الورقة التي وضعتها لك على الكومود... إلى

اللقاء".

- "كيف عرفت من أنا؟"

لم يجد إجابة. أصاء المصباح الموضوع على الكومود فوجد الورقة.

توقفت مجموعة من القبط السوداء بجانب العمارة التي تحوي شقة

(عبد الكريم). وفقت القبط متراسة كأنها في طابور عرض عسكري

تنظر قائدها أن يأتي لتعطي له التحية العسكرية.

جاء قط أسود من آخر الشارع راكضًا. توقف أمامهم ونظر لباب العمارة الذي انفتح فجأة وخرج منه (عبد الكريم) بجزر وجهه المعترضة وهو يخبرها أن تخفض صوتها. هزول وهو بجزرها حتى اختفيا في شارع جانبي.

جرى القط ليقف خلف بقية القطط كأنه يخشى، وفجأة اختفى ببساطة.



في موضع قريب من الربع الخالي وقف جيش (ابن سيف العداء) الذي يقود جيش اتحاد الممالك. وبجانبه وقف (بصفيديش) بملابس الحرب ينظر للمساحة الخالية أمامه.

- آخر خبر وصلني منذ قليل عن جيش (المخلي) الذي يقوده (حرقم بن صهيل) أنه استولى على حامية بقرية تقع لنا.

قالها (ابن سيف). فردّ (بصفيديش) وهو ينظر أمامه:

- لقد كسب أخي هذه الجولة.

- الحرب مازالت في بدايتها ونحن جمعنا الكثير من جيشنا ومازلنا...

قاطعها (بصفيديش):

- سينتصر علينا عاجلاً أم آجلاً حتى لو كسبنا الحرب.

- ما الذي تقوله؟

"ألم تفهم ما يفعله بعد؟ لقد حرك جيشه لإلهاننا. يستولي على القرى ويفتل الحاميات ونحن ننتظره بكامل العتاد. لو تحرك جيشنا بعيداً عن مقراتنا الأصلية لنواجه (المخلي) نفسه في قلعته سيحتلنا جيشه. ولو انتظرنا أن يأتي هو إلينا كما نفضل فسيفقد خطته في هذه الأثناء ويوقظ الملوك بعد فتح الأبواب.. نحن خاسرون في كل الأحوال".

جاءت دابة مدرعة من وسط صفوف الجيش يركبها أحد معاوني (يصفيدش). نزل من عليها وهو يقول بسرعة:

"رجالنا الذين يحرسون أحد المنازل التي حددتها لنا في عالم البشر يقولون بأن شخصاً غادر المنزل هو وزوجته".

تنهد (يصفيدش) وقال:

"كما فعل بقية الجواسيس.. يغادرون قبل حضور رجال (المخلي). ويخفون عن عالمنا. بينما نشترك نحن مع رجال (المخلي) بلا طائل.. اسمع، قل لرجالنا أن ينسحبوا بسرعة. كفانا عراقاً، لا أريد انفجارات غريبة مثلما حدث. رجال (المخلي) أقوى مما تخيلت".

"ما الذي يحدث يا (يصفيدش)؟"

قالت (ابن سيف) بينما معاون (يصفيدش) يركب دابته ويغادر.

"إحدى خططي في جذب (المخلي) بنفسه فشلت. أردت أن يستجوب أحد جواسيسنا عن العفارت حتى نصل لموضعه. لكن كل

الجواسيس غادروا قبل حضور رجال (المخلي) بتليل واختفوا. كأنهم يعرفون المستقبل."

"وهل تبحث عن العفارت؟"

"كنت أعتقد أنها أملي الوحيد. وأشعر الآن بأنني أخطأت."

"أغيباء! "

صرخ بها (المخلي) وهو يقف أمام منات من رجاله.

"كيف يخنفي كل الجواسيس قبل وصولكم؟"

رفع أحدهم يده طالبا الإذن بالكلام. فأشار له (المخلي) أن يتكلم.

"سبدي، لقد أطلعنا أوامرك وانتقلنا لعالم البشر بمجرد تلقينا تعليماتنا."

"تقدم يا بني."

قالها (المخلي). فتقدم الرجل بضع خطوات حتى خرج من تجمع الرجال.

"أعطني سيفك."

أخرج الرجل سيفه من غمده وأعطاه للمخلي. الذي أخذه ثم غرسه

لمنصفه في جسد الرجل.. نظرا لبقية الوافدين وهو يقول:

"أريد تفكيراً أكثر إيجابية. لا أريد أن تنكروا عناءكم. فكروا لم فعلتم.

فكروا كيف هرب (بصفيدش) جواسيسه."

رفع أحد الرجال يده بطلب الإذن.

"ها هو أحد رجالي نجرا على التحدث بعد ما حدث لزميله.. تقدم."

تقدم الرجل وقال:

"لا أرحح أنه شقيق جلالتك."

"والسب؟"

"أنا كنت في الفرقة التي ستذهب لمزل أحد رجال (بصفيدش). يعمل مدرسا في عالم البشر. قبل دخولنا رأينا انسحابا منظما لرجال (بصفيدش) وهم متخمين في شكل قسط. ولم يكن هدفنا في شقته."

سحب (المخلي) السيف المفروس من جثة الرجل الأول واقتراب من الواقف وهو يقول:

"بالتأكيد انسحبوا بعدما آمنوا هروب رجلهم."

ارتبك الرجل الواقف وقال بسرعة:

"لكن زملائي قالوا بأنهم اشتبكوا مع رجال (بصفيدش) في منازل بعض الجواسيس. وكان الجواسيس هربوا في كل المرات الأخرى بلا علم (بصفيدش). أما رجال (بصفيدش) المنسحبين فكانوا كأنهم اكتشفوا هروبه قبلنا فلم يجدوا فائدة من الاشتباك معنا."

فكر (المخلي) وهو يخفض السيف ثم قال:

"أعجبني تحليتك."

وأشار لأحد الواقفين يطلب منه التقدم. ثم سأله قائلاً:

”أنت كنت ضمن المجموعات التي تقاتلت مع رجال (بصفيدش) في منزل
أحد الجواسيس، أليس كذلك؟“

”نعم يا سيدي“.

”أحب للمحلل العبقري كيف استخدم رجال (بصفيدش) معكم سلاحاً
جديداً ليحلل لنا هذا الأمر أيضاً“.

”لقد تقاتلنا معهم بسيوفنا ورماحنا حتى شاهدنا بقعة ضوء كبيرة
تتحرك بالقرب منا. خرج من بقعة الضوء شعاع دخل وسط
معركتنا، وانفجر كأنه قنبلة كقنابل البشر. بعضنا أصيب بحروق لم
نر مثلها. والبعض مات. كما مات العديد من رجال (بصفيدش)
أيضاً. ومع ذلك ظل الانفجار داخل عالمنا بعيداً عن عالم البشر“.

نظر (المخلي) للرجل الأول وقال ساخراً:

”ما رأيك في هذا يا ذكي؟“

”جلالتك، كل ما بقوله يؤكد شيئاً واحداً.. أن بقعة الضوء ليست
سلاحاً جديداً لهم. والدليل موت بعضهم. هناك طرف ثالث هو من
هزب الجواسيس وهو من تدخل في المعارك بيننا وبينهم. واسمع لي أن
أقول.. إنه طرف أقوى من الجميع“.

"(إسلام). استيقظ."

فتح (إسلام) عينيه في ظلام الغرفة. لم يدرك كيف جاء لهذا المكان ولا من أحضره. شعر أنه يعرف غرفة نومه لكن لا يتذكر أي تفاصيل عنها. نظر حوله في الظلام وهو يسترجع وجهين يعرفهما. (رقية) و(برينه). نظر حوله فسمع الصوت مرة أخرى يقول في أذنه:

"لا تخف مني. أنا في صفك."

في ظلام الغرفة رأى شيئاً واقفاً عند الباب. من الضوء الآتي من تحت عتب الباب تبين أن الواقف هو قريبه. لكنه يقوم بحركة غريبة برأسه. جسده ثابت لكنه يحرك رأسه يمينا ويسارا بلا توقف بحركة ميكانيكية كأنه يبحث عن شيء ما في الغرفة.

"(إسلام). لا وقت تبقى لي. يجب أن نسمعي. احتاجك لإنقاذ (حبيبة) في الصباح الباكر."

"من الذي يحدثني؟"

"كنت أعرف أنك فقدت معظم ذاكرتك. لكن لم أعرف أنك لست (حبيبة) وبقية أصدقائك!"

فجأة توقف دوران رأس القرين عند نقطة معينة بجانب فراش (إسلام) كأنه عثر على ضالته. أسرع من موضعه حتى وصل بالقرب من الفراش ومد يده بمسك الهواء بتبيضته.

شبهق (إسلام) وهو يرى شرارة كهربية تخرج من الهواء من موضع قبضة القرين لتحيط بالقرين وتسري في جسده.

ارتعش القرين والشرارات الكهربائية نسري في جسده كأنه يقاوم لكن بلا تعبير على وجهه.

فجأة ظهرت بشعة ضوء من قبضة القرين تضخمت حتى أصبحت بعجم كرة القدم ثم اختفت. ففتح القرين قبضته وأرخی جسده.

شعر (إسلام) أنه يمكن أن يسأل قرينه.

"من هذا الذي كان يحدثني؟"

"لا أعرف."

قالها القرين ببرود.

"هل قتلته؟"

"تمكنت منه لكنه هرب قبل موته."

صمت (إسلام) لحظات قبل أن يسأل قرينه:

"من هي (حبيبة)؟ قل لي كل ما يدور حولها."

قضم (حامد) قضيعة من (دبوس) الدجاجة المشوية الذي يمسكه بيده اليسرى. بينما يلعب إحدى الألعاب على هاتفه المحمول الذي يمسكه بيده اليمنى.

كان قد خرج منذ قليل وأتى بالظلمات التي وحدها على الورقة. لكنه شعر بالملل والجوع ففتح ورقة الطعام ليأكل بعض قطع الدجاج التي أتى بها.

"(حامد).. احذرا!"

صرخ بها (رحيم) وهو يضع يده بالقرب من رأس (حامد) ليتمكن من رؤية ما يحدث. نهض هذا الأخير قفزًا وهو ينظر يمينًا ويسارًا حتى رأى بقعة ضوء ضخمة يحجم إنسان في منتصف المصنع. صرخ (رحيم) مرة ثانية قائلاً:

"سأتعامل معه".

نظر (حامد) لـ(رحيم) فوجده يخرج الكرياج من ملبسه ويختفي من جانبه. لقد فقد الرؤية بعد ابتعاد (رحيم) عنه. لكنه نظر لنفس النقطة الفارغة التي رأى فيها منذ قليل بقعة الضوء.

فجأة وجد سحابة دخانية تدور ببطء حول نفسها وداخلها تظهر حدود جسد شاب يقف. تحرك هذا الشاب للأمام لكنه توقف فجأة كأنه لا يستطيع الحركة. ظهرت ملامح وجه الشاب وملامح حسده العاري.

فتح (حامد) فمه وقطعة الدجاج تقع من يده مما يراه. خطوط سوداء مرسمة على جسد الشاب العاري ودخان خفيف يخرج من تلك الخطوط. أما رأسه فقد سقط معظم الشعر منها وبقيت خصلات بسيطة.

"أنت (حامد)؟"

قالها الشاب بصعوبة وهو يشير بإصبعه ناحيته. فأشار (حامد) برأسه علامة الموافقة. ابتسم الشاب وهو يقول:

"أنا (طه)".

"(طه).. هل يمكن أن أسأل لم لا ترتدي ملابس داخلية؟"

الفصل التاسع
مدينة الموتى

عاد الحي إلى موضع (مهران) بعد ما يقرب من ساعة تقويت الفطور.
فوجد هذا الأخير جالسا على الأرض بجانب قبره. بعد أن ردم موضع
القبر الذي أنشأه منذ قليل

بوجه منخشب نظير (مهران) إلى الحي قائلا:

"بفضل بعد كل تلك الغيبة أن أعرف كل شيء."

انتهى الحي في وفتنه كأنه بدأ يحترم (مهران) لا إراديا. وقال:

"في تلك الشعة خرج على (مرؤى) و(بونس) بعض قطع الطريق
استولوا على جمال كان بحديها (بونس). قاومهم فقتلوه. واعتصموا
(مرؤى) قبل قتلها هي الأخرى."

انتظر الحي ثوانٍ كأنه يتوقع أي ردة فعل أو تعبير على وجه (مهران). ثم
أكمل بعد أن وجد الجمود على وجهه كما كان:

"بعد دفن جثتيهما سافوا الجمال إلى قرية قريبة."

"غيبتك الطويلة تدل أنك توصلت لأكثر مما تقول."

فألبها (مهران). فرد الحي بتلقائية:

"استجوبت العشرات من الجن المحيطين حتى وصلت للقرية وعرفت من
دخل بمواصفات قطاع الطريق إليه. وعرفت أسماءهم: (أحمد بن
يزيد). (أحمد بن إبراهيم بن محمد). و(يوسف العطار). يباهم أهل
القرية والقرى المجاورة."

"أرشدني لطريق هذه القرية."

"لم لا أرى قبرينك؟"

"أرشدني وستعرف كل شيء".

أشار بيده لأحد الاتجاهات وهو يقول:

"سر من هنا بحصانك حتى ترى سبيل ماء فقير. هناك تجد القرية".

نظر (مهران) للاتجاه الذي أشار له الجني. فقال هذا الأخير:

"هل تفكر بأنني أكذب عليك؟"

نهض (مهران) وسار حتى توقف أمام الجني تمامًا وقال:

"أنت في صدقك.. هل تعرف لماذا؟"

لم يرد الجني وهو ينظر لوجه (مهران) بقلق. فأكمل هذا الأخير قائلاً:

"سأشعر لو كذبت علي لأننا من نفس الجنس. فأنا جني مثلك!"

بعدما انتهى من جملة من مذهبه ناحية الجني فجأة.

...

دخل (مهران) سوق القرية ممتطيًا فرسه. يسير بين الدكاكين والباعة مفترشي الأرض وهو ينظر بيمينًا ويسارًا بوجه جامد. توقف بعض الناس في السوق ينظرون بقلق لهذا الشاب الذي يرتدي تلك الملابس الفاخرة التي تعلق بها بعض الغيار فيدا مظهره متناقضًا. وتعلقت عيونهم بالسرج المزخرف الموضوع على فرسه القوي.

نهادى الفرس وسط الناس حتى وصل الى مقرى امتلاً بأفئاص وضعت
خارجه ليجلس عليها الزمان هبط (مهران) عن سهوة فرسه وهو
يلقى التحية على الحالسین.. رد الجميع السلام بحفاوة متأثرين بهيئته
وملابسه الغالية التي تختلف عن ملابسهم جميعاً.

ربط فرسه بجزء بارر بجانب أحد المنازل الملاصقة للمقرى. ثم جلس على
أحد الأقباص الخالية والجميع ينظر إليه كأنهم يترقبون ما سيفعله.

جاء القهوجي فطلب منه ماءً وبنسوناً ومغسلاً. وبدأ الجالسون
بتهامسون بأنه ليس محسراً بعدما لاحظوا لهجته النقية التي تبعد
عن لهجة أهل الصعيد... قال بعضهم إنه ربما من إحدى قبائل
اليمس. ونشأ آخرون ذلك.

جاء القهوجي يحمل الماء والبنسون. عندها سمع (مهران) صوتاً يقول
بمودة:

"ترجو ان بعجبك ينسون المقرى".

نظر (مهران) خلفه جهة الصوت فوجد رجلاً يدخن (شيك دخان) الذي
يشبه الغليون لكن قصبة تدخينه تزيد عن المتر. فانهم نظروا فمه
وهو يقول:

"بالطبع سيعجبني".

"بيدو انك غريب عن بلدتنا".

قال الرجل العبارة متقطعة وهو يستنشق الدخان بين كل كلمة وأخرى
فاعتدل (مهرا) في مجلسه ووجه جسده ناحية الرجل ليظهر له
الاحترام قائلاً:

"صحيح".

"لهجتك عربية، فلا هي تشبه أهل المحروسة ولا أهل البحر".

قال العبارة رجل آخر بلهفة محاولاً معرفة المزيد عن (مهرا)، الذي نظر
له قائلاً:

"لست مصرنا في الأصل.. لكنني أقيم في المحروسة منذ سنوات".

غموض (مهرا) في عبارته المتضخبة جعل الفضول يسري بين الزبائن.

"أنت من اليمن، أليس كذلك؟"

"لا.. بل من بلاد فارس".

"فارسي.. نسمع الكثير عنكم".

انزل القهوجي الشيشة ل(مهرا)، الذي تناول ذراعها ووضع الميسم في
فمه وهو يقول بطرف شفوية:

"وهل تسمع خير أم شراً؟"

"كل خير بالطبع، لكن يبدو أنك تطبعت بطباع المحروسة بسرعة، فأنت
تدخن المعسل بحرقية".

في تلك اللحظة كان وجه (مهبران) خامذا وقد ركز عينيه المتسعة على محدته ودخان المعسل يخرج كثيفاً من أنفه.

"طباع بلاد فارس لا تختلف كثيراً عن طباع أهل مصر".

فألبها (مهبران) ثم دق بطرف ذراع الشيشة على قاعدتها الزجاجية قائلاً:

"كلمة الشيشة أصلها من بلدي، فنحن نقول شيش على الساكنة ولستخدم الشيش الزجاجية في التدخين في كل مكان. لكن النوع الذي نستعمله أثقل بكثير من المعسل هنا".

"سمعت عن المعسل الإيراني لكنني لم أجربه من قبل".

"ربما في زيارتي القادمة أحضرك بعضه لتجربه".

ابتسم الرجل. في حين قال آخر:

"وهل حنت بلداً لتجارة أم زيارة؟"

"حنت لتوصيل أمانة.. مبلغ من النفود لثلاثة رجال".

"من هم؟"

"(يوسف العطار) و(أحمد بن يزيد) و(أحمد بن إبراهيم بن محمد)".

فجأة ران الصمت على الكثير من الزبائن. حتى إن بعضهم ممن لم يسمع المناقشة من البداية نظر متعجباً للهدوء المفاجئ. نظر الرجال لبعضهم البعض ووجوههم تحمل تعبيرات مختلفة تتأرجح ما بين الفلق والخوف والشك.

من أين تعرفهم؟

حملت الأمانة من رجل بالمحروسة دون معرفة هؤلاء الرجال، هل يعرفهم أحد منكم؟

وإن التسمت مرة ثانية قبل أن يكون أحدهم.

ومن هذا الرجل الذي أرسل المال؟

اعترفت فاسته وماله هو أداته أعطيها لمن ذكرتهم.. هل يداني أحدكم عليهم؟

هم سيعلمون بذلك.

قالها الرجل الذي كان يدخن شيشة الدخان منذ المذبذبة لكنه بعدما انتهى من عبارته أدار رأسه بعيداً عن (مهران) فشمعه الجميع بلا تعجب.

انتهى المصلون من الصلاة وخرج الجميع من الزاوية بينما بقي (مهران) جالساً مستقلاً يظهر لعمود من الخشب وسط الزاوية. دخل المسجد ثلاثة شباب مهيئوا الهيئة يحمل أحدهم خنجرًا مزخرفًا في تطلق له حول وسطه. توقفوا أمام (مهران) وقال أحدهم:

أنت الطغى الفارسي الذي بيعت عملاً؟

نظرهم (مهران) متفحصاً وجوههم وهو يقول:

هل أنتم الثلاثة الذين ذكرت أسماءهم؟

نعم.

نطقها أحدهم. فبعض (مهران) بينما تراجع الثلاثة خطوة إلى الوراء يتحفظ. وقال أحدهم:

من أنت؟

أنا (علي بن الصواب).

قالها والسحب من وسطهم يندوه وهو يأخذ نعليه ويخرج من الباب ليرتديه. بمجرد خروجه وجد العديد من الرجال يشنون على مشربة من باب الزاوية ينظرون له بتربص.

تبعه الرجال الثلاثة للخارج مرتدين لعالمهم على عجل ووقفوا أمامه كأنهم يسنون الطريق عليه. نظر لثوانٍ إلى التجمع الواسع فحول إليه للحظة أنه رأى حالة مختلطة اللون تعيط بأحدهم. لكنه رآه أكثر في الثلاثة الواقفين أمامه.

من أرسلك لنا وما هي الأمانة؟

قالها أحدهم فرد (مهران) يندوه:

الأمانة من الشيخ (يونس الحرابي).

لا تعرفه؟

وهو لم يعرفكم أيضاً. قبل أن لغتوه هو وإنه.

نظر الثلاثة لبعضهم البعض والصدمة تسبق الدهشة بينما تتعالى
همهمات الناس الواقفة خلفهم. فجأة أغلق (مهران) قبضته وضرب
أقرب الثلاثة إليه بسرعة فسمع الجميع صوت عظام وجهه تهشم
وسقط صريحا لنوه.

وجهه تهشم وتغيرت ملامحه وقد نفرت بعض عظام الوجه من الجلد.
صرخ الناس بينما أمسك (مهران) بالرجل الثاني من رقبته بعنصرها.
لكن هذا الرجل أخرج خنجره من نطاقه وغرسه في صدر (مهران)
حتى المقيض.

تغلى (مهران) عن رمية الرجل وأمسك مقبض الخنجر وصرخات النساء
تتعالى. أخرج الخنجر بقوة وسرعة من صدره فلم يكن على نصله أثر
للدماء.

تراجع الرجلان الباقيان مذعورين للنوراء. لكن (مهران) غرس الخنجر في
صدر صاحبه وهو يقول بوجهه الجافد وكلماته الهادئة:

“الآن تعرفون معني أن يطلق عليكم لقب (الحي)“.

تعالى أصوات من الناس يصرخون قائلين:

“الجدنا يا شيخنا“

لم يفتنه (مهران) لتلك الكلمات لأنه انشغل بثالث الرجال الذي أخذته
الصدمة فلم يتحرك خطوة واحدة للخلف. لكن كل ما استطاع أن
يردده:

- "أعوذ بالله من خلق الله.. أعوذ بالله من خلق الله".

وقف أمامه (مهران) وأمسك رقبته بيد واحدة يعنصرها وهو يقول:

- "جيد أنك تذكرت الله.. لأنك ستذهب إليه الآن".

أخرج الرجل من حلقه حشرجة عالية محاولاً التنفيس وهو يضرب بيده وجه (مهران).. سمع هذا الأخير صوت شاب يتكلم بكلمات غير مفهومة، وشعر بوجود شيء غريب، اقترب صوت الشاب أكثر واختفى صوت الناس، هنا ميز كلمات الشاب الذي أصبح خلفه تعاماً:

- "عيطوش عيطوش ليطوش ليطوش أروابوش أروابوش أجب يا برفان بخدمك ورجالك وتلبسوا يدي لتصرعوا من يلمسها".

نظر خلفه بسرعة ليحد شاباً يرتدي جلباباً وعمامة ويضع يده على فمه وهو يقرأ تلك العزيمة وضع الشاب يده على رأس (مهران) المدهول وهو يقول:

- "أمسك بمس الصرع بدنًا ونفسًا بحق حراس هبكل (سليمان) شيبيل وهازم وعين الأشرم وابنه".

تصلب جسد (مهران) رغماً عن إرادته ورأسه يكاد ينفجر من ألم غريب انتابه لحظة وضع الشاب يده على رأسه. لكن يده الممسكة برقبة الرجل الثالث لم تتخل عنه حتى إن جسده ارتجى مشارقاً الحياة قبل أن يسقط (مهران) هو الآخر بجانبه وجسده يتشنج رغم أنه مازال يرى بعضاً مما حوله. رأى الشاب الذي صرعه يقف ناظرًا إليه بشك

متفحصاً إياه بعينه وبعض الناس يقبلون يديه متبركين. وأحدى النساء تهتف بفرحة:

”ادعوا للشيخ (إسماعيل الحلاج) أنه نجانا من شر الفتى الفارسي“.

كان (طه) يقف عارفاً بنظر (حامد) بارهاق، وأشار بيديه لملابسه الملقاة على الأرض قائلاً:

”أحضري ملابسي“.

جرت (حامد) ليحضر القميص والسروال والجاكيت ووضعها عند قدمي (طه) الذي قال:

”رايت عوالم لم أكن لأحلم بأن ارتداها. ومع ذلك لم أصدق أنك ستد الغرفة النحاسية!“

انحنى بعدها وأخذ يرتدي سرواله بصعوبة. لكنه سقط فجأة على الأرض. فأسرع (حامد) إليه يساعده على النهوض ويجره إلى المقعد ليجلسه عليه وهو يقول:

”الحمد لله أنك ارتديت سروالك. وإلا لما لمستك حتى!“

اعتدل (طه) على المقعد وهو ينظر للفة الطعام المفتوحة وبعض الأشياء التي أحضرها (حامد). بينما هذا الأخير يتساءل:

”ما سبب السحابة التي أحاطت بك منذ قليل؟“

”لأن الهواء تآبن من حولي“.

"يا نهار أسود!"

نظر له (طه) وقال:

"أنت لم تفهم ما قلت.. صحيح؟"

"صحيح!"

نظر (طه) مرة أخرى للأشياء التي وضعت على المنضدة وهو يمسك عليه صلصلة طعامم ويقول:

"هل طلبت منك هذا؟"

"لم تحدد في الورقة هل تريد معجون صلصة الطعام أم معجون حلاقة. فأحضرت الإثنين."

"من هذا الذي يستخدم لفظة معجون الطعام!"

"أنا أقرأها هكذا على غلب الصلصة. بمناسبة الورقة التي كتبها. أنا إلى هذا الوقت لم أدهش بعد. وعندني ألف سؤال ستفجع مررتي إن لم أعرف أجوبتها! كيف عرفتني وكيف علمت بأمر العرفة النحاسية؟"

أمسك (طه) بقطعة دجاج من لفة الطعام وهو يقول:

"أنت أخبرتني باسمك وبأنك أصبحت سيد العرفة الحديد."

"متى؟"

نظر (طه) مدققًا في قطعة الدجاج التي قضم (حامد) بعضها وقال:

- هل أكلت من الطعام الذي طلبت منك إحضاره؟

- احم.. اترك الطعام الآن وأجيبني متى أخبرتك؟

- في هذا المكان لكن في المستقبل القديم.

- وهل تعتقد أنني فهمتك الآن؟

قضم (طه) قطعة الدجاج ومضغها ببطء. فصرخ (حامد):

- هل ألق لك سيجارة (حشيش) لتجربها بعد تناول الطعام؟

- الحشيش في جاكيت البدلة. لفت لنا سيجارين.

- أهناك حشيش بحق؟

قالها (حامد) منتهكاً. قبل أن يسمع صوت (رحيم) يقول:

- ألا تملك أي فضول حول انتقاله من عالمي لعالمك؟

هنا قال (طه) بعدما ترك قطعة الدجاج:

- بالطبع أنت عرفت مكاني بمساعدة المأمور صديقك.

- ومتى أخبرتك؟ في الحاضر القريب أيضاً؟

- نعم.

- لولم تدخل علي بهذا العرض الغريب لاعتقدت أنك مجنوناً!

”سألخص لك كل شيء لأنني أحتاج مساعدتك.. لقد جاءني (جساس) العرقة القديم ليطلب مساعدتي. وأخبرني بكل الأحداث التي وقعت في العرقة وأدت لتدميرها. وحكى لي عن أبي وكيف ساعدكم في مواجهة (المخلي). وكيف قتله.”

”البراءة لله.”

”ونعم بالله.. المهم.. كما تعرف أنني قتلت (سنان) أحد رجال (المخلي) المقربين. وهذا ما قادك إلي.. وأحبك على هذا الذكاء.”

”ميرسي!”

”لكن ما لا تعرفه أنني استجونه قبل قتله وعرفت الكثير. مثل موعد فتح البوابات وموضع (حبيبة). وخطه هجوم (المخلي) عند فتح البوابات. وخطه خاصة لمع (بصقيدش) من الوصول لأي معلومات تقوده لطائفة تسمى (العفاريت) كي لا يستخدمهم ضده قبل أو بعد فتح البوابات.”

”وكيف سيطرت عليه لنستجوبه؟”

”عن طريق تجارب عملت عليها لسنوات استنادًا لتجارب أخرى قديمة جدًا للعلمين (رودلف أمبرج) و(نيكولا تسلا).. أقوم بصنع مجال كهرومغناطيسي عن طريق الكهرباء ممتزج مع جاذبية الأرض نفسها. هذا المجال من الطاقة يحبس كل ما داخله من طاقات ذات تردد أقل.”

”هل الموضوع له علاقة بإسحاق نيوتن الذي اخترع الجاذبية؟”

قالها (حامد) بجدية. فانسعت عينا (طه) وهو يردد:

“اخترى الجاذبية!!”

“الموضوع له علاقة بالتفاح؟”

“سأحاول أن أبسط لك الأمر. أقوم باستدعاء الجني بشكل طبيعي بطريقة استدعاء من التي تُستعمل في كتب السحر. وفي نفس المكان الذي يحضرفيه الجني أجهز شيئاً يشبه ذلك.”

وأشار للالة في وسط المصنع. ثم أكمل:

“هذا الجهاز ينشئ مجالاً كهرومغناطيسياً قوياً. والجن جسده في الأصل من الطاقة. لذلك أحبسه فيه وأقوم بالتأثير على ذرات جسده من خلال هذا المجال حتى يتكلم. لو أردت قتله سأزيد قوة مجال الطاقة لفترة زمنية حتى يتأثر جسده ويحدث له ما يشبه الفناء من العالم.”

“الموت؟”

“موت واختفاء لطاقة جسده في نفس الوقت.”

“ولو أنني لم أفهم ما تفعله لكنك تتكلم عن شيء يشبه الغرفة النحاسية.”

“أعتقد ذلك. ولو أن الغرفة النحاسية نفسها متطورة عما أفعله.”

جز (حامد) المقعد وجلس بجانب (طه) وهو يقول:

“أكمل.”

”خطر بيالي أن أكون مؤثرًا في عالم (المخلى) لكن بطريقة أسرع. فكرت بأن أدخل لعالم الجن بنفسى“.

”يا ابن المجنونة!!“

”ماذا؟!“

”أكمل من فضلك“.

”معظم التجارب التي اختبرت احتمالية إحاطة المشر بحقول الطاقة فشلت وأثرت سلبًا على المتعرضين للتجربة. بعض التجارب نجحت لكنها بلا قصد فتحت فجوة بين الأبعاد ونم إحلال كتلة المشر للدخول إلى أبعاد أخرى أو أماكن بعيدة عن مكان التجربة في نفس البعد“.

”لم أفهم ولا كلمة!“

ضرب (طه) على جبهته وهو يغمغم:

”كيف أصبحت سيدًا للغرفة النحاسية!“

”هل تقول شيئًا؟“

نظر له (طه) بحسرة وقال بنبرات بطيئة:

”انفتحت فجوة بين الأبعاد وانتقلت لها أجساد من كانوا يجرؤ عليهم التجارب. لكن للحظات أو دقائق“.

”هذي أعصابك وأكمل“.

في كتاب قديم عندي يتحدث عن الجان قال أحد المتصوفة إن فرق أعمارنا لأعمارهم 15 عامًا. أي إن مرور هذه الأعوام في عالم البشر يساوي مرور عام واحد فقط في عالم الجان. فكرت كثيرًا كيف وجدت تلك المعلومة التي هي من تراث الصوفية. منذ مئات السنين لتفسر كيفية طول أعمار الجان وهم لم يتطلعوا على نظريات توصل لها العلم في آخر 100 عام فقط.

- أي نظريات؟ -

- نظرية النسبية لأينشتاين.. ارتباط الحركة بالزمن.

فتح (حامد) فمه. فقال (طه) بسرعة:

- سأحاول أن أمحي هذا الغباء الذي أراد أمامي. (أينشتاين) يقول إنه باختلاف الحركة يختلف الزمن. أي لو زادت سرعتك تباطأ الزمن من حولك. ومثال على ذلك فالزمن على الأرض يختلف عن الزمن على الكواكب الأخرى. فاليوم على الأرض لا يساوي اليوم على كوكب آخر زمنيًا. ولأن جسد الجني وعالمه وحركة جزيئاته أسرع من حركة جزيئاتنا كبشر: لذلك فالوقت عندهم أبطأ من الوقت عندنا. أو بمعنى آخر: اليوم عندهم يمر بشكل طبيعي لكن بالنسبة لنا يمر كأربعة عشر يومًا تقريبًا. ولأن الكون بشكل ما عبارة عن جرد منفصلة من الأزمنة المختلفة فقد فكرت في دخول بُعد الجان بشكل علمي عن طريق فتح فجوة بين الأبعاد. وفي نفس الوقت أشير من سرعة ذرات جسدي عن طريق شحنها بدفعة من الكهرباء لصنع ذبذبة معادلة لذبذبة جسد الجني.

أشار (طه) للخطوط المحترقة في جسده وقال:

"لففت حول جسدي سلًا نحاسيًا ومررت أطرافه بين جلدي ليسري مجال كهربي داخله بقبر من طبيعة جسدي، لكن هذا المجال ينتهي من الأسلاك بعد ساعات من زمن عالم الجان. أي يومين من عالمنا. وعند انتهاء سريان الشحنة الكهربائية في السلك يعود جسدي لعالم البشر مرة ثانية. لكن إن لم أختار المكان فسأعود في أي مكان يكافئ عالمهم وعالمنا".

"أنت في عالم الجان منذ يومين؟"

"لم أكمل اليوم وانتهى الشحن من الأسلاك".

"لم؟"

"لأنني في عالم الجان تعلمت الانتقال بين الأماكن بمجرد التفكير، لكن هذا يأخذ جزءًا من الطاقة في الأسلاك. وتعلمت الكثير من الأشياء. كالتحدث مع البشر أو تحريك أشياء في عالمنا، حتى اكتشفت قدرة غريبة تهلك جزءًا من الطاقة".

"لا أعتقد أن هناك أغرب من انتقالك لعالم الجان!"

"كنت قد سألتني كيف عرفت بوجودك في المصنع وكيف أنني تحدثت معك سابقًا".

"أموت وأعرف السبب".

"لأنني اكتشفت أنني أستطيع الانتقال للمستقبل!"

...

أزاح (عماد) باب الغرفة النحاسية بصعوبة وخطى داخلها بخطوات
واثقة. نظر حوله لتفاصيل الغرفة التي عرفها منذ فترة فوجد نفس
النقوش لكنها ثابتة بلا حركة. وبعضها تغير كأنه حذف... بعض
المساحات على الحوائط أصبحت فارغة. وفي ركن مظلم من القاعة
وجد رجلاً يرتدي جلباناً وطاقيّة ويمسك في يده عوداً خشبياً كأنه
قلم. الرجل بعطي ظهره ل(عماد) لكن يبدو أنه منهمك في شيء ما
يفعله. شعر (عماد) بخطوات خلفه فنظر ليجد (حازم) يقف وهو
ينظر له بدهشة. فقال له:

- "تبعني للحلم مرة أخرى يا صديقي؟"

ابتسم (حازم) وهو يقول:

- "أسمعك جيداً.. يبدو أننا نحلم مرة أخرى كأمس. لكن ما السبب؟"

نظر (عماد) للرجل الممسك بالعود وقال:

- "من الممكن أن تكون رسالة لنا من عالم آخر.. شخص ميت أو جني أو
أي شيء. لكن يجب فهمها. ومعرفة من يكون هذا الشخص."

تقدم (حازم) خطوتين ليقف بجانب (عماد) وهو يقول:

- "يشغلني مرسل الرسائل أكثر منك. نفس نوعية الأحلام تلك جاءت لكل
من كان له علاقة بالمخطوطة من البداية. كأنها تحمل تحذيرات أو
تفسيرات."

"لا أخجل من الاعتراف بأن الحديث في الحلم مع شخص آخر ممنوع وخاصة..."

فتح (عماد) عينيه ليجد نفسه على جانب الفراش في غرفة نوم (حامد).
ابتسم وهو يهض وينظر لهذا الأخير، الذي تهض بدوره وهو يقول:
"كنت تقول إن الحديث في الحلم مع شخص آخر ممنوع وخاصة ماذا؟"

...

"قل لي إنك انتقلت لعالم الجان وأحببت بنت ملكهم وهرتعا معا لشقة
في إمبابة لتتزوجا عرقي وسأنتهم! لكن لن أستطيع هضم موضوع
انتقالك للمستقبل هذا!"

قالها (حامد) وهو يهرش في رأسه وينظر للأرض.

"أذهب لجاكيت البدلة الملقى على الأرض هناك وافتح جيبه الجانبي".

قالها (طه) وهو يشير للملابس الملقاة. فهض (حامد) وهو يقول:

"هل ساجد المستقبل داخله هو أيضًا؟"

"لا. بل ستجد عليه سجانر وولاعة. احضرهما".

"حدامنتك (أمينة)!"

أحضر (حامد) السجانر فأشعل (طه) إحداها وهو يقول:

"لم أصدق ما حدث في أول مرة، تخيلت نفسي أهلوس، لكن التجربة أثبتت هذا الشيء العرّيب.. لم يكن انتقالاً في الزمن بالمعنى الذي فهمته، لكنه عبارة عن رؤية لمستقبل ما أنتوي فعله."

"أترى أم تنتقل؟"

"الانتقال للمستقبل علمياً خيال، أو على أقل تقدير مستحيل علمياً في هذا الوقت، لو أردت مثلاً أن تنتقل عبر الزمان فيجب أن ينتقل جسدك بسرعة تزيد عن 300 ألف كيلومتر في الثانية وهي سرعة الضوء، وبرغم أن بعض التجارب استطاعت اختراق هذه السرعة عن طريق نبضات الليزر بسبب عدم وجود كتلة لها، إلا أن جسدك له كتلة ستزيد بمجرد زيادة السرعة."

"إذن الانتقال مستحيل؟"

"مستحيل لعالمنا كبشر، لكن لا أعلم إمكانيته في عالم الجان، الفوانين الفيزيائية التي تحكمه لا أعلم بشأنها الكثير، وكما قلت لك كل ما كان يحدث هو أنني في عالم الجان عرفت بأن كل شيء يتعلق بالطاقة، ولأن الأسلاك المغروسة في جسدي محملة بشحنة ضخمة من الطاقة فقد فهمت كيف أطلقها لأنتقل من موضع لآخر بسرعة، وحتى أؤثر في جان آخر كإني أضربه برصاصة من الطاقة فنقتله.. حتى ذهبت لأرى (حبيبة) في الموضع الذي حدده (سنان)، لأكتشف أنني بمجرد أن قدمت بإخراج طاقته عالية من جسدي وفكرت بأن أدخل إليها: إذا بي أحس معها في غرفة، كأنه مشهد من فيلم يعرض أمامي."

"هل تحدثت معها؟"

"لا.. شاهدت أنني معها في غرفة نُقش على حوائطها الكثير من الطلائع التي لم أرها من قبل. تأملت جوانب الغرفة فوجدت مرةً مظلماً في ركنها بقود لشيء ما. أما (حبيبة) فكانت ممددة على الأرض في سبات تام. شعرت بضغف شديد مع عدم قدرتي على التحرك. وكأنني أصبت بمرض ما".

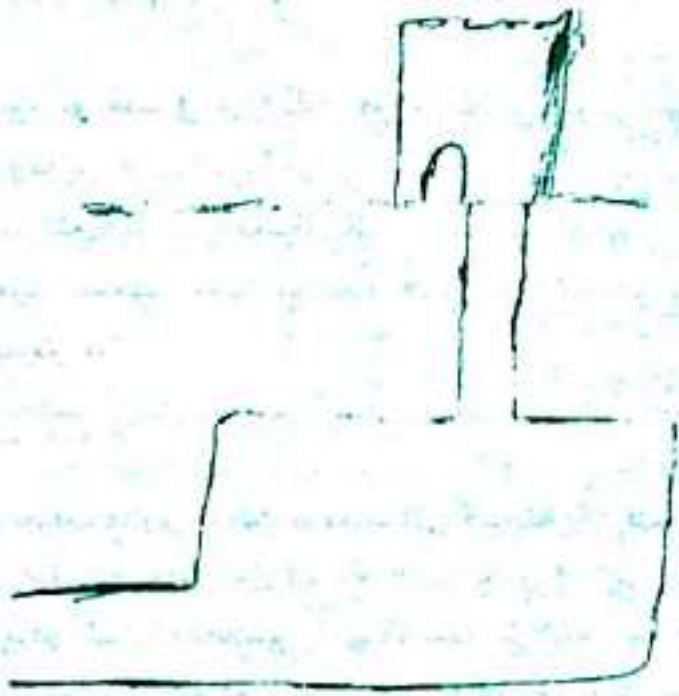
"وماذا حدث بعدها؟"

"في البداية تخيلتها هلاوس. فعلت ما فعلت المرة السابقة لكن هذه المرة نويت أن أنزل المعروءة وأدخل الغرفة. فرأيت نفسي في الممر المظلم وأخردت الغرفة الممتلئة بالطلائع و(حبيبة) ممددة على الأرض كما هي. حاولت الدخول إلى الغرفة فلم أستطع. حانط غير مرني كنت أصطدم به".

"ما هذا المكان الغريب؟"

رسم (طه) السبحارة على الأرض وقلَّب في الأشياء الملقاة على المنضدة حتى وجد ورقة فارغة وقلَّنا. رسم عليها بشكل سريع وصفاً للمكان. ثم أظهر الورقة ل(حامد) وهو يشير إلى جزء أسطواني قائلاً:

"في الصحراء وعلى رأس تل رملي بجانب عرب مطير بأسبوط يقع هذا الجسم الأسطواني. والذي يسميه الناس باسم الهنتيكة".



“لا أرى إلا علية من الصفيح نشه علية البيسي”.

“هذا الجزء من معدن لم يتم تحليله. مغروس في الرمال منذ آلاف السنين. لم يحدد أي عالم آثار ماهيته أو تاريخه أو حتى سبب وجوده الغريب في هذا المكان”.

“وما معنى الاسم الذي أطلقه الناس عليه؟”

“الهنليكة.. أعتقد أنها طريقة نطق بعض قرى الصعيد للفظة انليكة. بعض الناس يقول بأن فرقة عسكرية من جيش الإسكندر المقدوني وضعوها كعلامة لهم على مدينة فرعونية تمثلن بالكنوز تحتها ليعودوا لها مرة ثانية”.

ثم أشار إلى قطعة من الرسمة وهو يقول:

- "هذا موضع الغرفة، مدفونة بما يقرب من ستة أمتار للأسفل من هذه الهنبيكة. وهذا هو الممر الذي يفود لشيء لا أعلمه".

- "وما الحل؟"

- "الحل في كائن لا يتأثر بعالم الجان وتعاوبه. وفي نفس الوقت يمتلك القوة اللازمة لدخول هذا المكان والخروج منه (حبيبة)".

قالها (طه) وهو يلتقي الورقة على المنضدة ويتناول قطعة دجاج لياكل منها.

- "قرين (إسلام)!"

قالها (حامد) وهو يفرقع بإصبعيه. فرد (طه) بعدم اكترات وهو يمضغ الطعام:

- "فكرت في ذلك بعدما أخبرني (الحساس) بأخر ما عرفه عن انفصال قرين صديقكم وقوته الطاغية. وذهبت إليه في بيته وكدت أن أقتل!"

- "تقصد شاهدت نفسك في المستقبل؟"

- "لا.. فقبل أن أزور (إسلام) فرغت شحنة الطاقة التي كنت أمتلكها بسبب إنقاذي لجواسيس الجان الذين عرفتهم من (سان)، ومحاولة إيقاف المعارك بينهم".

- "جواسيس الجان؟"

- "أسأل (بصفيدش) الذي تتصل به أنت وأصدقائك. هو من جعلهم عرضة للقتل بعد استخدامهم ككمين (المخلي)".

”كيف عرفت كل تلك التفاصيل؟“

”الحماس القديم و(سنان) أخيراني الكثير جدًا حولكم.. المهم، بعدما انتهيت من مسألة الجواسيس جئت هنا لقرب انتهاء شحنتي، واستخدمت آخر مرة أستطيع فيها رؤية المستقبل ورأيتك وتحادثنا، فتركت لك الكلمات، وذهبت ل(إسلام) في منزله فوجدت قرينه الذي كاد يقتلني.“

”كيف؟“

”كان يبحث عني في البداية، لاحظت أن الجان لا يروني بشكل طبيعي، لكنهم يخافون من وجودي.“

همس (رحيم) في أذن (حامد):

”نراه كأنه بقعة ضوء ساطعة.“

أعاد (حامد) العبارة على (طه) وأعلمه أنها من (رحيم)، فهزّ (طه) رأسه متفهمًا وأكمل قائلاً:

”عندما خبثت شحنتي عرف مكانني، لا أتذكر سوى أنه مد يده داخلي مسببًا ألمًا غريبًا، أفرغمت آخر ما أمتلك من مجال كهربي لأهرب وأعود لهناء قبل أن يعود جسدي لطبيعته.“

”طه).. اعتقد أنه يجب إشراك أصدقائي في هذه المعلومات.“

”وهل سنخبرهم عني؟“

”اعتقد.. سيوزونك في المستشفى ويحاولوا...“

قاطعه (طه):

”أي مستشفى؟“

”التي ستنتقل لها، جسدي يمتلئ بالحروق ولا أعرف هل هناك ضرر داخلي أم لا!“

”بالتأكيد هناك ضرر داخلي أشعر به منذ عدت. ومع ذلك لن أذهب لأي مكان، لا وقت لهذا الترف، يجب أن أحاول العودة لعالم الجان مرة أخرى لأقتل (المخلي).“

”تقتل (المخلي)! تتحدث عن قتله كأنك ستقتل ذكر بطا!“

”يكفيني المحاولة. وخاصة أنني سأخاطر لآخر مرة بالعودة لعالم الجان.“
”تخاطر؟“

”لا أعرف هل الأسلاك في جسدي تتحمل مرة ثانية أم لا. المهم أنك ستساعدني. أليس كذلك؟“

”بالطبع!“

”إذن جد طريقة لإقناع (إسلام) بالسفر صباحاً لتلك المنطقة ونقل (حبيبة). لكن في موعد محدد.“

”ما هو الموعد؟“

”سأحدد لك الموعد في الغد لو انتقلت لعالم الجان بسلام. لأنني اكتشفت أن (حبيبة) لو خرجت قبل موعد فتح الموابات سيبتدلها بأبي فتاه عدراء أخرى.“

”ولم أأخذ (حبيبة) بالذات؟“

”لا أعرف. ربما نوع من الانتقام من كل ما يخص صديقك (يوسف) ونسبه لذلك الشخص الذي تسبب في سجنه.“

”لحظة.. كيف سيقوم قرين (إسلام) العاري بإخراج (حبيبة) أمام الناس؟“

”فكر بطريقة لتجنب الناس.“

قالتا (طه) ونهض من المقعد بصعوبة وهو يقول:

”أذهب أنت الآن وتأكد من أن يتواجد (إسلام) غدًا قبل الساعة الرابعة عصرًا بالقرب من الهنئكة. وانتظري أنت هنا بجانب الغرفة النحاسية حتى أخبرك ببقية التفاصيل.“

”وأنت متى ستنتقل؟“

”سأخلق شعرا ممي وأرتاح قليلاً لأفكر وأقوم ببعض حساباتي. ثم أعود لعالم الجان.“

”لم تخبرني متى موعد هجوم (المخلي).“

”لقد بدأ الهجوم بالفعل!“

الفصل العاشر

النهاية

فتح (مهران) عينيه مرة واحدة كأن وعيه عاد إليه فجأة. نظر حوله
فعرّف أن الظلام هو ما يحيط به. لكنه كان يرى جيداً. يرى في العتمة
كل شيء بلون يميل للأحمر الباهت. وجد نفسه في غرفة فقيرة امتلأت
أركانها بكتب كثيرة وأوراق لم يتبين نوعها.

هنا أحس بقيد على يديه. كل يد عنيا كلابية حديدية تخرج منها سلسلة
عريضة تربطه للجائط بحلقة معدنية.

شعر بالسخرية من غباء من فيدوه. بالتأكيد لم يعرفوا حجم قوته بعد.
جذب يده ليكسر القيد ففشل. حاول بشوة أكبر وهو ينظر لبده اليمى.
فوجد هالة متغيرة الشكل تحيط بالقيد.

في الظلام رأى طلاس كُنيت على القيد تخرج إضاءة زرقاء منها.

انفتح باب الغرفة ودخل شاب يحمل قنديلاً مضاء بيده فتبدد الظلام
وعاد (مهران) يرى ما حوله. نظر لقبده فوجد الهالة المحيطة بها كما
هي لكن الطلاس كُنيت باللون الأحمر.

"سمعت صوت القيود تتحرك فعرّفت أنك أقيمت".

نظر له (مهران) بوجه بارد يتأمل ملامحه. هو نفسه الذي قتل الناس يده
وهم ينادون اسمه. (إسماعيل العلاج).. لن ينسى هذا الاسم الذي كان
السبب في هزيمته بعدما عاد من الضرب. (إسماعيل) يقف أمامه بشأبه
المنعق ولحيته الصغيرة وقد خلع عمامته فظهر شعر قليل في رأسه.
نطق (مهران) بهدوء قائلاً:

"كيف طبقت الصرع بدون تلبس يدبك بعد كتابة الطلاس عليها".

لم يتغل (إسماعيل) عن ابتسامته وهو يجلس متربعا على الأرض أمام
(مهران) ويضع القنديل بجانبه قائلا:

- "وتعرف أيضًا تلبيس الكف والصرع به. جيد جدًا. يمكنني أن أجيبك
عن أسئلتك لو أجبتني أنا أيضًا عما يدور بخلدي. اتفقنا؟"

لأول مرة يشعر (مهران) بقوة نفسية تخرج من شخص أمامه. برغم أنه
رأى في المحروسة العديد ممن يمتلكون خدمات الجان أو يستخدمون
السحر. إلا هذا الشاب. كان تأثيره عليه يشبه الوقوف أمام عدو
يحترم قوته وبهاها.

- "اتفقنا".

قالها (مهران) فاخضت ابتسامته (إسماعيل) وقال:

- "هناك طرق مختلفة لإحداث الصرع. تلبيس الكف بالطلاسم إحداها
فقط. والطريقة التي تعلمتها تمكنني من تلبيس كفي بمجرد القراءة
عليه.. قل لي إن لا يوجد فربن لك؟"

- "لم أتوقع أن يكون هذا هو سؤالك الأول. تخيلت أنك تريد معرفة كيف
لم أمت".

- "وأنا توقعت أن تسأل عن فيدك. لا عن طريقة تلبيس اليد".

ابتسم (مهران) ابتسامته صفراء وهو يقول:

"يبدو أن من هم مثلنا لا يندمسون كثيرًا. ليس لي فريس لاني ولدت هكذا. والان أخبرني عن استخدامك لهذه الطلاسم على فيدي. لم وضعتها؟"

"لأنني استعملت عنك قلم أجد قريبًا لأعرف أي شيء منه. و(يوسف العطار) غرس خنجره فيك فلم تتأثر كأنك لست من البشر. وفي نفس الوقت لست من الجان. وحتى لو كنت جنبًا تحوّل لبشر ويعيش بيننا لست من فورك. لذلك استخدمت قبيدًا يمكن أن يعيق البشر وطلسمته بطلاسم تعيق الجان عن الإفلات منه. أي إنني استخدمت طريقة لإضعاف البشر والجان. وأرى أنني نجحت."

"تعرف أيضًا الجن الذي يعيش بين البشر؟"

"وأعرف أنك في مرتبة أعلى منهم. كأنك نحوي صفاتهم وصفاتنا. لذا أحب أن أعرف. ما أنت؟"

"أنا (الحي بن القصاب بن شادق)."

ظهرت الجدية فجأة على وجه (إسماعيل) وهو يتساءل:

"(شادق) قبيلة الجان الفارسية التي تعرس البوابات؟"

ابتم (مهران) هذه المرّة ابتساماً انتصاراً وهو يقول:

"أنت حقاً تعلم الكثير كما توقعته. دورك لتعرفني بنفسك وكيف تعلمت كل ما عرفته."

"ولو أنك لم تخبرني بكل شيء عنك لكن الوقت رخيص بمجلسنا.. سأعرف لاحقاً.. أنا (إسماعيل العلاج). ولدت في قرية (العصارة) بعدما مات أبي وأمي بمرض لا أعرفه قبل أن أدرك وجودهما حتى. تكفل بي سيدنا (عامر الدويشي) أنا وبعض الأيتام بالقرية. عشنا بمنزله الذي اعتبره الناس وقفًا للأيتام في قرنتهم من الرجل النازح من قبائل الجزيرة العربية. لكننا عرفنا مع الوقت أن سيدنا لم يكن من إحدى القبائل يشبه الجزيرة لكن نسله يمتد إلى اليمن، وأصبحنا جميعًا من مردي قبيلة (الثقاف)".

"أهي تنع طرقيًا صوفيًا لتصبح من مرديها؟"

"أجب عن سؤالي أولاً. كيف تكون أبنا للجان؟"

أجابه (مهران) ببساطة:

"والذي أحد المتحولين الجان. وكان..."

فقاطعته (إسماعيل):

"المتحولون ليس لهم أبناء. لا يمكنهم الإنجاب".

"هذا ما اعتقده والدي في البداية فابتعد. لكنه عاد ليعلمني كل شيء عن السحر والتعامل مع الجان. حتى مات حزناً علي".

"حزناً عليك؟"

"لأنني قتلته وذقت".

"ذقت؟"

- "تعم، وعدت من قبري بعد تسع سنين".

- "تسع سنين!"

قالتا (إسماعيل) ووجهه يتجهيم. ثم أكمل قائلاً:

- "كأنك تولد من جديد".

- "ملحوظة غريبة لم أفكر فيها.. أكمل حكايتك".

تهب (إسماعيل) وظهر القلق في نبرات صوته وهو يشول:

- "أراد سيدنا أن نتعلم كل ما عرفه عن السحر لأن الله لم يرزقه بأولاد، وقبيلته تتوارث أسرارها بين أبنائها عند مئات السنين. كان بعضهم قد هاجر إلى الجزيرة العربية ثم هاجر هو من بينهم إلى أسبوط. تربيت أنا والبقية في كنفه نتعلم منه حتى مات بعد أن أصبحت لدينا تلك الكتب التي نسخناها من حديثه ومما تعلمنا منه. (علم الأقاليم الروحانية) الذي برعت أنا فيه. و(علم الكواكب والأفلاك) و(علم الحرف وتصريفها) و(علم الزايرجة والعروش). وعلوم كثيرة برع فيها من كانوا معي كل في علمه. اعتبرتنا الناس من المتصوفة أصحاب الكرامات ولم يدققوا في طرق نطقنا للعزائم. فقد أخبرناهم أننا تعلمناها من الملائكة وأنها نتيجة خلوات لله نفوس بها. ثم انشأنا في الصحراء الغرفة المطلسة. لنتمكن من السيطرة بشكل أقوى على عالم الجن".

- "تسيطر على الجن بهذه الغرفة؟ كيف؟"

"قل لي أنت أولاً.. ما الذي يمكنك فعله وكيف لا تموت؟"

"لم أعرف حدود قدراتي بعد. صفات من الجان وصفات من البشر. لا يمكن أن أتخذ حادماً من عالم الجان كي لا يكتشف شخصيتي ولكن أستطيع قتلهم ببساطة في نفس الوقت. ضربت بالبارود والسكين ولم أمت. لا أنزف دماً بسهولة. وإن نزفت لا تزيد عن قطرات صغيرة صفراء.. أستخدم السحر كبشر ولم أكن أعرف هل يؤثر في أم لا. وعرفت اليوم منك.. أكتشف من حين لأخر قدرات جديدة."

"لا أستطيع تكذيبك بعد ما رأيت.. سألت عن العرفة المطلعة. هي عرفة تعلمنا صنعها من سيدنا وكتبه التي نسجناها."

قالها (إسماعيل) وهو يشير للكتب المترجمة في العرفة. ثم أكمل:

"عسارة عن عرفة نلقت عليها الطلاسم لتحميننا من رؤية الجان لنا ونحن بداخلها. نستدعي الحي لها فيفقد قواه فيمكننا قتله أو استحوابه. وفي بعض الأحيان لتغير الطلاسم فنعرف اللبيل عن عالم الجان وأخباره."

"تغيير؟"

"في العلم الذي برعت فيه هناك طلاسم نُنقش على أحجار ولا نكتب. ويقرن عليها جان أو موضع. ينحرك الحجر عند تغير حال الحي أو الموضع."

"الأفلام الروحانية هي علم الطلاسم. أليس كذلك؟"

ابنسم (إسماعيل) وهو ينحس إلى الكتف فيبحث بيها حتى أخرج ورقة
 قريبا من وجه (مهران) وهو يقول:

- كل أقلام الطلاس التي يستخدمها البشر تعلمتها -

وهذا حروف خط و قلم -

ا	ب	ت	ث
هـ	د	ذ	ح
ط	ي	ك	ل
م	ن	س	ع
ف	ر	ق	ش
تث	ث	ن	ح
د	ر	ط	هـ

دقق (مهران) في الطلاسم بعينه وهو يقول:

"تعلمت بعضها لكن لم أتعلم معناها".

أعاد (إسماعيل) الورقة لموضعها وهو يقول:

"يمكنني أن أشكل الطلاسم بنفسني وهو ما لا تعرفه بالناكيد".

ثم عاد للجلوس أمام (مهران) وهو يقول:

"تفرقنا أنا ومن تربوا معي بقري الصعيد والإسكندرية. لكننا نعود

للغرفة حينما يحتاج أحدها لها. فجئت إلى هنا منذ سنين وافتتحت

محلجًا للقطن. وأحبني الناس للغرائب التي أظهرها لهم معتقدين أنها

كرامة ولي. منهم من يأتي طلبًا للشفاء من الحمى أو العقم. ومنهم من

يعلم بأن يتبع طريقي الصوفي.. الآن أنت تعرف الكثير عني.. ما السبب

إدس لقلبك (أحمد بن يزيد) و(أحمد بن إبراهيم) و(يوسف العطار)؟"

"قاموا بقتل حماي وسرقته. وقتلوا زوجتي بعدما اغتصبوها!"

ابنهم (إسماعيل) ابتسامة واسعة وقال:

"وما المشكلة في أن يسعى رجالى لرزقهم؟"

اتسعت عينا (مهران) وهو يردد:

"رجالك!!"

"رأيتك في المسجد وصلبت بجانبك ولم أدرك أنك تنتظرهم. أعترف أنك

خطفت ذهني وأنت تقتلهم ولم أكن لأنحرك لولا طلب الناس الفجدة

خوفًا منك. فلا يعرف أحد صلتي بهم. وعندما صرعتك تقلك الناس إلى بيتي لحبمك".

حاول (مهران) فك السلاسل والقيود وهو يشدها بعنف بينما (إسماعيل) يكمل بنفس الالتماسة:

"يعملون هم وغيرهم تحت إمرتي سرًا. لكن للأسف ما فعلوه بحماك وروحك لم يكن من تخطيطي ولم أعرف عنه إلا بعدها".

"سأقتلك!"

صرخ بها (مهران). فمضى (إسماعيل) نحو الباب حاملاً القنديل وهو يقول:

"لن أتركك لتعيش. سأجد طريقة لقتلك".

ثم رمى (مهران) وقال بجديّة:

"دم رحالي لن يذهب هدرًا"

ثم غادر الغرفة.

لم يحرك (مهران) عينيه عن قيده وهو يرى الطلاسم تتألق في الظلام. مرت ساعات منذ تحدّث مع (إسماعيل) ثم قرر قتله. فجأة جاءته فكرة، في الضوء الطبيعي تصيح الطلاسم حمراء، ومن لونها رجع أنها ليست من الحجر أو الزعفران. قريب يده اليمى من الله وشم القيد. وانحتها تشبه الدماء.

فدرب أسنانه من القيد الذي يحيط بمعصمه وأخذ يكحت الطلاسم بقوة
مها.

اخشى جزء من الطلسم وتغيرت الهالة المحيطة به، فأمسك بيده
اليسرى قيد يده اليمنى وخلعه فانفتح وتحررت يده.

تنفس الصعداء، وسريعاً فعل في قيد يده اليسرى ما فعله لتوده حتى
تحرر منه.

نهض واقفاً وهو يفكر فيما سيفعل وكيف يقتل (إسماعيل). لا يعرف
بعد ما هي قدرته ليستطيع مواجهته. ولن يترك له فرصه السيطرة
عليه كما حدث من قبل.

فتح باب غرفته يهدوء ليجد صالة منزل واسعة مظلمة تمتلئ بمقاعد
خشبية كثيرة، نظر حوله في الظلام فوجد غرفتين، إحداهما مغلقة
والأخرى مفتوحة. تأكد بأن المفتوحة خالية ثم وقف عند باب المغلقة
وهو يتذكر جيداً ما تعلمه من والده.

نظر للسقف فوجد عمار المكان من الجن ينظرون إليه. ففكر أنه لا يمتلك
الوقت لصرفهم، فيجب عليه أن يبدأ الآن. أشار بإصبعه ناحية باب
الغرفة وهو يقول همساً:

"أه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن الرحيم، ألا تعلقو علي وأنوني
مسلمين، مسرعين طائعين عزمت عليكم يا خدم يارلبابيل أن تُفلقوا
الباب ولا تفتحوه إلا بأمرى. بحق طلاش طلاش طياش طياش آل
شداي أن شداي آل حشاه آل حشاه".

قال في نفسه إن (إسماعيل) عاجلاً أو أجلاً سيفك طلسم غلق الباب لكنه يؤخر الوقت ليفتني مما يشغله. أغمض عينيه وهو يتذكر ويقول:

“أوليس للزجر الشديد قواطع قد لاح كالنيران. بأبارش ببارش وهيارش حل المهيم من منزل القرآن، جبريل فاهبط بالثريا عاجل نادي هبوط مسعر النيران، نادي سيوط مع طينقود بدت هبتها بكل مكان. الحرف على من يعصي منكم بنور دبعوج طلقت عنان. أقسمت أقساماً بعزة بطهش وبتطهشان ذكره بركان..”

توقف (مهران) عن التكملة حينما سمع طرقات من (إسماعيل) على الباب وهو يحاول فتحه. حاول (مهران) التركيز وهو يكمل.

“عرفانيل فاهبط عاجلاً بعزيمتي واستقم (إسماعيل الحلاج) بسقم الموت العاجل. بسطوة ميكانيل فالأرض زلزلت. وسنحة إسرائيل نيام الأرض أفلقت. وبقبضة عزرائيل معاشر الجن قد أقهرت. نمذوا يا خدام الجلجوتية الوحي العجل العجل الساعة الساعة..”

توقف (إسماعيل) عن الطرق وجاء صوته من الداخل وهو يقول صارخاً:
“ماذا فعلت يا أحمق؟”

تراجع (مهران) بظهره وهو يقول:

“ستموت في غضون يومين على الأكثر. لذلك أودعك الآن مع وعد بالمقابلة في الآخرة يا (حلاج).”

دخل (مهران) للغرفة التي كان محتجزاً بها وخلع عباءته المترية وهو يضع
بها كل ما استطاع وضعه من كتب وأوراق. وغادر المنزل ودقات عنيفة
من داخل الغرفة تلاحقه.

نظر (طه) لكومة الشعر المنخلفة عن حلافته لشعر رأسه. ثم نظر للورق
الذي يمسك به وقد خط عليه عشرات الخطوط والأفكار والعمليات
الحسابية. ثم القر به فوق كومة الشعر. وانحنى بشعل فيه النار
بقداحته.

لمس بأصابعه مواضع حرق السلك النحاسي لجسده فلم يشعر بأي ألم.
لم يهتم وهو يخلع سرواله ويتجه إلى جهازه.

اليوم التالي (أصبحاً)

"اتصلي يا (حامد)؟"

فالتها والدته وهي تقف أمامه وهو جالس على سجادة الصلاة ويمسك
مسحة محرّكاً شفتيه. فأشار لها برأسه علامة الإيجاب.

"ولم ترتدي جلباب والدك؟"

"لا أعرف. لكن الجلباب يشعرتني بالخشوع أكثر."

"والايس كان على رأسك ماذا يفعل؟"

"لم احد طافية تليق بالجلباب."

- "هل هناك امتحان قريب بكليتك؟"

- "وهل أصابي كلما افترت الامتحانات فقط؟!"

- "أجل يا حبيبي".

تهض من على السجادة وأمسك يد والدته يقبلها ويشول بتأثر:

- "سامحيني على كل ما فعلت يا أمي!"

- "كل هذه الدراما لا تليق بك يا أحمق!"

- "لم لا تركبني لأعيش الجو يا حاجة!"

ذهبت أمه وهي تضرب كفا بكف مهممة بكلمات غير مفهومة. بينما صوت (رحيم) يخترق أذنه قائلاً:

- "أرجو أن تكون قد انتهيت من عرضك الديني لنبدأ عطلنا".

- "لن تستطع الشعور بما يحول في خاطري يا (رحيم). لقد مات سيد العرفة النحاسية القديم قبل أن تبدأ الحرب وأشعر أنني سألحق به. خصوصاً وأن الحرب قد بدأت هذه المرة!"

- "لا تخف. فالأحمق لا يموت معارنا في عالمكم".

دخل (حامد) غرفة نومه وهو يقول:

- "لا اعرف أشكرك أم أسبك!"

- "افعل ما تريد. المهم قل لي ما خطوتنا القادمة".

أمسك (حامد) هاتفه المحمول وهو يقول:

”ستعرف حالاً“.

جاءه صوت (رحيم) يقول بسرعة:

”انتظر.. لقد ظهرت بقعة الضوء أمامي.. (طه) هنا!“

توقف (حامد) عن طلب الرقم وصوت (طه) يهمس في أذنه:

”لقد انتقلت بنجاح لعالم الجان مرة أخرى يا (حامد)“.

”إذن قل لي هل ترى مستقبل ما سأفعله؟“

”لا أعرف نبتك بعد لكن في كل الأحوال لن أهدر طاقتي. فهذه المرة ربما تكون الأخيرة لي“.

”كنت سأتحدث مع (عماد) الآن“.

”لا.. قبل أن تتحدث معه أرندك أن تحدث شخصاً آخر.. الرجل الذي كلغته بالبحث عني.. وبعد ذلك سترسل معي (رحيم) لمهمة خاصة“.

”هذا الكلام لا يصلح في الهاتف يا (حامد)“.

قالبها (عماد) وهو يتحرك مضطرباً في منزل (حازم).

”افهمي يا (حامد). لا يمكن أن يسافر (إسلام) لهذا المكان الذي تصفه. ردود أفعال (إسلام) غير متوقعة ويمكن أن يؤدي أيًا ممن حوله. على كل نعال لشقة (حازم) عند الساعة التاسعة وسأحاول بكل الطرق أن ينواحد (إسلام) في نفس الوقت ومعها (رقية). فهمي الوحيدة التي ستفعله“

ثم أغلق الهاتف وهو ينظر لـ (حازم) الذي جلس على المقعد الآخر يرمقه بعين نصف مغلقة من قلة النوم.

- (حامد) يقول إنه يجب على (إسلام) التواجد قبل الساعة الخامسة اليوم عند مكان يدعى الهنتيكة ليحضر (حبيبة)."

قالها (عماد) لكن لم يبذُ على (حازم) الناثر وهو يقول:

- "وهل ستصدقني (حامد)؟"

- "ولم أكذبه؟"

- "ببساطة لأنه (حامد)!"

جلس (عماد) بجانبه وهو يعقد ذراعيه أمام صدره ويقول:

- "لكنه قال لي إن (المخلي) بدأ في التحرك بالفعل."

طار المعاس من وجه (حازم) وعيناه تتسع تلقائياً، فقال (عماد) وهو يرمقه:

- "تفكر مثلي في غياب (قاصيم) أمس بعد أن ترك رجاله معك ولم يحب استدعاءك حتى الآن.. أليس كذلك؟"

- "لو صخ كلام (حامد) فد (قاصيم) الآن في صف قبيلته داخل الحرب الدائرة."

- "و (قاصيم) هو حلقة الوصل بيننا وبين (بصفيش)."

- "هل عرف (حامد) مكان (حبيبة) من خلال الغرفة الفعاسية؟"

امسك (عماد) هاتفه المحمول وهو يستعد للاتصال برقية) قائلاً:
- "يقول إن مصدر معلوماته آخر شخص يمكن أن نتوقعه.. ابن (عباد)."
- "ماذا؟!"

لم يجب (عماد) وهو يرفع هاتفه لأذنه ليتحدث مع (رقية).

- "أحضرت لي (قصعان)".

قالت (المغلي) لأحد رجاله بينما يسير بين حراسه بملابس الحرب، فجرى
الرجل لتلبية مطلبه، بينما قال أحد الحراس:

"لم أتق في ذي القرن من قبل يا سيدي. ولاؤه غير مأمون".

"ولم أتق أنا به من البداية لكنه لا يملك الكثير أمامنا".

"يملك اليأس من حياته".

- "بالعكس. يملك الأمل في أن يعيش بعد فتح البوابات".

قالت (المغلي) وهو ينظر لحارس آخر قائلاً:

"هل يحصل (كاسب) جاسوس (بصفيديش) على المعلومات التي أخبرتك
بها بالنظام؟"

"كما طلبت تمامًا".

انسم (المغلي) وهو يغادر قصره قائلاً:

- "شقيقي يعرف أنني زرعت جاسوسنا عليه في المقابل. برغم أنه يعرف بأمره ويعطيه معلومات زائفة عن تحركاته لكنه لن يتوقع أنني أعرف جاسوسه أيضاً"

- "وماذا سنفعل مع (كاسب) قبل فتح البوابات؟"

- "لن نفعل شيئاً إلا بعد الانتهاء... (كاسب) أحد قوادي الثلائل الذي تنق الجيوش به. ولو قتلته سينمرد الكثيرون.. لن ننظر كثيراً على كل حال."

- "كيف حالك سيد (عماد)؟"

قالها (بسري) وهو يقود سيارته خارجاً من باب الفيلا.

- "هل يمكنني المرور عليك اليوم كما اتفقنا؟ جيد. كم يناسبك؟ الساعة الواحدة ظهراً تناسبني.. صف لي العنوان من فضلك."

- "اسمع يا بي. لا أريد منك التحدث مع صديقك الجني هذا أمام رجالي."

قالها المأمور بصوت خافت وهو يخرج من القسم برفاقته (حامد) الذي قال:

- "لا تخف. سأمثل أبي أتحدث في الهاتف."

فتح السائق باب السيارة ليدخل المأمور و(حامد). والأخير يقول:

”لن أكون حاضرًا معك“.

بعدما استقر المأمور في المقعد الخلفي نظر لـ(حامد) مندهشًا:

”وكيف سأعرف ما يجب فعله؟“

صمت (حامد) لثوانٍ كأنه يستمع لشيء، ثم قرب فمه من أذن المأمور هامسًا:

”لا تخف مما ستسمعه“.

تردد صوت في أذن المأمور يقول:

”لا تحتاج أن ترد عليّ أمام الناس، يكفي أن تسمع إرشاداتي لك. أنا (طه) عباد) الذي كنت تبحث خلفه أمس. سأقابلك في المكان الذي اتفقت عليه مع (حامد).. وداعًا“.

ظل المأمور صامتًا ينظر أمامه مصدومًا حتى بعد انتهاء كلمات (طه). حتى سمع صوت السائق يسأل:

”إل أين سنذهب يا باشا؟“

ما زال (بصفيديش) جالسًا عند رأس الجيش يسمع بملل رأي أحد قواده في خطة للخروج من المأزق الذي وضعهم فيه (المغربي). أصوات الجنود على مقربة ترتفع بشكل طبيعي أثناء التدريبات العسكرية.

عقله يسرح في الهزيمة القادمة التي سيحظى بها لو فتحت الأبواب.. ارتفع صوت الجنود أكثر من المعتاد فنظر إليهم شغورًا.

هذه أبست طريقة التدريب المعتادة. نهض من مجلسه وهو يرى الجنود
يلتفون حول شيء ما مستخدمين أسلحتهم لضعفه.

فجأة ظهر (رحيم) وهو يضرب بكرراج يحمله بمبتأ وبسارًا وحوله الجنود
يحاولون طعنه بالرماح التي تنكسر عندما يلمسها طرف الكراج.

- "توقفوا، إنه معنا".

ابتعد الجنود عنه ببعد وهو يقف بملابسه السوداء، ينظرون لهم متحفظًا.
صرخ أحد الجنود من بعيد مخاطبًا (بصفيدش):

- "إنه حساس الغرفة النحاسية يا سيدي".

أسرع (بصفيدش) ومن كان يجلس معه إليه وهو يهتف بهم:

- "لا يمسه أحد. هذا (رحيم) أحد رجالى".

نظر له (رحيم) بأدب وقال:

- "لم أعد من رجالك يا سيدي. فأنا الآن خادم للغرفة النحاسية
وسيدها".

وقف (بصفيدش) أمامه يتأمله حتى قال (رحيم):

- "جئت مهيئًا لرجل يطلب مقابلتك فوزًا".

- "رجل من البشر؟"

- "كان من البشر لكنه من الجان الآن. ولا نظن يا سيدي أنني آمن
معك".

زادت مهمات الجنود متسائلة عن المعنى. في حين فاجأهم (بصفيدش)
سائلاً:

”كيف سأقابه؟“

”الآن سيأتي، لكن يطلب منك أن يترك رجالك أسلحتهم كي لا يتهورون.“

”لا تقربوا من الضيف الأتي.“

قالها (بصفيدش) مخاطبًا الجنود. فقال (رحيم):

”سيخالفون أمرك من الخوف. يقول لك إن الأمان في ترك أسلحتهم.“

”اتركوا أسلحتكم وابتعدوا عنها.“

كاد أحد القادة أن يعترض لولا أن أشار له (بصفيدش) بالسكوت. بينما
نفذ الجنود الأمر بمجرد سماعه. وقف (بصفيدش) ينظر لـ(رحيم)
والصمت يجري معه الوقت ببطء.

ظل (بصفيدش) صابراً دون أن يعرف السبب. كان حضور هذا الضيف
من عدده لن يشكل فارقاً.

فجأة ظهرت نقطة ضوء في مساحة خالية بجانب (رحيم) وتضخمت حتى
أصبحت أكبر حجماً من هذا الأخير. ثم جاء صوت (طه) من تلك
البقعة يقول:

”شرف لي مقابلة القائد (بصفيدش).“

أقترب الجنود من أسلحتهم مرتبكين. فرفع (بصفيدش) يده لأعلى أمراً
بإياهم بالتوقف. ثم نظر بعدها لـ(طه) وقال بهدوء:

”أنت سلاح (المغلي) الذي قتل رجالاً“.

”لست مع (المغلي) ولم أقتل رجالك وحدهم، بل مات أيضاً رجال
ل(المغلي)“.

”من أنت؟ وما هذا الضوء الساطع الذي يمنع رؤيتك؟ وما حكايتك؟“

”لا بصح التحدث أمام الجنود في مثل هذه الأمور“.

”أجب أولاً على أسئلتِي وأنا أقدر بعدها إن كنا سنكمل حديثنا أم
أقتلك“.

”أنا (طه) ابن (عباد) سيد الغرفة النحاسية، وجسدي يراه الجنان بهذا
الشكل لأنني بشر انتقل بين عوالمكم وأبعادكم عن طريق تسرع درات
جسدي حتى أصبحت أسرع من أن تلاحظوها. أما حكايتي فنتلخص في
عبارة (إن تركنتي أساعدك سنقضي على (المغلي))“!

”سنتناول الإفطار سوياً يا بني“.

فالتها والدة (إسلام) ل(رقية) بعد أن أحلستها في صالون الشقة. فرفضت
(رقية) بادب وهي تشكرها، بينما أصرت الأم.

”كيف حالك يا أمي؟“

قالها (إسلام) الواقف على الباب والإجهاد واضح على وجهه كأنه لم يتم
منذ فترة. فاتفرجت أسارير الأم وهي تسرع إليه نحتضنه، بينما هو
ينظر ل(رقية) نفس النظر التي تعودت على رؤيتها. فقالت عشيمة وهي
نقترب منه:

"هل تتذكر والدتك؟"

"أذكرها وأتذكر اسمي ودراستي والكثير عني وعن أصدقائي. لكن أسف لا أتذكرك. برغم أنني أشعر أنني أعرفك منذ وقت طويل".

"الحمد لله يا دكتورة (رقية)، نجحت جلسة علاج أمس وتذكرنا".

فالتها الأم ثم أسرعت لغرفة النوم وهي تقول:

"سأتصل بالجميع لأبشرهم".

ومق (إسلام) وحه (رقية) وقال:

"أشعر بشريك مني. كأنني كنت أحمل لك مشاعر ما".

همست (رقية) وهي تقرب رأسه من رأسها فائلة:

"هل تذكرت بحق أم إن هناك شيء آخر؟"

نظر (إسلام) حوله كأنه يتوقع ظهور شخص في أي وقت، ثم قال:

"هل تعرفين شيئاً عن قريبي؟"

السمعت (رقية) وقالت:

"هل سألته عن حياتك السابقة؟"

"تعرفينه إذن".

"أعرف كل شيء عنه".

"فهيبت الليل أستفسر منه عن حياتي لكنه لم يذكر وجودك".

-لأنني غير موجودة في حياتك السابقة. سنقيم كل شيء ونحن في طريقنا".

-إلى أين؟"

-عائلتك تعرف أنني أخذت لجلسات علاج في المستشفى. لكننا سنذهب ل(حازم) و(عماد)، هل تتذكرهما؟"

-عرفت كل شيء عنهما. لكن ما سبب ذهابنا؟"

-انصل بي (عماد) وقال بأننا يجب أن نحضر قبل الساعة التاسعة لأمر خطير".

-سنذبح خروفًا لله بركة تعافيك".

قالتها الأم بعد أن عادت فجأة من غرفة النوم وتحمل بيدها هاتفًا محمولًا. فقالت (رقية):

-الحمد لله. لكن يجب أن نذهب لجلسة اليوم كي يتحسن أكثر".

-اذهبا يا ابنتي ولا تتأخرا عن الجلسة. لا أعرف... أشعر أنني أستبشر خيرًا بجلسة اليوم".

-وأنا أيضًا".

قالتها (ربة) والارتباك يفرز نبرات صوتها وهي تنظر ل(إسلام).

جلس (بصفيدش) أرضاً في مكان يشبه الخيمة بجانب معسكرات جيشه.
وامامه (طه) كبقعة ضوء لا يعرف (بصفيدش) معها أهو جالس أم
واقف.

"لماذا أخفيت الجواسيس؟"

سأل (بصفيدش)، فرد (طه):

"لأنك استخدمتهم كطعم لاصطياد (المخلي)، لا ذنب لهم في ذلك
الصراع".

"هم جنود في حرب طويلة ويعلمون جيداً أن الموت أقرب إليهم من
الحياة".

"من حقيهم معرفة مصيرهم لا أن تفودهم إليه كالبانم، وإن كان أمرهم
لا يعنك فعالاتهم من البشرهمتي".

"فيمنا الأخلاقية مختلفة".

"بدأت أشعر بذلك بعد التفالي لعالمكم، لكن المشكلة ليست في البشر،
المشكلة في عالمكم. عندما نقلتم حروبكم إلى عالم البشر، فلنبيدوا
بعضكم إن أردتم، لكن ابتعدوا عنا".

"أنتم أيضاً تبيدون بعضكم البعض".

"لكن لم ننمسمكم".

"لو كنت تعطل مقابلتي لنسلي الوقت بمحاضرة عن مخاطر اختلاط
عالمينا فاسمح لي أن أقول إنك خبيث ظني".

"لا تخف لن أخيب ظنك.. أولاً البوابات ستُفتح بعد قليل".

"شيء متوقع".

"لذلك يجب أن نتكلم بصراحة كافية".

"بدأ صبري ينفد من هذا الحديث الطفولي".

"صممت آلة في عالم البشر مكنتني من الدخول لعالمكم لفترة محددة
بعود جسدي بعدها لعالمي ثانية. استطعت بألة أخرى قتل (سلان)
بعد استجوابه. استخدم الكهرباء كمادة قريبة التكوين من طاقة
أجسادكم وبمكنتني إخراجها من جسدي كسلاح يضربكم. وإن ركزتها
أكثر أصنع قنبلة طاقة".

"هذه الطريقة في القتال غريبة علينا. هل تعرض علي استخدامها ضد
(المخلي)؟"

"لا. بل أعرض عليك أن تدير حسب طريفتي. ألم تسأل نفسك كيف
عرفت موعد هجوم رجال (المخلي) كل مرة عند كل جاسوس؟"

"أجبتني إن لم أسأل!".

"أرى مستقبل ما سيحدث عند إقدامي على حيلة، أفقد جزءاً من
طاقاتي عند كل مرة أفعلها لذا سأوفرها قدر الإمكان".

"لهذا قال (رحيم) إن رجالي سهاجمونك لو ظلوا محتفظين بأسلحتهم؟"

"رأيت ذلك وأمكنني تغييره".

- "وكيف سأسير حسب طريقتك التي لا أعرفها؟"

- "في البداية سنكشف لي بعض أوراقك ليمكنني استخدامها بطريقتي".

- "وما الضامن لنجاحك؟"

- "لا ضمانات. أنت ستضحى بنفسك في سبيل انتصار غير مضمون
نتظره. وأنا مثلك سأضحى بنفسي في سبيل قتل (المخلي)".

- "تساعدني انتقاماً لأبيك؟"

- "أردت الانتقام في البداية. لكن مع الوقت أدركت أنني لا أملك سوى
خيارين ينتهيان بالموت. لكن أحدهما يحمل بعض الأمل في النجاح".

- "هل تعرف يا (طله) لم يحتفظ بي المجلس منذ زمن برغم اختلافي الدائم
معه؟ لأنني أتخذ بعض خطواتي بشكل معتمد على الشعور والحدس
فقط. وهذا ما اعتبروه جنوناً. لكن كثيراً ما نجحت وحصلت على ما
أريد".

- "أفهم أنك معي؟"

- "نعم.. ورقى الرابع يتعلق باستدعاء كيان العفاريت الذين اختفوا منذ
(سليمان) الحكيم. يملكون وقف (المخلي) أو النصدي للملوك السبعة
إن خرجوا. وموضوع خاص بعودة (إسماعيل العلاج) لعالم البشر بعد
انفصال قرينه منذ دخوله هنا. وعودة (يوسف) هو الآخر قبل فتح
البوابات.. أما أخوروفة فتخص جاسوساً زرعته عند (المخلي)".

- "مما عرفته عنك لا أشعر بخير من وراء نيتك لعودة (يوسف)!"

- "أردت عودته كقطعهم لإثارة غضب (المخلي) واستفزازه لقلته".

لم ينطق (طه) فابتسم (يصفدش) فأتلاً:

- "قلت لك هذه حرب ولا وقت للتفكير في أخلاقية أفعال".

- "و(إسماعيل)؟"

- (إسماعيل) هذا هو صانع الطلاسم الوحيد الذي عرفته من عالمكم عندما طلب مقابلي لأنني شقيق المخلي لم أكن أتخيل أن يخبرني بكل الحقيقة. حتى الأشياء التي تدبته.. التي أهد السحرة عليه عزيمة أمرضته حتى أصبح موته محتوماً في غضون ساعات. فاستعان بالمخلي ليقتل له خدام الملوك الذين استعان بهم الساحر عند إلقاء عزمته. فخلصه بذلك من ضرر العزيمة".

- "وهل يمكن قتل خدام العزائم؟"

- "يمكن لكن لو كشف أمرك سنكون نهابتك على يد ملوككم. و(المخلي) استطاع قتلهم في سرية بدون كشف أمره. وفي المقابل طلب من (إسماعيل) أن يُعلم أهل قريته الكلمات التي تحولهم لقرايين (المخلي) كي يقدمها للملوك السبعة".

- "أذن المحطوطة في الأصل ليست حقيقبة؟"

- "بعد وشاية (إسماعيل) ب(المخلي). قام رجال الأخير بصنع المحطوطة ليقراها أحد أبناء (إسماعيل) كي يتحرر (المخلي) من قيوده. مرت

أحيال كثيرة وهم يحاولون إلقاء الكلمات لأحد الأحفاد كي يستخدمها لكن بلا فائدة. حتى النقطة (يوسف)."

"ولم ينطقها أحد البشر منذ البداية؟"

"عندما أبلغني (إسماعيل) بكل شيء لم أرد ل(المخلي) الموت بل السجن. فصنع (إسماعيل) طلاسم نحتت على سجن وأغلال (المخلي) تمنعه من الحركة. وهذا هو سر تفوق (إسماعيل). أما الكلمات التي تفك هذه الطلاسم فقد أخذتها من (إسماعيل) ونسرت من عندي لرجال (المخلي). لذلك قررت سحب (الحلاج) لعالم الجان كي أحرم رجال (المخلي) من العودة. لكن لم أضع حسابًا لفكرة أن يقرأ الكلمات واحد من نسله."

"وتطمح في عودة (إسماعيل) بطلاسه كي يوقف (المخلي)."

"حاول علماؤنا كثيرًا بلا جدوى. نستدعي القرين وننقل (إسماعيل) لعالمكم لكن فشل في اتحاد القرين بالجسد. يظل القرين بجانب الجسد بلا التحام."

"اتبع خطواتي كاملة لأني سأرتجل. وكل ما أطلبه منك نقده بلا مناقشة. لأني أستطيع إعادة (الحلاج) لعالم البشر. لكن في نوبت سأحده لاحقًا. أما الآن فحرك جيشك لمجابهة جيش (المخلي)."

"لا فائدة."

"هل نستطيع أثناء المعركة أن نخسر ونسحب ونهاجم. وكل هذا حتى نسحب لبقعة خاصة؟"

- "أي بقعة؟"

- "البقعة التي توازي في عالمنا صحراء لوط بجنوب شرق إيران."

- "وبعدهما؟"

- "بعدها انتظرني."

- "سأعتبر أنني صدقتك. لكن لم أحضرت مأمور قسم (روض الفرج) معك إلى هنا؟"

قالها (عماد) لحامد وهو يجلس على الأريكة في الصالة وبجانبه (حازم) وأمامهما يجلس (حامد) والمأمور

- "لقد وافق أن يرافق (إسلام) للهنيسة كي يحميه من الناس."

تنحج المأمور وقال:

- "اتصلت بنائب مدير الأمن بأسيوط لأنه صديق قديم لي وطلبت منه مساعدة بعض الضباط لمراقفتي لقربة (عرب مطبر) لمنع الأهالي من الاقتراب مما نفعله. بالطبع لم أقل الحقيقة التي لا أعرفها كاملة. لكني أخبرت أن أحد المسجلين خطر هرب من حجر القسم إلى هناك ليعتني بعائلته. وأريد أن أعيده سراً قبل عرضه على النيابة. ويجب ألا تعلم المديرية بهذا الأمر كي لا يؤثر على ترقباتي."

- "وهل وافق هكذا على الفور؟"

تساءل (حازم).

"رفض في البداية لخطورة الموضوع على منصبه. ولما ألححت عليه وافق في النهاية على مضمون".

"لماذا تساعدنا؟"

"لا أعرف. ربما أشعر أن كل هذا الجنون يجب أن ينتهي. ربما أثارني فكرة المشاركة فيما يحدث في العالم الآخر الذي أسمع عنه منذ طفولتي".

"لكنك تعرف حجم المخاطرة. أليس كذلك؟ لو فشلنا سيعاقب (المخلفي) كل من قدم مساعدة".

"لا يهم؟"

رن جرس الباب فهض (عماد) لفتحه. دخل (إسلام) الشقة وخلفه (رقية). ووقف في منتصف الصالة يتأمل وجوه الجالسين. فجأة انفتح باب غرفة النوم وخرج منه قرين (إسلام). فقال (حازم) بسرعة:

"ما الذي جاء به؟ لقد صرفت كل من حولي من جاناً"

"أنا الذي أحضرته".

قالها (إسلام) بجدية. ثم نظر لقرينه وقال له:

"اشر على كل شخص من الموجودين في الشقة وقل اسمه".

رفع القرين يده مشيرًا لكل شخص وهو ينطق اسمه. حتى أشار ل(رقية) وأنكر معرفته بها. ثم أشار للمأمور الذي ما انكس بقرا القرآن وشفتاه ترتعشان. وأنكر معرفته أيضًا.. هنا قالت (رقية) ل(عماد):

-أيقظه ليلاً شيء أراد مساعدته. ومن وقتها وهو يتحدث مع قريبه
ويعرف منه كل شيء. وقال لي ونحن في الطريق إنه تدرّب على
استعماله أيضاً".

-("طه) هو من أيقظه".

قالها (حامد) فنظر له (إسلام) مستغرباً. بينما قال (حازم):

-أعتقد أن ذلك سيرفع الكثير من حمل إقناعه عن كاهلنا".

-قلتبا ولن أرجع فيها. لن يدخل أحد بعدما أدخل من باب القاعة".

قالها دكتور (سهماوي) لفتاة تفسد عند باب القاعة وعلى وجهها نظرة
استعطاف.

-أخرجي!"

صرخ بها (سهماوي) في الفتاة فأسرعت للخارج محرجة. ثم نظر للطلاب
الجالسين في صفه وقال:

-الأدب فضلوه على العلم. ومن لم يتعلم الأدب في منزله سيتعلمه في
محاضرتي".

سمع صوت (طه) في أذنه يقول:

-أمازلت نثرثرا؟"

نظر (سهماوي) حوله وهو يتساءل:

- "من منكم يا باشمهندسين الذي تحدث؟!"

ساد الصمت بين الطلاب وهم ينظرون لبعضهم البعض.

- "لا يسمعي غيرك يا (سهماوي) الكلب!"

بمجرد أن سمع (سهماوي) العبارة صرخ في الطلاب:

- "من منكم قال يا (سهماوي) الكلب؟!"

كنم البعض ضحكاتهم. بينما سمع (سهماوي) صوت (طه) يقول:

- "قلت أنيك قبل بدأ المعمة لأترك لك هدية.. فرما لا أعود."

- "هدية؟ أي هدية؟!"

قالها (سهماوي) مخاطبًا الفراغ. فأقلقت بعض الضحكات الخافتة من

الطلاب. فجأة رأى الجميع سروال (سهماوي) يجذب لأسفل لتظهر

ملايسه الداخلية السفلية. ثم ارتطمت رأسه فجأة بالجائط خلفه.

ضجت القاعة بالضحك.

- "الساعة تقرب من الواحدة".

قالها (حازم) مخاطبًا (عماد)، الذي تساهل وهو يمسك هاتفه المحمول:

- "وما المشكلة هنا؟"

- "صديقك دكتور (بسري).. ألن يحضر؟"

ضرب (عماد) كفه بجهته متذكرًا:

"لمينه في خضم الأحداث!"

"وهل سنقابله؟"

"سأحاول أن أختصر معه. فلا وقت لك العلام".

"هل كنت تدوي طلب أحد على الهاتف؟"

"(حامد). أردت..."

فقطع جرس الباب عبارته.

"لقد جاء!"

نهض (حازم) ليفتح الباب و يستقبل (يسري) الذي كان يحمل بعض الأوراق. أدخله إلى الصالة ثم استأذن ليحضر له فهوة كما طلب.

"كيف حالك يا سيد (عماد)؟"

"بخير. لا أعرف كيف أشكرك على تعبك هذا بدون مقابل".

"لا تشكرني. فأصدقاء فريبك كانوا من تلاميذي. ولو أنني أحدا مصادفة غريبة جدًا أن تأتي أنت أيضًا".

"رجعهم الله جميعًا. لكن ما كان ردك على استفسارهم؟"

"سألوني عن مخطوطة ابن إسحاق. فأخبرتهم أنها مجرد أسطورة ولا وجود لها في الحقيقة".

"على كل حال لم يعد شيء هام بعد موتهم".

ارتبك (يسري) وبلغ ريقه بعد أن شعر أن (عماد) يكلمه ببرود. ثم قال:

"اعتذر منك يا سيد (عماد) على كولي غير مفيد هذه المرة أيضاً".

اعتدل (عماد) احتراماً وهو يقول:

"لا يا دكتور. ما هذا الكلام؟ الموضوع صعب الشرح فقط. أقصد أن..."

قاطعه (يسري) مبتسماً وهو يقول:

"يمكننا أن نوحل حوارنا لو أردت".

"هل ستغضب، لو أجلناها؟"

"لا مشكلة. على كل حال كنت قد وجدت عن شخصية الراهب (سمعان) بعض الأمور الغريبة. سنناقشها في وقت قريب".

عاد (حازم) من المطبخ يحمل القهوة في فنجان صغير وهو يقول:

"اسف. فالقهوة بدون "وش". يبدو أن الناز كانت مرتفعة عليها".

بهض (يسري) قائلاً بود:

"أشكرك. سأشربها في وقت لاحق".

"أي أمور غريبة؟"

تساءل (عماد) بعدم أكثرات وهو بهض ليوصل (يسري) لباب الشقة.

"أمور تتعلق بغرفة نتحكم بالجان تحت الدبر الذي أقام به في المنظم".

اهتزت القهوة في يد (حازم) والتسعت عينها (عماد).

"(حامد). اذهب للغرفة الحاسبة الآن."

سمع (حامد) صوت (رحيم) وهو يركب الميكروباس. فأخرج هاتفه المحمول ووضعه على أذنه قائلاً:

"(رحيم) حبيب قلبي. ماذا فعلت مع (مله)؟"

"لقد قابل (بصفيديش) وانقضا على التعاون. سأظل بجانبك حتى تصل للغرفة الحاسبة وعندها سأبلغه."

"وماذا يريد مني؟"

"سنفتح كل منافذ العرفة عندما أدخل."

"لم؟"

"لا أعرف."

"اعتقد يا صديقي أن دورنا في هذا الفيلم هو المشاهدة فقط."

...

"أرجو أن تجلس وتخبرني بكل ما عرفتته عن (سمعان) هذا."

قالها (حازم) وهو يشير لـ(يسري) بلهفة كي يجلس. جلس هذا الأخير مندحشاً وهو يسأل:

"ما سبب هذا الفضول؟"

"سنعرف كل شيء.. لكن أرجوك قل لنا ما عندك!"

فألقاها (عماد) وهو يجلس منحصرًا وقد ربط بين الاسم الذي سمعه من
(حامد) لأول مرة وبين هذا الراهب. نتفحح (يسري) وفتح الأوراق التي
ملاها بالملاحظات وألقى عليها نظرة ثم قال:

"الراهب (سمعان) السائح ولد في أسرة متدينة من السعيد. وقد
التحقه بسلك الرهبنة مبكرًا. طاف بالكثير من البلاد العربية حتى
استقر بمصر وأنشأ ديرًا في المقطم. تعرض هذا الدير كغيره من الأديرة
لعمس المضايقات من المسلمين المنظرين. لكن لم تكن تلك المشكلة
ل(سمعان) وبغية الرهبان. المشكلة كانت في الأرواح الشريرة كما كان
يطلقون عليها. وهذا اللفظ هو المعادل الشائع عند المسيحيين الخاص
بفكرة النليس. أما عند المسلمين فيؤمنون بالجان المنليس. وإن كان
التشابه بين الفكرتين يقترب من التقاطق.. اشتهر هذا الدير باستقبال
حالات لبس من الشياطين لمعالجتها روحانيًا. حتى إن بعض المسلمين
يقال إهم نعاقوا في الدير من حالات لبس للجان. لكن فجأة تغير كل
شيء وأصيب كل رهبان الدير بالرعب عندما بدأوا في رؤية الجان
والشياطين حسب قولهم يتحركون بينهم. لم ينفذهم إلا قدوم المعلم
(حرجس) ومعه صديق غريب الأطوار من المسلمين. هذا الغريب أنقذ
الرهبان وقضى على الجان بل وأصبح صديقًا ل(سمعان). وقد لقبه
(سمعان) بابن الجن. وقد اندهشت كثيرًا لهذا اللفظ العامي الذي
أعتقد أنه يقصد به (ابن الجنية). كما نقول عن الشخص الذي".

تبادل (حامد) و(عماد) النظرات. بينما أكمل (يسري):

"يقول زملاء (سمعان) في الدير إن ابن الجن هذا ساعد (سمعان) في
بناء غرفة تحت الدير لينقط بها حركة الجان ويحمي نفسه منهم
ويقتلهم إن أراد".

”ومن ابن الحن هذا؟“

”لم يوضح أحد حقيقة شخصيته. لكن (سمعان) كان يقول إنه سيكون له شأن كبير بين الجان. لو اعتمدنا على خرافة (سمعان) فسنجد أنه حذف آخر مزمور من ترجمته كأنه أراد ألا يطلع عليه أحد. لكن إن أراد أن يخفي مفتاح الشفرة فأين يمكن أن...“

قطع (حازم) عبارته وهو يقول بسرعة:

”الحلم الذي حلمناه!“

”أي حلم؟“

تساءل (يسري). فقبض (عماد) وهو يقول:

”(سمعان) خبأ مفتاح الشفرة في الغرفة النحاسية كما رأينا في حلمنا أمس.“

”نحاسية؟“

كان (يسري) يوزع نظراته بينهما وهو ينتظر تفسيراً.

”لو وجد مفتاح الشفرة شخص عادي هل يستطيع حلها؟“

تساءل (حازم). فرد (يسري):

”لا أعرف. ربما كانت شفرة مركبة تحتاج إلى حل الأرقام أولاً قبل تحويلها لحروف.“

”هل نستطيع أنت حلها لو رأيتهما؟“

"أعتقد. لو حاولت ربما أستطيع."

نظر (حازم) لـ(عماد) قائلاً:

"لا تملك الكثير من الوقت. وربما لن تتمكن من الوصول لـ(يصقيدش) بسرعة كافية."

هز (عماد) رأسه بالموافقة. ثم نظر لـ(يسري) الذي قال:

"هل تسمعا لي أن أفهم ماذا يحدث؟!"

نظر (عماد) نظرة أخيرة لـ(حازم). ثم عاد ينظر لـ(يسري) ويقول:

"دكتور (يسري). الغرفة التي نتحدث عنها موجودة. ونرجوك أن تدخلها معنا لتبحث عن مفتاح الشفرة."

"ادخل الآن يا (حامد) للغرفة وافتح لي عندما أحضر كل منافذ الغرفة وليس منفذي وحدي."

سمع (حامد) العبارة في أذنه يقولها (رحيم) وهو يدخل لغرفة مكتب (عماد). فأسرع بتزل للغرفة ويفتح بابها. بمجرد دخوله سمع الصوت الذي يبنى بطلب (رحيم) الدخول. فقال (حامد):

"تفتح كل منافذ الغرفة بدعوتي."

وسط الغرفة ظهر (رحيم) وبعانه بضعة الضوء. لكن ضوءها يزداد بكثافة عن مظهرها القديم. وفي ركن الغرفة ظهر جسدان وحولهما عدد كبير من الحان يحملونهما. سقط الجسدان أرضاً بعد أن شعر

الجان بالتعب ثم اخنفوا. بعدها ظهر حنيان يعملان ملابس في شكل
كومة ألقياها على الأرض واختبئا. دقق (حامد) في الجسدين.

هذا جسد لرجل ناضج لا يعرفه. أما الجسد الآخر فكان لـ(يوسف). ينطق
(حامد) باسمه في لهفة وهو يجري ناحيته. بينما سمع (طه) يقول له.

- "أغلق منافذ الغرفة بسرعة قبل أن يتقه لها الجان!"

قام (حامد) بإغلاق المنافذ بعدم اكترات وهو ينحني ليشحص جسد
(يوسف) العاري ويحاول إفاقته.

- "اتركه فهو بلا قرين".

تمحض (حامد) وهو ينظر لبشعة الضوء ويقول متأنثاً:

- "لقد رأيت في اليومين السابقين أجساداً عارية أكثر من قدرتي على
التحمل. وكلها لرجال!"

- "يمكنك بدلاً من المزاج أن تليسهما بالاسم التي احتفظ بها
(بصعبدش)".

أسكت (حامد) كومة الملابس وهو يقول:

- "(بصعبدش دراي كلين)... لماذا أقوم دائماً بهذه الأعمال؟"

الشغل (حامد) بالملابس بينما قال (طه) لـ(رحيم):

- "هل يمكنك استدعاء قرين كل منهما لداخل الغرفة النحاسية؟"

- "الغرفة علمتني الوصول للقرين حتى انعرف على الأشخاص فقط. أما
لو كان القرين منفصلاً فلا اعرف نسبة نجاحي لكن سأحاول"

اختفى (رحيم). فقال (حامد) وهو يحاول جاهداً إلباس (إسماعيل) جلبابه:

"هل من الطبيعي أن الضوء الصادر من جسدك أصبح أكثر سطوعاً؟ أم إن نظري يخدعني؟"

نظر (طه) لحوائط الغرفة النحاسية وقال:

"اعتقد أن الغرفة تعمل كمكثف لشحنتي الكهربائية. أشعر بالكهرباء تسير في جسدي بشكل أسرع".

أكمل (طه) تأمله في الغرفة وقال:

"لم أتوقع أن تكون الغرفة بمثل هذا الإبداع. كأن من بناها كان يعرف تكنولوجيا حديثة لم ننوصل إليها بعد.. أو كأنه اعتمد على فيزياء الجان لبنائها.. الأوامر الصوتية ومنافذ الدخول للغرفة ومتابعة حركة الجان، كأنني داخل كمبيوتر عملاق".

سمع (حامد) صوت الشهيق المميز لطلب (رحيم) الدخول. فسمح له بغمضاً عينيه وهو يدخل قطعة ملابس داخلية في جسد (إسماعيل).

تشكل (رحيم) وطرف كبراجه يلتف حول رقبة قرين (إسماعيل الحلاج). تركه واخفى ثانية، فظل القرين ينظر بعيناً ويساراً بلا معنى حتى أن (رحيم) مع قرين (يوسف).

"(حامد)، غادر الغرفة النحاسية وعد بعد دقائق.. لو نجحت فستجد صديقك وجده أحياء. ولو فشلت ربما ماتا. أما أنت يا (رحيم) فاسبقني للمكان الذي اتفقنا عليه في صحراء إيران".

ننحج (حامد) وهو يسأل:

- "لحظة، بموتان؟"

- "نعم، نظريتي تجعلني أعتقد أن حركة تردد جسدي فرسهما أصح مختلفًا عند دخولهما عالم الجان فإنفصلا. سأحاول سحبهما ليصح التردد واحدًا مستخدمًا الغرفة في تكثيف طاقة المجال الكهربائي الذي أمتلكه.. لكنني لا أملك أجهزة قياس. فلا أعلم النتيجة."

"لم أفهم شيئًا، لكن وفقك الله!"

قالها (حامد) وهو يغادر الغرفة و(طه) يقف بجانب الجسدين وحده بزاد في التوهج وهو يمد يديه لجسديهما.

- "هل أدخل من هنا؟"

قالها (يسري) وهو يقود سيارته ويستفسر عن إرشادات الطريق من (عماد) الذي يجلس بجانبه. و(حازم) يتحدث في الهاتف قائلاً:

- "ما كل هذا يا (حامد)؟ هل كنت تغلق هاتفك؟ فهمت. فهمت. الغرفة نحجب إشارة الهاتف. المهم. هناك شيء هام. سألني إليك أنا و(عماد) وشخص آخر معنا للغرفة. ونريد الدخول.. نحن في الطريق وقد اقتربنا كثيرًا. دقائق وثمانًا. ماذا؟ ستترك الأبواب مفتوحة؟ جيد."

انهرى (حامد) المكاملة وهو يفتح الباب. اطرق اذنه قليلاً. هل هذا الصوت
يأتي من الغرفة النحاسية؟ نزل درجات السلم المؤدية للغرفة خائفاً.
صوت يشبه تحرك الأثاث على أرض خشنة. وقف أمام الغرفة المغلقة
بنأملها.. هل يدخلها أم ينتظر قليلاً؟

حرك النقوش على الباب وفتحها ليجد بقعة الضوء قد ازدادت حجماً
حتى ملأت نصف الغرفة وعلى الأرض (يوسف) يفتح عينيه بصعوبة
وينظر حوله وهو يقول:

"ماذا.. ما هذا؟"

جرى (حامد) إليه وجثى على ركبتيه محتضناً إياه وهو يقول:

"أنا (حامد)!"

نظر له (يوسف) وهو يقول:

"أعرف."

"أخيراً واحد من أصدقائي تعرف علي!"

فجأة فتح (إسماعيل) عينيه ونهض بنصفه الأعلى ناظراً بعيننا وبساراً
بخوف وهو يتساءل:

"أين (يوسف)؟"

فألها بلهجة سعيدة. فقال (حامد):

"حلاوتك يا جدو!"

بهض (إسماعيل) ووقف على قدميه لكنه كاد أن يسقط. فهتف وهو يحاول تمالك نفسه:

- "ما الذي فعله (يصفيدش) بي؟! "

تكلم (يوسف) وهو يحمر نفسه من (حامد):

- "ما هذا المكان؟ وماذا يحدث؟! "

ساعده (حامد) على النهوض بينما تراجع (إسماعيل) للخلف متسائلاً:

- "من أنتم؟ "

هنا نكلم (طه):

- "(يصفيدش) حبسك في عالم الجان منذ مائتي عام يا (إسماعيل).

قرنتك ظل هنا وجسدك مع (يصفيدش). وها قد أعدتكَ."

لم ينطق (إسماعيل) بينما سأل (يوسف) فرغاً:

- "من الذي يتحدث؟ "

- "(حامد) سيشرح لك باختصار لاحقاً.. أما أنت يا (إسماعيل) فأعلم أن

أحد أحفادك نطق الكلمات وفك طلاسم (المحلي) محرراً إياه. وهو

الآن يسعى لفتح البوابات السبع. وها قد أعدتكَ لتصنع ظلمة

جديداً كي توقف به (المحلي)."

- "أين هو الآن؟ "

- "في طريقه للبوابات."

”يجب أن أظلم نفسي كي أقرب منه وأستطيع إيقافه“.

”لو اقتربت سيفقتلك“.

”لذلك أحتاج لحماية كافية لأكون في نفس موضعه في عالم البشر“.

”جهاز نفسيك وسأعود لك“.

قالها (طه) واختفى فجأة.

لم ينتبه أحد إلى تحرك نقش يمتلئ بالمرعبات بعضها فاتح اللون والأخر داكن.

نزل (عماد) يتبعه (حازم) و(يسري). الذي كان ينظر وراءه بقلق. حتى وصلوا إلى مدخل الغرفة. دخل (عماد) ليجد (إسماعيل) ينظر ل(يوسف) بدهشة. فتهلل (حامد) عندما رآه وقال:

”عاد (يوسف) والحاج (إسماعيل) لعالمنا مرة أخرى!“

دخل (حازم) لينوقف هو الآخر مندهشاً. وتبعهما (يسري) الذي توقف ليتأمل في الغرفة التحاسبية. فقال له (عماد) مطمئناً:

”لا تخف من شيء يا دكتور (يسري). سنفهم كل شيء.. (حامد). هذا دكتور (يسري) أستاذ التاريخ. سيساعدنا للتوصل إلى العقاريت“.

نأسه (حامد) وهو يقول مشدوفاً:

”أشعر أنني رأيتُه من قبل!“

قال (يسري) بالفارسية بصوت عالٍ:

- "مسدود كردن".

توقفت آلات الغرفة الفحاسية عن العمل فجأة وساد صمت قطع
(حامد) وهو يشير ل(يسري) قائلاً:

- "أنت تشبه الشاب الذي أرثي الغرفة إياه وهو بينها!"

ابتم (يسري) وهو ينظر ل(إسماعيل) الذي كان ينظر إليه وهو يفتح
فمه وعيناه تنسع قائلاً بخوف:

- "(الحي بن القصاب)!"

هبط (إسلام) و(رقية) والمأمور من سيارة هذا الأخير، الذي فتح حقيبة
السيارة وأخرج منها حبلاً لُف حول نفسه. وطلب من السائق أن يظل
داخل السيارة ولا ينظر يميناً أو يساراً أو يخرج مهما حدث.
- "شعرت بأن الضباط الذين تركناهم وراءنا ينظرون لنا بضيق".

ابتعدوا عن السيارة وأقدامهم تنغرس في الرمال. والمأمور يقول:

- "طبيعي يا ابني، ينفذون أوامر ضابط من القاهرة بدون سبب ويفضون
على حدود قرية (عرب مطير) ليمنعوا الأهالي من الاقتراب من
الهنطقة".

- "قل ل(رقية) أن تطلب من (إسلام) أن يحذر من هجوم من الجان بعد
خطوات قليلة".

قالها (طه) في أذن المأمور الذي ردد العبارة بسرعة ل(رقية).

استدع قرينك يا (إسلام)!"

تشكل القرين من العدم ووقف أمام (إسلام)، أمسك بشيء ما بيده اليمنى ثم فتح قبضته وأمسك بشيء آخر، وكرر فعلته ثماني مرات باتجاهات مختلفة ثم اختفى.

"أكملوا طريقكم. وعند الوصول للهنتيكة فل ل(إسلام) أن يجعل قرينه يتوقف عن مهاجمتي وأن هناك مزيدًا من الجان حولها يجب قتلهم بسرعة."

ظلوا يسيرون بين الرمال والهنتيكة أمامهم على بعد أمتار. بلغ المأمور الرسالة ل(رقية) فنقلتها ل(إسلام) الذي قال:

"لا تهاجم إلا من أمرك بمهاجمته. واقتل كل الجان الذين يحرسون هذا الجسم المعدني."

شاهدوا أضواء كثيرة تنفجر بصوت خافت حول الهنتيكة كأنها ألعاب نارية. ظهر بعدها القرين بجانب الهنتيكة واقفاً، فنظر له المأمور وهو يقول:

"يقول (طه) لك إن (حبيبة) محبوسة بغرفة أسفل الهنتيكة وعلى قرينك أن يزحزحها."

كادت (رقية) أن تعبد كلامه لكن (إسلام) أشار لها بيده وهو يهز رأسه متفهماً. بعدها تحرك القرين يدفع الهنتيكة بقوة. فلم تتحرك. توقف ثم معم بكتفه ليرتطم بالهنتيكة. زحزت الأرض من تحت أقدامهم وقد ترك الاصطدام آثاراً

كان (إسلام) ينظر إلى قرينه بتركيز وهو يحركه بعقله بينما القرين بعيد الاصطدام مرة ثانية.. في المرة الثالثة ارتجت الأرض أكثر وأطلق جزء معدني من الهنئكة وهي تميل على جانبها الأخر تاركة فتحة في الأرض وقعت فيها الأتربة.

قفز القرين في الفتحة فجري (إسلام) بنظر داخلها ليرى قرينه يحمل جسد (حبيبة) وقد توقف عن الحركة. رمى المأسور بمساعدة (رقية) الحبل فلفه القرين حول وسط (حبيبة) ليرقعها إليهم. فجأة سمعوا صوتًا يأتي من الأسفل يقول:

"من أنت لتدخل الغرفة المطلسة؟"

سمع (إسلام) في أذنه صوت (طه) يقول:

"لا تشغل بالك بهذا الرجل، فهو سيد لهذه الغرفة وقد أتى من المعبر الذي يقود لعرب مطير. اجعل قرينك يقتله بسرعة."

"لا!"

قالها (إسلام) بحزم. فقال (طه):

"نفذ ما أقول بلا مناقشة."

"قلت لا!"

قالها (إسلام) وهو يساعدهم في حمل (حبيبة) ويسرعوا بها إلى السيارة.

”يا لها من سنوات يا صديقي القديم. عشتها أنت بعالم الجان وعشتها أنا في عالم البشر!“

فأجابها (يسري) وهو يتقدم خطوة للأمام ناحية (إسماعيل) الذي قال:

”كيف عشت كل هذه الفترة؟!“

”هل نسيت أن نصفي من الجان وأعيش بنفس أعمارهم؟“

فأجابها مبتسماً وهو يلمس يديه نقوش الغرفة ويقول:

”انظر يا (إسماعيل) ماذا بنيت. لقد بنيت هذه الغرفة من الكنب التي أخذتها منك بدلاً من غرفتك البدائية في الهنتيكة التي عقدت فيها اتفاقك مع (المخلي).“

”أنت الفتى الفارسي؟“

تساءل (حازم) مشدوفاً. فرد عليه:

”مهران بن القصاب بن شادق) أو (الحي بن القصاب) كما عرفتموني.“

”لا يمكن ذلك. كيف...“

فأجابها (عماد) فنظر له (مهران) وهو يقول:

”كي لا أتترك في حيرة. أنا الذي زرت أصدقاءك ومنهم (يوسف) في أحلامهم لأحذرهم من الإكمال في طريقهم.“

وأشار له (يوسف). ثم أكمل:

- "لكن عندما زدتك أنت و (حازم) كان الوضع مختلفًا، فقد كنت أوجهكما للتعاون معي منذ علمت بحصونكما على طلائم المزمور الـ 51. كنت أريد أن تأتي إلي بإرادتك. وأن أساعدك حتى يعود (إسماعيل) للحياة وأدخل الغرفة النحاسية بدون مشاكل مع قبائل الحان".

- "لذا أرتنا في الحلم أمر الراهب (سمعان) بكتب شيئًا؟"

- "كي تشعرنا بأن دخول الغرفة من أفكاركما".

قالها (مهران) وهو يتوقف أمام مجموعة نقوش ويقول:

- "لقد سمعت الغرفة كي تطبع بصمة صوتي ولغني الفارسية الأم باعتباري الصانع. ما رأيكم بتصميمي؟"

قالها ثم أكمل بالفارسية:

- "أفلام".

انزاح جزء كبير من النقوش مفرغًا مساحة متران خلفه مليئة بالطلاسم وما يماثلها بالعربية من الحروف العربية. تحت تلك النقوش كُتب بقلم عادي الشفرة الرقمية من الحروف الفسطية وما يقابلها بالعربية. فتح (مهران) الورق الذي يحمله وينظر فيه وهو يقول:

- "(سمعان) كان صديقي وهو من أهداني لسخة المزامير بترجمته. لكنه حذف آخر جزء ولم أفهم السبب. وعندما عرفت بسر وجود الطلسم فهمت أنه خاف أن أستخدمه لأنه دائمًا ما كان يقول أنني أشبه (أصف بن برخيا). الذي كان ابنًا للحان. لم أتخيل مكانًا أفضل ليخفي فيه الشفرة أكثر من لوحة الأفلام الروحانية التي نفضتها هنا".

نقل نظره بين الشفرة والورق أكثر مرة وهو يقول بحروف متقطعة:
"تنقش.. على.. الجلد".

خلع جاكيت بدلته وفميصه وأمسك قلمه وهو يقول:
"لم أكن لأترك فرصة عودتك تفوتني يا (إسماعيل). كي أقتلك بيدي
هذه المرة".

اقترب منه (إسماعيل) قائلاً:

"أعطني فرصة وحبدة لأوقف (المخلي) ثم نصفي حسابنا".

صرخ (رحيم) قائلاً:

"منافذ الغرفة مفتوحة وستعرض لهجوم في أي وقت!"

عمرس (مهران) طرف القلم في جانب صدره وهو يحضر الطلاسم التي
يشاهدها في الورقة عليه، وقال بصوت لاهث:

"أعرف.. لأني أفتح للنفسى منفذاً للخروج.. هل تعرفون أن (طه) هذا
أذكي شخص رأيت في المنفى عام السابقة؟"

ظهر ضوء أصفر من موضع الطلاسم على صدر (مهران) كأنها تضيء من
تلقاء نفسها، فصرخ (مهران) وهو يتألم والضوء الأصفر يزداد حتى
أحاطه وأعمى عيون الجميع. فحاة خبت الضوء ولم يجدوا (مهران).

بالقرب من محافظة (رفحاء) بالسعودية. وفي الصحراء عند منطقة
يسمى الأمازي بآبار (ثينا) أو آبار الحن. والتي تتشكل من 300 متر غرب
الشكل زدم بعضها؛ ظهر ضوء، أسطر بجانبها وتشكل ليصبح (ميران).
الذي نظر حوله مندهشاً.

الآبار المظلمة خرج التراب منها كان أحدهم يدفعه من أسفل. ومن كل
بئر سطح عمود من الضوء، الأحمر تغير لونه إلى الرمادي. ثم أصبح كل
عمود ضوء، كالرؤية وهو يتشكل لكانن يفوق الأمتار الخمسة. وصوت
عميق يأتي من لا مكان يقول:

- "مرحباً بسيدنا (أصف بن برخيا)".

...

- "هل عدت من الموت يا (إسلام)؟"

قالها الشيخ (محمد) وهو يقف أمام باب الغرفة النحاسية ناظراً
لـ (إسلام). رمقه الجميع بدخشة بينما أكمل قائلاً:

- "سمعت صوتاً غريباً يخبرني بأن أتى هنا لأحميكم وأحمي (إسلام) لأنه
سيعود للحياة".

- "لا تقل لي إنه (طه)!"

قالها (حامد) فقال الشيخ:

- "حدد لي المكان وموعد دخولي ووصف لي هذا المكان".

- "وكيف ستحمينا ومن؟"

نادى الشيخ قائلاً:

"حاولوا هذا المكان بارك الله فيكم وعليكم".

ثم نظروا (إسلام) قائلاً:

"ألا تتذكرون؟ قرينك كان يزورني وهو من أتى لي بقرناء مدينة المون
وعلمني أمرهم لأحبي أصدقاءك".

هذا قال (رحيم):

"البحوم بدأ من الجان!"

"لا تخافوا فالقرناء يتحملون الضربات ولا يموتون".

قالها الشيخ ثم تابع:

"آخر كلمة قالها لي الصوت أن أسمع ل(إسماعيل) بعد أن يتحضر
بالخروج من الغرفة ليلتقطه هو".

"إن (طه) هو من فعل هذا".

"أعطوني قلماً وحريراً".

قالها (إسماعيل). فقال (حامد):

"عندي لك مفاجأة. الأرقام في هذا العصر ممتلئة بالحبر من تلقاء
نفسها. هل ينفع معك القلم الذي تركه (الحي من القصاب)؟"

تقاتل جيش (المخلي) مع جيش الممالك في الصحراء.. وعلى بعد مئات الأمتار وقف (المخلي) ورجاله وبجانبه (قصعان) يرمقون الحرب الدائرة والأول يقول:

- "لقد سحب (بصفيدش) جيشي إلى هنا لغرض ما"

ثم نظر إلى أحد قواده قائلاً:

أنت. أحضر الفئاه حالاً.

اختض من أمره بينما نظر هو لـ(قصعان) وهو يقول:

- "هيا. قل الكلمات لأحفظها عند التشكل".

- "تشكل أولاً ورددها معي لأنني سأتشكل في نفس اللحظة".

نظر (المخلي) له بشك ثم قال:

- "هل هنا مركز البوابات؟"

- "نعم".

- "أبدأ أنت التشكل أولاً وأنا سأتابعك".

سمع المأمور و(رقية) و(إسلام) صوت طفلة رصاص. فسقط (إسلام) على ركبته وقرنته بظهره بجانبه ساقطاً على ركبته مثله كأنه يلقده في كل حركات جسده. حاول (إسلام) الوصول لموضع الرصاص في ظهره و(رقية) تصرخ والمأمور يترك (حبيبة) على الأرض وينظر لمطلق

الرياح الذي كان رجلاً يرتدي طباتاً وعمامة ويجعل ينفخه
جرشوش يتصاعد الدخان من فوهتها.

اتقن ابنه من رايته التي تعود علينا للمستقبل ونظر أمامه ليجد
إسلاماً يسير بجانب الرية بنفس الطريقة وبهايمها المأمور بحمل
حبيدة نظري في الموضوع الذي أطلقت منه الرصاص في روياء فلم يجد
شيئاً لا للسم إلا أن يكون مثلك الذي قد تظلم نفسه كي لا يراه
الجان في العالم هو سيد العرفة المتلصقة مثلما كان (إسماعيل
الخلج) يستنشق الرصاص الآن.. لا يوجد إلا حل واحد.

مرى للشيعة التي أطلقت منها الرصاص في روياء. وفكر في أنه لو أخرج
شحنة كبيرة فلن تؤثر إلا في عالم الجان. كي يؤثر بشحنة كافية في
عالم البشر عليه أن يفجر نفسه.

كأية فتلة ارتعد لها الصعراء ووصل سواها إلى القرى المجاورة. السطح
الثلاثة أرضاً والغير السامن يعني عمومهم

لشأن جسد (قصاصان) في بقعة نائية بصعراء إيران وقد شعر بالحر
الذي لم يفهمه من قبل. نهض بصعوبة ليجد جسد (المغربي)
يتشكل بجانبه نظيره وقال:

"هل تذكر الحاسوب الذي ربحه (بصيرديش) بينكم؟"

نظيره (المغربي) بأرماليه فأكمل (قصاصان):

"الخرجي (بصيرديش) من سحري البحري وطبق على مساعده. تد
أعادني مرة أخرى لتأخذني أنت."

"ولماذا تصاعده هو.. ما السبب؟"

"الأمم في الحياة إن نجح (بصيرديش) تأتي ميت ميت إن نجحت أنت."

انفردت أجنحة (قصاصان) وهو يقول:

"لكم كل معركة التي انتصرك فيها (بصيرديش)."

اترى (إسماعيل) من طلعة جسده ووقف فللاً:

"كيف سأخرج من هنا؟"

نادى الشيخ:

"استمعوا لهذا الرجل بالخروج."

فجأة أثرت روية من منتصف العرفة لثغرت (إسماعيل) وأخذت ثم
أثرت روية ثانية في منتصف العرفة خرج منها (ميران) بصدرة العادي
ونظرايم فللاً:

"يقولون عنهم العقارب.. عذري.. كانوا يعرفون الأرض من
سرعة حركتهم."

"ما الذي يحدث؟"

تساءل (عماد) فنظر له (ميران) فللاً:

361

360

- (إسماعيل) أصبح ملكي الآن حسب الاتفاق:-

- "اتفاق؟"

- "جاءني (طه) صباح اليوم وقال إنه رأي في المستقبل أنكم في العفاريت. لكن (إسماعيل) هرب مني مرة أخرى. لذا عرض علي نسليته لي مقابل أن يتردني أنكم في العفاريت وأفعل ما يحدث الآن."

- "وماذا يحدث الآن؟"

- "عالم الحان أصابه الخلل بعد موت (سليمان). وكثرت حروبهم وجنوبهم."

جيش الممالك يطوق جيش (المخلي) من الجوانب..

- "لذا أعتقد أنهم بحاجة إلى حاكم جديد. وكي يتقبلوا هذا الحاكم يجب أن يظهر من القوة والشدة ما يكفي ليحترموه."

فجأة صرخ (بصفيش) في رجاله أن يتوقفوا عن القتال وهو ينظر للأعلى ويرى زوابع تسير بسرعة جنوبية تقترب من الجيشين.. صاح (بصفيش):

- "العفاريت أتوا!"

"تلك القوة التي ستظهر يجب أن تخلف ضحايا ليكونوا عبرة للجميع.
وأعتقد أنك لتبني بيتاً جديداً فعليك بهدم القديم وإراحة أنفاسه".

الروابع تدور حول جثث الجيشين الملقاة. (بصفيديش) حنة هامة لا تتحرك. وكلما أبدت إحدى الجثث حركة تدل على الحياة، تجري عليها زوبعة نمر فوقها فتخمد الجثة.

"أما البوابات السبع التي خافها الجان فعان الوقت لتدميرها لنصبح ذكرى لهم لا أكثر. ويصبح مدمرها هو البطل الجديد".

كاد (المخلي) يقتل (قصعان) وهو يضع قدمه فوق رقبتة ويقول:

"قل الكلمات والاقتلتك!"

بدأت سلسلة من الانفجارات في صحراء (إيران) وكأنها تقرب منهم. حانت من (قصعان) نظرة لتلك الانفجارات المقترية. ضحك بصعوبة وقال:

"لا أعرف ماذا يحدث لكن أعتقد أنها النهاية يا صديقي".

ثم انفجر موضعهما بعنف.

"اشكروا لي صديقكم (طه).. إن نجا من الموت وقولا له يا ن (الحي بن القصاب) وفي بحرته من الانفاق وبشكرك على هدية (إسماعيل)".

قالها (مهران) وروبعة ندور وسط الغرفة سحبتة واختفت.

بعد 7 أيام.. مستشفى الأورام..

دخل (إسلام) بمسك بيد (رقية) وسألا في الاستقبال عن اسم مريض. دلتهما الممرضة فصعدا للدور الثالث وبعثا في العنابر حتى وجدا (حامد) يأكل (شيبسي) بجانب فراش ينام عليه (طه) حليق الرأس والإرهاق والشحوب ظاهرا عليه.

ابتسم لروبيهما. في حين قالت (رقية):

"عرفت أيم نفلوك لمستشفى الأورام بعد ظهور الورم".

"كنت أتوقع شيئا كهذا من تعاملني مع الكهرياء".

ضحك (حامد) فجأة فنظر الجميع له بدهشة وهو يحاول أن يقول بين ضحكاته:

"عندما انفجرت ونفدت شحنتك الكهربية وعدت لعالم البشر عند البنتيكة".

"ماذا تقصد؟"

"أعتقد أنك قتلت مشاعر (رقية) عندما رأتك غارنا!"

"اعتقدناك قد مت، لكن الحمد لله".

قالها (رفية) و(حامد) يفرغ آخر جزء من كيس (الشيبي) بسمه. بينما قال (طه):

"لا تخف يا (إسلام) سأجد حلاً لمشكلتك. فلن أتركك لتذكرك (رفية) كل يوم بما حدث في حياتك".

سمع الجميع صوت رنة هاتف (حامد)

(يا حلوى يا اللي العسل سايل من الشفة.. شعرك سلاسل ذهب دمك
كمان خفة.. أدقع في مبرك ألوف وأصرف جمبع مالي لو قلتي كلمة بس
مع بسمة من الشفة)

رد (حامد) على الهاتف واستمع إلى محدثه. ثم نظر ل(طه) قائلاً:

"استعد.. (حازم) و(عماد) و(يوسف) و(حبيبة) والشيخ (محمد). سيأتون
لزيارتك الآن".

ثم فجأة تحدث (حامد) مع (رحيم) بجواره:

"قلت لك لا تزن في أذني يا أخي أمام الناس وتحيرني على الرذكي لا
يعتبروني مجنوناً!"

"أنت الوحيد منا الذي خرج بشيء ما حدث. لا أعرف كيف بقي
(رحيم) صدبقك بعد إغلاق الغرفة".

قالها (طه). فاقترب (حامد) منه وأغلق المكالمة وهو يقول:

هيا بنا إذن لنسجل هذه الصداقة التاريخية. اقترِب يا (رحيم) لنلتقط
(سيلفي) مع بعضنا البعض".

ضحك (طه) وأخرج (حامد) لسانه وهو يرفع هاتفه المحمول ويلتقط
صورة سُجلت على الهاتف لهما. وفيها ظهرت خلف (حامد) بقعة
ضوء صغيرة وشيء يشبه إصبعي السبابة والوسطى خلف رأس
(حامد).

تمت

شكر إلى

مهندس الكهرباء/ محمد طه عبد الفتاح..

الشيخ/ محمد هناء الدين..

شكر خاص إلى

الكاتب/ أحمد عبد المجيد

على رأيه الثمين فيما أكتب..

شكر خاص إلى

مدير النشر بدارن

أ/هينم حسن

الذي عاملني كأخ لم تلده أمي..

مدير عام دارن

أ/حسام الدين حسين

الذي عاملني كأبن له منذ أول مرة قابلته فيها..

فريق عمل دارن

لمساعدتهم لي في إخراج هذا العمل بهذه الصورة..

شكراً إلى سلسلة هذا العلم

الشيخ (أسامة عبد الوارث) عن (نصر الدين القناوي) عن (محمود
النهامي الشاطوري) عن (تاج الدين عبد الرحمن) عن العارف (مالك
أبي أيوب الفوري) عن الشيخ (شهاب الدين الضيائي) عن عز العلماء
(الهوري النجفي) عن الشيخ (الشاذلي الحموي) عن (بن محلان) عن
جبل المعارف (أحمد بن النوربزي) عن (موسى المالكي) عن العالم
(الحسن الحنبلي) عن (أحمد بن ميمون القسطلاني) عن (أبي عبد الله
بن أحمد) عن رأس السبعة أبدال (أبي مدين بن حسن الأنصاري
الأندلسي).

رحمة الله عليكم أجمعين

كلمة إلى القارئ

أشكرك على أنك تحملت تأخيري في إخراج هذا العمل.
وأعتذر إن أثقلت عليك..

عبد الرحمن

للتواصل مع الكاتب

<https://www.facebook.com/profil.php?id=100001343653770>

أعمال الكاتب

• مخطوطة ابن إسحاق (مدينة الموتر)

• مخطوطة ابن إسحاق (المرتد)

• الجزائر

• نصف ميت

• لقاء مع كاتب رعب

• حكايات فرغلي المستكاوي

شارك بالكتابة في

• نقطة من أول السطر

• مخاوف

• كوكتيل أدبي

• القادمون

تحت الطبع

• ابتسم فأنت ميت

• ليلة في جهنم (سباعية)

• ماريا

• الملك

الفهرس

- الإهداء..... 5
- المقدمة..... 7
- الفصل الأول - فيما مضى..... 23
- الفصل الثاني - قرين..... 59
- الفصل الثالث - اصداقاء قدامى..... 87
- الفصل الرابع - ابن ذاعات..... 117
- الفصل الخامس - العائد..... 143
- الفصل السادس - أصف بن برخيا..... 175
- الفصل السابع - الطلسم..... 225
- الفصل الثامن - المزامير..... 253
- الفصل التاسع - مدينة الموتى..... 277
- الفصل العاشر - النهاية..... 305

إلى الصوت الذي كان يُحدّثني أثناء كتابة
هذه الثلاثية، أشكرك لأنك توقفت.

حسن البندي



دار الفکر للطباعة والنشر والتوزيع

